المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة جازان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

الإحالة في مشاهد القيامة

"دراسة نحوية نصية في القرآن الكريم"

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص: الدراسات اللغوية والنحوية

إعداد الباحثة: أمل طاهر أحمد مدرباء.

الرقم الجامعي: (201513219)

إشراف الدكتور: حمادة عبد الإله حامد

(أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد بقسم اللغة العربية)

السنة الجامعية

(شعبان١٤٤٠هـ– مايو ٢٠١٩م)

Referral in the scenes of resurrection

"Textual Study in the Holy Quran"

This thesis is an update of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة جازان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
عمادة الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها

الإحالة في مشاهد القيامة

"دراسة نحوية نصية في القرآن الكريم"

إعداد الطالبة: أمل بنت طاهر بن أحمد مدرباء.

الرقم الجامعي: (٢٠١٥١٣٢١٩)

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية – قسم الدراسات اللغوية والنحوية.

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

أعضاء اللجنة	الاســـــم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيــع
مشرفًا ومقررًا	د. حمادة عبد الإله حامد	أستاذ مساعد	النحو والصرف والعروض	
مناقشا	د. عائشة قاسم علي الشماخي	أستاذ مشارك	النحو والصرف والعروض	
مناقشا	د. علي نجار محمد حسن	أستاذ مشارك	النحو والصرف والعروض	

١٤٤٠/٨/٢٧هـ - ٢٠١٩/٥/٢م.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

[سورة الممتحنة: ٤]

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه، إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

القاضي الفاضل: عبد الرحيم البيساني.

[حاجي خليفة: (**كشف الظنون**)، ص:١/١٤]

شكـر وتقديـر

الحمد لله الذي لم يستفتح بأعظم من اسمه كلام، ولم يُسْتَنجَحْ بأحسن من صنعه مرام، الحمد لله الذي جعل الحمدَ مُستحقَّ الحمدِ حتى لا انقطاع، وموجب الشكر بأقصى ما يستطاع، الحمد لله مانح الأعلاق وفاتح الأغلاق، الحمد لله إبداءً وإعادةً على ما من به واهب الفضل من توفيق وإعانة، وبركات منه وفضل وهداية، ما أتممت به هذه الرسالة.

وبعد فإني أتقدم بموفور الشكر وعظيم الامتنان والتقدير، لشيخي الرشيد ومعلمي الجليل، الأستاذ الدكتور:حمادة عبد الإله حامد، شجرة فضل، عودها أدب، وأغصانها علم، وثمرتها عقل، وعروقها شرف، لم يتوان لحظة عن إرشادي وتنبيهي، حتى لكأني كلما لجأت إليه قد استمطرت بنَوْءٍ غزير، وسَرَيْت منه في ضَوّ قمر منير، لم يرض بأول السقيا حتى أتى الانسكاب بعد القطر، وطلعت الشمس في أعقاب الفجر، قد كرعت من علمه في مشارع تَغزُر، ولا تنزُر، ورفلت من فقهه في ملابس تطول ولا تقصر، فضله علي جزيل، فلولا مَنّ الله علي ثم توجيهه الأصيل، ورأيه الوثيق، ما كانت لترى هذه الدراسة النور، فقد استوقد الهمة بعد خفوتها، واستجلى الجدة بعد انضوائها، حتى لكأنه مصباح أبيل رُفِعَ لسالك سبيل، قد جمع العلم الغزير، والفهم الصحيح، والأدب القوي القويم، آخذ من عيون الفضل بأوفى الأقسام، وضارب في قول الشعر بأعلى السهام، فلله دره أعجزني شكره، حتى لو استعرت الدهر لسانا، واتخذت الريح ترجمانا، ليشيعا شكر إشرافه حق الإشاعة، لقصرت بهما يد الاستطاعة.

كما أتقدم بعظيم الشكر ووافر الامتنان لعضوي لجنة المناقشة الموقرة، حامدة لهما تجشم عناء قراءة الرسالة وتفحصها وتصويب خطئها، حتى يثمّراها بتوجيهاتهما الرشيدة، واقتراحاتهما الوضيئة، ولا شك أن الإفادة من ملاحظاتهما القويمة، وتصويباتهما الدقيقة بغية أكيدة؛ لكي يخرج هذا العمل في صورة مرضية بهيجة بحوله وقوته تعالى.

متمنية أن تحوز هذه الرسالة على القبول، وسائلة المولى النفع والانتفاع من علمهما الرصين، جزاهما الله عني الأجر الجزيل، أفضل ما جزي به مبتدي إحسان، ومحيي إنسان.

والشكر موصول إلى جامعة جازان، منبر العلم، ومنارة العلماء، التي أتاحت لي فرصة الدراسة فيها، والنهل من معينها الذي لا ينضب، وأخص بالذكر منها كلية الآداب، وقسم اللغة العربية، وكذلك عمادة الدراسات العليا في الجامعة.

الباحثة:

أمل طاهر أحمد مدرباء.

إهداء

إلى أستاذي الجليل وشيخي الأجل الدكتور: حمادة عبد الإله حامد..

إلى نبع الحنان، وفيض الحب، ووافر العطاء، إلى تلك التربة الطاهرة والروح النقية والنور المستضاء.. أمي الحبيبة.

إلى معلمي الأول الذي أخذت العلم عنه رطبا طريا مترعا بالبر والتقوى.. إلى أبي الذي انتظر طويلا...

إلى من عانى معي مخاض هذا البحث وميلاده.. زوجي الذي أحاطني برعايته واهتمامه، وساندني بدعائه..

إلى زهرة حياتي وفلذات كبدبي.. أبنائي، نفع الله بهم وجعلهم من عباده الصالحين..

إلى إخوتي وأخواتي..

إليهم جميعا أهدي هذا العمل برا ووفاء...

الملخص

تدور هذه الدراسة حول قضية الإحالة وأثرها في التماسك النصي، في دراسة تطبيقية على مشاهد القيامة في القرآن الكريم.

وقد اسْتُهِلت الدراسة بمقدمة، ضمت تعريفا بالبحث وهدفه، ومنهجه، والدراسات السابقة عليه، ثم التمهيد وفيه كان الحديث بإيجاز عن لسانيات النص، ونشأتها، ومفهومها، وكيف يمكن الربط بينها وبين نحو الجملة في الدرس النحوي الحديث، وأشرت فيه – أيضا– إلى مفهوم التماسك النصي ووسائله، ومفهوم الإحالة وأقسامها وعناصرها، ودورها في الرصف اللفظي والمفهومي، ودورها في كلية النص، ثم درست أثرها في تحقيق التماسك في نص القرآن الكريم من خلال التطبيق على مشاهد القيامة، وقد قُسّمت الدراسة إلى ثلاثة فصول: فصل للإحالة الضميرية، ودورها في مشاهد القيامة، وحوى مبحثين، أولهما: الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية)، وثانيهما: الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية)، أما الفصل الثاني فجاء في مبحثين – أيضا– منضويين تحت عنوان: الإحالة الإشارية، ودورها في مشاهد القيامة، وهما: الأول: أسماء الإشارة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية)، والثاني: أسماء الإشارة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية)، أما الفصل الثالث فقد جاء عنوانه: الإحالة بالصلة، ودورها في مشاهد القيامة، وقد كان في مبحثين هما: الأول: الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية)، والثاني: الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية)، ثم أعقبت تلك الفصول بخاتمة، موضونٍ بها أهمّ ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، كان أبرزها: أن قضية الإحالة وأدواتها الاتساقية ليست ابتكارا جديدا في اللغة، فهي ذاتها الروابط في نحو الجملة، وإن كانت نظرة النحاة إليها جزئية في السابق، فقد أعطاها التطور الذي حدث في الدرس النحوي بُعدا جديدا، حتى أصبح الباحثون ينظرون إليها من منظار آخر، يوضح أثرها في سبك العبارات لفظيا أو معنويا، ثم كانت النهاية بثَبَتٍ لمصادر البحث ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: النص – التماسك– الإحالة – مشهد – القيامة.

(الملخص باللغة الإنجليزية)

Abstract:

This study revolves around the issue of referral and their impact on cohesion text, in practical study on the scenes of the Resurrection in the Qur'an..

The study started with an introduction that included a definition of the research, its purpose, methodology, previous studies, and then the introduction in which the discussion was briefly about the linguistics of the text, its origin and its concept, and how it can be linked to the sentence in the modern grammatical lesson. The study was divided into three chapters: a chapter for the conscientious reference and its role in the scenes of the resurrection, and the role of the Qur'an in the Qur'an, And the subject of two topics, the first: The second chapter came in two subjects - also - are included under the title: Referral reference and its role in the scenes of the resurrection, namely: First: the names of the sign And the role of the second in the scenes of the resurrection (the theoretical study), and the second: the names of the signal and its role in the scenes of the Resurrection (applied study), and the third chapter was entitled: Referral to the link and its role in the scenes of the resurrection, has been in two sections: First: In the scenes of the resurrection (study n And the second: the

connected names and their role in the scenes of the resurrection (applied study), and then followed the chapters concluded by the most important findings of the research findings and recommendations, The most important of which is the fact that the issue of attribution and its correlative tools is not a new innovation in the language; it is itself the links in the sentence, although the view of the grammarians is partial in the past. The development in the grammatical lesson So that the researchers looked at them from another perspective, showing their influence in the formulation of phrases verbally or morally, and then the end was fixed to the sources of research and review.

Keywords: text – coherence – referral – scene – resurrection.

المقدمة

الحمد لله **{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}**، [سورة السجدة:٧-٨] والصلاة والسلام على النبي محمد المبعوث للعالمين، رحمة وسراجًا مبينا، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين اشتغلوا بالعلم، وجعلوه لتحقيق رضوان الله – تعالى– سُلَّمًا ومعراجًا، أجمعين، أما بعد .

فإن حيوية النحو القديم تنبعث من أنه علم نصي، تفوح منه أهم معاييرِ السبكِ والحبك التي من خلالها يمكن الحكم على النَّصِّ بتماسكهِ وكفاءتِه، وحسن ترابط معانيه، تلك الروابط التي تكوِّن شبكة العلاقاتِ المعنويَّةِ داخل النصّ.

وغير خافٍ على أحدٍ أن النحو القديم قد نشأ في حضن القرآن الكريم؛ حيث كان هو الأصل الأول من أصول النحو العربي، و الداعي الأساس لنشأته؛ خوفا عليه من التحريف، وصيانة له من اللحن وفساد الألسنة وتكسرها.

فقد أفنى علماء اللغة والنحو أعمارهم في جمع اللغة وضبطها من مواطنها الأصيلة، ومواقع البداوة الحصينة، ولم يضع لهم جهد في تقعيدها والنظر في أسباب فصاحتها وبيانها، وروح بلاغتها وعمق دلالاتها، وأسرار تراكيبها وأصواتها، فلم تكن نظرتهم للغة إلا كنظرتهم للكائن الحي المتكامل المركب من جزئيات دقيقة، لا تزال تتداخل و تتآزر إلى أن تكوّن الكل العضوي.

والتراث النحوي الكبير حافل وشاهد بتلك العلاقات الناتجة عن تركيب الكلمات في الجملة؛ حيث شمل عناصر متعددة ابتداء من أحوال أواخر الكلمات، ومرورا بعناصر الموافقة والمخالفة بين الكلمات في نطاق الجملة، ثم صياغة هذه العناصر في شكل ضوابط مُقَنَّنَةٍ، و انتهاء بدراسة الضوابط التي تحكم ترتيب الكلمات في الجملة العربية [(١)].

وعلى الرغم من شيوع النظرة الجزئية في أكثر الدراسات القديمة التي دارت في إطار نحو الجملة، فهناك إشارات نحوية قديمة كانت واعية، راعت العلاقات الدلالية التي تربط بين الجمل والمتواليات الجملية، ومن ذلك: ما أشار إليه ابن هشام من جواز مجيء الفصل بين المتضامين بسبع جمل على

(١) ينظر: علي أبو المكارم : (المدخل إلى دراسة النحو العربي)، (ط:١)، ١٩٨٢م، ص:٢٢-٥٨-٦٥"بتصرّف".

رأي الزمخشري[١]. كما وردت لدى عدد كبير من مفسري القرآن الكريم نظرات صائبة وتحليلات دقيقة تدخل في إطار نحو النص؛ فقد تحدثوا عن المناسبة بين آيات القرآن وسوره، وخصّصوا في ذلك كتبًا كما فعله البقاعي في" نظم الدرر" والسيوطي في " تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور" ، وتحدثوا عن تماسك القرآن آيات وسورًا، من حيث إن القرآن يفسر بعضه بعضًا ، وسياقه الكلي كالسورة الواحدة[٢].

وبالطبع، فإن اختيار أنماط تركيبية مخصوصة ليس فارغا من أي محتوى، بل له دلالته التي تتكاثف عن طريق مدلولات أخرى في السياق، وتولِّد دلالة أعمق عن طريق التضافر معها؛ فالبحث في حال المتكلم ودور المخاطب أو النظر في سياق النص، ومعالم التشابه والاختلاف فيه، وتحديد الفروق النحوية الدقيقة، من أهم سمات الدراسة النصية، بل هي جوهر النظرية النصية التي تدعو إلى تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة، والتي ترتبط بمرسل للفعل اللغوي ومُتَلَّقٍ له ، وقناة اتصال بينهما ، وهدف يتغير بمضمون الرسالة ، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل[٣].

وهي بالأساس ترى أن معنى الوحدة اللغوية لا يتضح إلا بالنظر إلى سياقها المقالي الداخلي متمثلا في القرائن اللفظية والمعنوية المتاحة في النص، والسياق المقامي الخارجي متمثلا في الخلفيات الاجتماعية والتاريخية، وما إلى ذلك في ظل الظروف التي هيمنت على النص وسيق فيها، وهو السياق الذي ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب، بل القطعة كلها والكتاب كله[٤]، فالعبرة في رصف العناصر اللغوية، ليس في وضع أحدها مجاورا للآخر، بل في إيجاد اللحمة والوشيجة القوية[٥]، ومن هنا كانت أهمية الترابط النصي القائم على علاقات التماسك بين أجزاء وجمل النص، أو فقراته اللفظية أو المعنوية، في تتابع يصل بعضه ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي واحد متماسك.

---

(١) ينظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام "المتوفى: ٧٦١"،: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، تحقيق: محمد محيي الدين، مكتبة صبيح، القاهرة، ص:٣٩٤.

(٢) ينظر: مصطفى أحمد عبد العليم: (العلاقات النصية في القرآن الكريم دراسة نحوية لجهود المفسرين)، بحث منشور في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ص:٢.

(٣) ينظر: سعيد حسن البحيري: (علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات)، (ط:١)،الشركة المصرية العالمية للنشر ، ١٩٩٧م، ص: ١١٠.

(٤) ينظر: حمادة حامد:(أسلوب العطف في مشاهد القيامة)، كلية الآدب، جامعة المنوفية، مصر،٢٠١٣م، ص:١٢.

(٥) ينظر: محمود شرف الدين: (التوابع بين القاعدة و الحكمة)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط:١، ١٩٨٧م، ص:٥.

وحين كانت حاجة السياق إلى الأدوات ضرورية لتلاحم فقراته، كانت – أيضا– حاجة الأدوات إلى السياق ماسة؛ لأن معاني الأدوات معان وظيفية؛ وهي جميعا تشترك في أنها تدل على معان معجمية، وهو معنى وظيفي عام، ثم تختص كل طائفة تحت هذا العام[١].

وحيث فرضت الكفاءة النصية سبك العبارات لفظيا أو معنويا دون إهدار لترابط المعلومات الكامنة تحتها[٢]، في قطعة نصية فاخرة لا يخدشها شذوذ لفظ، أو عيب معنى، جاءت الإحالة لتكون واحدة من أهم وسائل الربط الشفافة المهمة، حيث استطاعت أن تمزج بين الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وغيرها، في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط عدة جمل مع بعضها البعض، بحيث يتكون نص أو خطاب كامل متماسك الأجزاء، مشكلا كلا واحدا مستقلا.

وقد تبدت هذه السمات النصية الأسلوبية في آي القرآن الكريم، وظهرت بارزة دالة على إعجازه المحكم، وسبكه المتقن، متماسك الأجزاء دون زيادة أو نقص، كأنه نص واحد، يتكون من مجموعة سور، وبينها روابط اتساقية، تعمل على تماسكه وترابطه، وأهمها الإحالات، التي تربط الموضوعات النصية بعناصر الاتساق اللغوية.

ومشاهد القيامة من أهم الموضوعات التي ضُمِّنَها القرآن الكريم؛ فقد حازت قدرا واسعا من آيات كتاب الله؛ إذ وصلت مائة وخمسين مشهدا موزَّعًا على ثمانين سورة من سور القرآن، في مشاهد حيّة مصورة شديدة التشخيص، قريبة من الإحساس والإدراك، مكونة من مقاطع وجمل نصية، ترسل الإحالات من سورة إلى أخرى، بل حتى خارج نص القرآن.

ولما كانت الإحالة وما فيها من تحولات الضمائر أيضا قد حظيت بدور دلالي كبير في تصوير مشاهد القيامة وأهوالها، في سياقها الذي وردت فيه، رأيت فيها ظاهرة قمينة بالبحث وأريضة بالدراسة لاستجلاء تلك الروابط النصية الإحالية التي تجعل أجزاءَ النص متآخذة مشكّلة كُلًّا واحدا، يدور في فلك الاتساقُ أو ما يمكن تسميتُه بـ"كُليَّة النَّص" ، مستنطقة أوجهَ الإعجازِ القرآنيّ الدلاليّ،

---

(١) ينظر: حمادة حامد: (أسلوب العطف في مشاهد القيامة)، ص:١٢.

(٢) ينظر: روبرت ديبوجراند : (النص والخطاب والإجراء)، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، (ط:٢)، ٢٠٠٧م، ص:١٠٣.

وضروبَ تصريفِ القولِ فيه، مع بيان مظاهر الاتساقِ النَّصِّي فيه رصفًا ومفهومًا، وذلك في بحث تكميلي لمرحلة الماجستير تحت عنوان :

"الإحالة في مشاهد القيامة: دراسة نحوية نصية في القرآن الكريم"

ويتوقع أن تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١) هل للإحالة جذور قديمة في النحو العربي القديم ؟

٢) هل كان هناك منهج محدد في ورود عناصر الإحالة في مشاهد القيامة؟

٣) ما الأثر الدلالي لورود عنصر إحالي إشاري دون الآخر في آيات مشاهد القيامة ؟

٤) ما أثر كل ذلك في الدرس النحوي؟

أسباب اختيار البحث:

لما كنت بصدد البحث عن موضوع يكون ميدان بحثي التكميلي للحصول على درجة الماجستير، ولما كنت أجد نفسي في دراسة النحو العربي، فقد آثرت أن يكون بحثي في موضوعات النحو الحديث، لذا قرّ عزمي على اختيار موضوع هذا البحث بعد أن طرحت مجموعة من الموضوعات أمامي، وتدبرتها جيدا فوجدت موضوع (الإحالة في مشاهد القيامة) أجدّها مجالا، وأغزرها مادة، وأوضحها منهجا، وأكثرها أهمية، وأوسعها أهدافا، فوقع عليه الاختيار ليكون موضوع دراستي، وكان اختياري لمشاهد القيامة تحديدا للتطبيق عليها يعود إلى ما يلي:

- أن مشاهد القيامة قد احتلت قدرا كبيرا من آيات القرآن الكريم، وتكرر الحديث عنها في سور كثيرة، وبأساليب فنية مختلفة من سورة إلى أخرى، إلا أنها ظلّت متماسكة كأنما تحكى في نص واحد مترابط الأجزاء، وفي ذلك بيان لأثر العناصر الإحالية في الوصول إلى الأهداف التي يرمي إليها النص القرآني. لذا رأيت حصر هذه العناصر وتوضيحها ودراستها من هذا المنحى.
- أنّ مشاهد القيامة نوع من القَصَص القرآنيُّ؛ وفي القصَص مجالٌ واسع يُساعدُ على استخراجِ مَعالم البنيةِ الإحاليّةِ في النسيجِ النّصيّ للقرآن الكريم، فرأيت أن تكون ميداني التطبيقِي؛ لأنّ نتائجَ التّطبيقِ على نصوصِ القرآن الكريم تساعدُ في الحصولِ على نتائجَ أدقَّ وأوضحَ، وقَواعدَ أضبطَ، ومَقاييسَ أقوَمَ يُمكنُ أن تُقاسَ بها جودةُ النصوصِ.
- أنّ للإحالَة شبكة من العلاقات تنتظمُ فيها حركةُ الضّمائرِ، وأدوات الإشارة، والتعريف، والموصول، والتكرار، والاسم الواصِف وغيرها، فرأيت أنه من الواجب بيان منهج تنظيم

الإحالات وطرق بنائها في النّصّ القرآنيّ، من حيث الوقوف عند كلّ لفظٍ نحويّ يؤدّي وظيفةَ الإحالَة من قريبٍ أو بعيدٍ، ويُسهمُ في ربط أجزاء النّصّ بعضِها ببعضٍ ربطا جزئيا أو كلّيا. وهذا موضوع في نظري مثير للبحث وجدير بالتدقيق.

منهجية البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على التتبع والاستقصاء والمقارنة ما أمكن، واختيار كل ما يتصل بالبحث، تسجيلا وتحليلا ودراسة في محاولة لسبر أغوار آيات مشاهد القيامة، وبيان ما فيها من روابط يصير معها النص متسقا وحدة واحدة، واصفة الجانب التركيبي النحوي الذي اكتنف الإحالة، ومتوسلة بالإجراءات السياقية في استنباط المعنى، مشبعة ذلك بما امتدت إليه يدي من آراء المفسرين والنحاة حول آيات ومشاهد القيامة. كما أن البحث يستضيء في بعض جوانبه بمعطيات المنهج التطبيقي.

وقد التزمت في ذلك بما يلي:

١) جمع المادة العلمية بالاطلاع على ما كتب في التماسك النصي، والإحالة، وتوثيقه من مصادره.

٢) نسخ الآيات القرآنية من المصحف حسب الرسم العثماني مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، ولم أفرق بين الآية الكاملة والجزء من الآية.

٣) حصر الإحالات الواردة في آيات مشاهد القيامة، وبيان مدلولاتها، وتوضيح آراء النحاة والمفسرين حولها.

٤) ذكر دلالات التحليل الإحالي وملحوظاته ونتائجه بعد كل مقطع.

٥) شرح ما يحتاج إلى شرح من الكلمات الغريبة.

وسوف يطبق البحث هذا المنهج على كل ما يشكل صورة أو مشهدا من مشاهد القيامة، بحيث تتوفر فيه الحركة والإيقاع والأشخاص، وقد بلغت (١٥٠) مشهدا، موزّعا على (٨٠) سورة، ما بين مشهد طويل ممتد، أو متوسط، أو قصير مجمل.

الدراسات السابقة:

لم أعثر في أثناء بحثي على دراسة سابقة تتناول الإحالة في مشاهد القيامة بمؤلف مستقل، أو كتاب منفرد في الموضوع، يدرس ما في آيات القيامة ومشاهد البعث من ترابط نصي وتماسك دلالي

قائم على الإحالة، وما فيها من تحولات الضمائر. والذي وجدته أن موضوع الإحالة في الدرس النحوي الحديث قد بُحث كثيرا في دراسات مختلفة، تناولت القرآن الكريم بشكل عام ولم تمس مشاهد القيامة بشكل وافر مفصل، كما أعتزم عليه في دراستي هذه، وكان تناولها يختلف عن تناولي إياها، وقد وجدت ذلك مفرقا في بعض الكتب والرسائل العلمية، ومن ذلك:

١)"**الإحالة في القرآن الكريم دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ نَصِّيَّةٌ**" للدكتور/ تامر عبد الحميد محيي الدين أنيس، (القاهرة، دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، ٢٠٠٨م):

وقد قامت هذه الدراسة كما يشير الباحث في مقدمته على رصد ظاهرة الإحالة وتحليلها في القرآن الكريم، وتناولت مفهوم الإحالة في اللغة، متتبعة استعمال المصطلح قديمًا وحديثًا، في محاولة لتخليص المفاهيم المتشابكة لمصطلح (الإحالة) في الدرس اللغوي، فتوصل إلى خمسة مفاهيم أساسية هي: الإحالة التداولية، والإحالة الماصدقية، والإحالة بمعنى إعادة الذكر، والإحالة الافتقارية، والإحالة الكلامية. ثم حدد مفهومًا إجرائيًّا للبحث معتمدًا على مفهوم الإحالة الافتقارية، أسماه الإحالة العهدية، وبينت الدراسة من خلال ذلك إمكانية تحول العهد من حضوري إلى ذكري أو ذهني، بناء على التفريق بين مقام النزول ومقام التلاوة في الخطاب القرآني. ولم يتطرق لمشاهد القيامة بالعرض والتطبيق والتحليل كما ستتناولها دراستي بإذن الله تعالى.

٢) "**الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم**: دراسة دلالية بيانية" لهالا سعيد مقبل، (رسالة لنيل درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، بالأردن، ٢٠١٠م-٢٠١١م):

اشتملت هذه الدراسة كما وضّحت الباحثة في مقدمة دراستها على توضيح آيات الحوار في مشاهد القيامة ودراستها دراسة دلالية بيانية، وربط الحوار بالسياق الذي وردت فيه، متناولة مفهوم الحوار وأركانه، وأصوله في القرآن الكريم، وأهميته في وصف المشهد القرآني، مبرزة دور الحوار في ترسيخ مضامين القيامة، وذلك بعرض الفكرة الواحدة بأساليب وطرق مختلفة، وبتعدد أطراف الحوار وأساليبه، كما اشتمل البحث على الدراسة الدلالية والبيانية للجمل الحوارية في مشاهد القيامة، ولم تتعرض للإحالة بأي شكل من الأشكال .

٣)"**أسلوب العطف في مشاهد القيامة**" للدكتور/ حمادة عبد الإله حامد، (كلية الآدب، جامعة المنوفية، مصر،٢٠١٣م):

وقد دار البحث حول أسلوب العطف في مشاهد القيامة، وبيان أهوالها ، موضحا تراكيبها وأثرها في الدلالة، وتكلم فيه عن أسلوب العطف وتعريفه، ودوره في التماسك النصي، وتحدث عن تراكيب جملة العطف، اسمية أو فعلية، وأثر كلٍّ منها في الدلالة وإثرائها، ودلالات الواو والفاء العاطفتين في مشاهد القيامة، ولم يتطرق إلى الإحالات في مشاهد القيامة وتحولات الضمائر، أو دلالات العناصر الإشارية، وأثرها في التماسك النصي.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف هذا البحث فيما يلي:

١) الوقوف على دور التماسك النصي في كلية النص.

٢) بيان أثر الإحالة في تماسك النص القرآني.

٣) التعرف على عناصر الإحالة الواردة في مشاهد القيامة.

٤) حصر عناصر الإحالة الواردة في آيات مشاهد القيامة، مع تحليلها نحويا، ودلاليا.

٥) إظهار أنواع الدلالة التي اعتنت بها الدراسة، وعرْضُها في أمثلة تطبيقية مع توضيح ما بداخل النص من إبداعات نصية دلالية .

٦) دراسة العلاقة بين اللفظ المحيل ومدلوله، في إطار السياق، سابقه ولاحقه.

٧) استضاءتي بمعطيات الدرس النحوي الحديث في دراسة الإحالة في آيات البعث، سيفيد حتما الحقل الذي أنتمي إليه، وينتمي إليه تخصصي الدقيق، وأرجو أن يكون لبنة من لبنات صرح العربية الشامخ بإذن الله.

إجراءات البحث وأدواته:

تتكون خطة بحثي لهذا الموضوع من: مقدمة وثلاثة فصول، يسبقهما تمهيد، ويعقبهما خاتمة وهي كالتالي:

- **المقدمة:** وتتضمن أهمية البحث، وسبب اختياره، وخطته، ومنهجه.

– **التمهيد:** ويتضمن الحديث بإيجاز عن لسانيات النص، ونشأتها، ومفهومها، وأشرت فيه

–أيضا– إلى مفهوم التماسك النصي ووسائله، ومفهوم الإحالة وأقسامها وعناصرها، ودورها في الرصف اللفظي والمفهومي.

– **الفصل الأول: الإحالة الضميرية، ودورها في مشاهد القيامة**

وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).

المبحث الثاني: الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

– **الفصل الثاني: الإحالة الإشارية، ودورها في مشاهد القيامة**

وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: أسماء الإشارة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).

المبحث الثاني: أسماء الإشارة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

– **الفصل الثالث: الإحالة بالصلة، ودورها في مشاهد القيامة**

وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).

المبحث الثاني: الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

– **الخاتمة** : وفيها أهم نتائج البحث، وبعض التوصيات العلمية، ثم كانت النهاية بثَبَتٍ لمصادر الدراسة ومراجعها، يقفوها فهرس الموضوعات.

والله أسأل التوفيق والسداد والقبول الرشاد، وأن تكون هذه الدراسة هديا نافعا، ومِئِنّة خير ومعساة، وإنّي لأدرك مخلصة أن هذه الدراسة ليست أكثر من محاولة؛ لتكون لبنة في صرح علمي جد، عسى أن تجري يوما ريحه رخاء حيث أصاب.. ومن هنا فإني لا أدعي كمالا، فالنقص من سمات البشر، ومن ذا الذي تُرْجَى سجاياهُ كُلُّها؟، فحسبي أني أخلصت الجهد، وطلبت من الله العون

والرشد، حامدة سلفًا كلّ من صوَّب خطأ، أو نبَّه إلى هناة، أو قوّم اعوجاجًا، شاكرة إيّاه خالص الشكر وأوفاه، وأختم قولي بقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ – وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الجاثية:٣٦-٣٧]

وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيل.

الباحثة

التمهيد

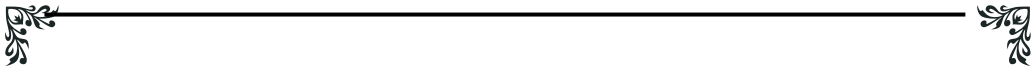

ويشمــل:

- لسانيات النص: النشأة والتعريف.
- التماسك النصي: مفهومه، وأدواته.
- الإحالة: مفهومها، أهميتها، ووسائلها.

لسانيات النص: النشأة والتعريف

جاءت الدراسة النصية لتكون فتحا كبيرا في ساحة الدراسات اللغوية، بعد أن بات من الواضح أن التحليل الضيق على مستوى الجملة، لم يعد كافيا ولا قادرا على تفسير الكثير من الظواهر اللغوية؛ ذلك لـ"أن الجملة لا تقدم سوى الضئيل بالنسبة لما يقدمه النص؛ فما الجملة إلا جزء صغير بالقياس إلى النص، وما يقدمه النص يمثل المعنى الكلي، على حين أن الذي تقدمه الجملة يمثل جزءا فقط من المعنى العام"[١].

وتعد لسانيات النص فرعا معرفيا جديدا؛ فهو أحد فروع اللسانيات العامة، تكون بالتدريج في النصف الثاني من الستينيات والنصف الأول من سبعينيات القرن الماضي، وموضوعه الأساس هو: (النص بوصفه أعلى وحدة لغوية في الدراسات النصية)، وقد استقى هذا العلم الجديد إجراءاته وأدواته من عدد من العلوم المختلفة، واستفاد من معطياتها وقدم تفسيرا أرحب للنص من خلال تلك المناهج والنظريات، وماتزال اتجاهاته وتصوراته النهائية لم تستقر بعد عند الباحثين[٢].

ويدرس هذا العلم النصوص المنطوقة والمكتوبة، ويبحث في الوسائل التي تحقق تماسك هذه النصوص الذي تجسده الروابط الشكلية والآليات الدلالية مع مراعاة أهمية السياق في إنتاج النصوص، وربط ذلك بالشبكة التداولية التي تتشكل من ضلعين هما: المنتج والمتلقي[٣].

هذا، وقد عرفت الممارسة النصية في سبعينات القرن الماضي مسارا من التطور والضبط المنهجي، وهذا ما ظهر عند تون فان دايك الذي يعد المؤسس الحقيقي لعلم النص صاحب كتاب (النص والسياق) الذي جاء فيه اقتراحه لتأسيس علم النص، وفرق بينه وبين الخطاب، محددا أبعاد

---

[١] تون فان دايك: (علم النص مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، (ط.١)، ٢٠٠١م، ص:١١.

[٢] ينظر: أشرف عبد البديع عبد الكريم: (الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم)، مكتبة الآداب – القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٨م، ص:٥، و محمد الأمين مصدق: (التماسك النصي من خلال الحذف والإحالة دراسة تطبيقية في سورة البقرة)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية اللغة والآداب والفنون، الجزائر٢٠١٥م، ص:٢.

[٣] ينظر: محمد الأمين مصدق: (التماسك النصي من خلال الحذف والإحالة دراسة تطبيقية في سورة البقرة)، ص:٤.

تلك الفروق بينهما، وهو الأمر الذي جسده في كتابه (علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات)[١] .

ثم بلغت الدراسات النصية أوجها في ثمانينات القرن العشرين مع اللغوي الأمريكي روبرت دي بو جراند، الذي ألف كتابا، سماه: (مدخل إلى لسانيات النص) سنة ١٩٨١م، أشاد فيه بجهود فان دايك، بيد أن كتابه الأشهر على الإطلاق هو كتاب: (النص والخطاب والإجراء) الذي تُرْجِمَ إلى اللغة العربية[٢].

ويهتم الدرس اللساني النصي بالبحث في الوظائف الدلالية التي تحققها العناصر النحوية كالإحالة والعطف وربط هذه النتائج الجزئية بالشبكة الدلالية العامة في النص، حيث يعرف علم اللغة النصي بأنه: " ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة، أهمها الترابط أوالتماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها والسياق النصي ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء" [٣].

فالدراسة النصية إذن لا تعني إهمال الجملة، بل النظر إليها باعتبارها جزءا من الكيان الكلي الذي هو النص، وتتحدد مهمة هذا الفرع المعرفي في "أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال وتوضيحها، كما تُحلَل العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي" [٤]، ومهمة هذا العلم تتجلى في وظيفتين أساسيتين، هما: (الوصف النصي، والتحليل النصي).

---

[١] ينظر:محمد الأخضر الصبيحي: (مدخل إلى علم النص ومجال تطبيقه)، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، (ط.١)،١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص:٦٢.

[٢] ينظر: المرجع السابق، ص:٦٣.

[٣] صبحي إبراهيم الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع – القاهرة، (ط.١)، ٢٠٠٠ م، ص:٣٦/١.

[٤] أشرف عبد البديع عبد الكريم: (الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم)، مكتبة الآداب – القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٨م، ص:٥.

وجدير بالذكر "أن المنطلق الوحيد في تحديد هاتين الوظيفتين هو أنه لا يمكن البداية بالتحليل دون الوصف، فيجب إذن توضيح مكونات النص ابتداء من الجملة الأولى، ثم بيان الموضوعات التي تناولها النص، وإدراج الدراسة الإحصائية تحت إطار الوصف من حيث الروابط"[١].

فالنص ليس مجرد متواليةٍ لسانية، أو مجموعة كلمات مجتمعة كيفما اتَّفق، وبدون ترتيبٍ وتنظيم، بل هو بناء لسانيٌّ مُحكم، و "تتابُع متماسك من علامات لغوية"[٢]، فهو يتطلب تحقُّق مجموعة من الخصائص أو الشروط الضرورية ليَستحق اسم (نص)، لأنه: "حدَثٌ تواصليٌّ تتحقق نصيَّته إذا اجتمعتْ له سبعةُ معايير، وهي: الربط (الاتساق)، والتماسك (الانسجام)، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية (الإعلامية)، والموقفية، والتناص" [٣].

[١] صبحي إبراهيم الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية)،ص:١/٥٥.

[٢] سعيد بحيري: (علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة لبنان ناشرون – لونجمان، (ط: ١)، ١٩٧٧م، ص:١٠٨.

[٣] المرجع السابق نفسه، ص:١٤٦.

التماسك النصي: مفهومه، وأدواته

يعد التماسك النصي أحد تلك المصطلحات التي ظهرت في إطار لسانيات النص، وهو ذلك العلم "الذي يعبر به عن التلاحم بين وحدات وعناصر النصوص، من خلال مجموعة من العلاقات التي تربط أواصر النص بعضها ببعض"[١]، حتى يصير شكلا واحدا يحمل في طياته خصائص مستقلة ذاتية ونوعية، تميزه عن غيره من النصوص الأخرى.

ومصطلح التماسك مترجم عن الكلمة الإنجليزية (Cohesion)، وقد وقع في ترجمته بعض من الاختلاف فقد تُرْجِم إلى الاتساق[٢]، و السبك[٣]، و التضام[٤]، والترابط[٥]، و الالتئام[٦]، وتكمن الإشكالية الحقيقية في تفريق العلماء بين المصطلحات التي تدل على التماسك الشكلي، كـ(الاتساق والسبك)، والمصطلحات التي تدل على التماسك الدلالي، كـ(كالانسجام والحبك)، و هما مصطلحي: (Cohesion) الذي نقل إلى ثلاثة مصطلحات هي: السبك ، أو الربط ، أو التضام، ومصطلح (Coherence) الذي نقل هو أيضا إلى: الحبك أو التماسك، أوالانسجام ، أو الاتساق[٧]، وهنا تتداخل ترجمة المصطلحين، بل إن المصطلح الأول الذي اشتهر بالتماسك أوالاتساق قد انتقلت ترجمته إلى المصطلح الثاني الذي لم يخل هو أيضا من الاضطراب في ترجمته.

---

[١] محمد الأمين مصدق: (التماسك النصي من خلال الحذف والإحالة دراسة تطبيقية في سورة البقرة)، ص:٧.

[٢] ينظر: محمد خطابي : (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، (ط:١)،١٩٩١م ، ص:٥-٦ .

[٣] ينظر: روبرت دي بوجراند : (النص والخطاب والإجراء)، ترجمة: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة، (ط:١) ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ص: ١٠٣.

[٤] ينظر: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : (مدخل إلى علم لغة النص ، تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفانج دريسلر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (ط.٢)، ١٩٩٩م ، ص: ١١.

[٥] ينظر: باسل حاتم و إيان ميسون : (الخطاب والمترجم) ، ترجمة: عمر فايز عطاري ، جامعة الملك سعود ، (ط:١) ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ص: ٣٣٢.

[٦] ينظر: فان دايك : (النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق ، المغرب . بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ص:١٩٧.

[٧] ينظر: أحمد عفيفي : (نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، (ط:١)، ٢٠٠١م، ص:٩٠ .

ويبدو من استعمال المصطلحين في الدراسات النصية غلبة استعمال التماسك في (Cohesion)، وغلبة استعمال الانسجام في (Coherence) وترجمة المصطلح الأول إلى التماسك الشكلي، و ترجمة المصطلح الثاني إلى التماسك الدلالي أو المعنوي[١]، كما ترجم المصطلح الأول إلى السبك ، والمصطلح الثاني إلى الحبك[٢]، ويمكن القول أن هذين المصطلحين مترابطان، لا يمكن فصلهما لأن العلاقة بينهما متداخلة ومتواشجة في كثير من الأحيان[٣] .

حيث إن التماسك الشكلي يعني: " ترابط الجمل في النص مع بعضها البعض بوسائل لغوية معينة ، وهذا الترابط يهتم بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي للنص"[٤]، فهو يصف العلاقة الشكلية الدلالية في مستوى سطح النص، ولا يصف بنية النص الدلالية، ولا الروابط الدلالية بين قضاياه.

أما التماسك الدلالي أو المعنوي؛ فيهتم: بالمضمون الدلالي في النص ، وطرق الترابط الدلالية بين أفكار النص من جهة، وبينها وبين معرفة العالم من جهة أخرى، ولكن الأمر الأهم في التماسك الدلالي هو الوحدة الموضوعية، أوما يطلق عليه بـ(البنية النصية الدلالية الكبرى)، وما يتعلق بها من بنى دلالية صغرى في النص، وكذلك البنية العليا التي لها ارتباط قوي بالبنية النصية الكبرى فهو: "عبارة عن خاصية سيمانطيقية للخطاب قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى"[٥].

---

[١] ينظر: صبحي إبراهيم الفقي : (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، دار قباء ، القاهرة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، ص:٩٦/١.

[٢] ينظر: سعد مصلوح : (نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية)، فصول ، المجلد: (١٠)، العدد الأول والثاني ، يوليو- أغسطس ١٩٩١م ، ص: ١٥٤.

[٣] ينظر: ألبرت نيوبرت وغريغوري شريّف: (الترجمة وعلوم النص)، ترجمة: محيي الدين حميدي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، (ط.١) ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص:١٤٠، ومحمد مفتاح : (التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية)، المركز الثقافي العربي ، بيروت- الدار البيضاء ، (ط:١)، ١٩٩٦م ، ص: ٤٠ -٤١.

[٤] شحدة فارع وآخرون : (مقدمة في اللغويات المعاصرة)، دار وائل للنشر ، عمان ، (ط:١) ، ٢٠٠٠م ، ص: ٢٠١.

[٥] فان ديك : (النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء- بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص: ١٣٧.

ومن هنا يمكن تعريف التماسك النصي بأنه: " مفهوم دلالي يشير إلى العلاقات الدلالية التي توجد ضمن النص، وتعرّفه بأنه نص "[١]، ويعرفه فان دايك بأنه: " مجموعة الشروط التي تحدد العلاقات أزواجا، أي: ضروب التعلق والتبعية بين الأحداث كما تعبّر عنها الجمل المؤلفة وما تركّب منها ، ولها صلة بعالم ممكن ، وبموضوع تحاور ممكن "[٢].

وبعبارة أشمل يمكن تعريف التماسك النصّي بأنه: "تعلّق عناصر النصّ بعضها ببعض ، بوساطة أدواتٍ شكلية أو علاقاتٍ دلالية ، تسهم في الربط بين عناصرِ النص الداخلية من ناحية، والنصِّ والبيئة المحيطة به من ناحية أخرى ، لتكون في النهاية رسالة يتلقّاها متلقٍّ فيفهمها، ويتفاعل معها سلبًا وإيجابًا" [٣].

- **أدوات التماسك النصي:**

وكما تعددت آراء العلماء في ترجمة مصطلح التماسك إلى العربية تعددت أيضا آراؤهم في تناولهم لأدوات التماسك أو الاتساق، إلى ثلاثةَ أنواع هي: اتساق نحوي، ومعجمي، وصوتي، وله وسائل وأدوات كثيرة يتحقَّق بها في النصوص، وأهمُّها ما ذكراه هاليدي ورقية حسن في كتابهما (التماسك في الانجليزية)؛ حيث قدما خمسة أقسام لأدوات الربط التي تساهم في خلق النصية، وهذه الأدوات هي: الإحالة والحذف والاستبدال والعطف والاتساق المعجمي[٤].

---

(١) Hallidy,M. A. K., And R. Hasan. 1976. Cohesion in English , Longman,p4.
نقلا عن صبحي الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، ص:١/ ٩٣.

(٢) فان ديك : (النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ص: ١٧٩ ، الهامش رقم (١).

(٣) أنس محمود فجال: (الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني)، منشورات نادي الأحساء الأدبي، (٣٥)، المملكة العربيّة السّعوديّة، (ط.١)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص: ٥٧.

(٤) Hallidy,M. A. K., And R. Hasan. 1976. Cohesion in English , Longman,p40.
نقلا عن صبحي الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، ص:١/ ١١٦.

الإحالة: مفهومها، أهميتها، ووسائلها

– مفهوم الإحالة:

١. لغـــة :

الإحالة مصدر الفعل أحَالَ، و"المحال مِنَ الْكَلَامِ: مَا عُدِلَ بِهِ عَنْ وَجْهِهِ، وحَوَّله: جَعَله مُحالًا، وأَحال: أَتى بمُحال، وَرَجُلٌ مِحْوال: كثيرُ مُحال الْكَلَامِ، وَكَلَامٌ مُسْتَحِيل: مُحال، وَيُقَالُ: أَحَلْت الْكَلَامَ أُحِيلُهُ إِحَالَة إِذا أَفسدته، والمحَال الْكَلَامُ لِغَيْرِ شَيْءٍ، وَالْمُسْتَقِيمُ كلامٌ لِشَيْءٍ، والحِوَال: كلُّ شَيْءٍ حَالَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ هَذَا حِوَال بَيْنَهُمَا أَي: حَائِلٌ بَيْنَهُمَا، حَالَ الرجلُ يَحُولُ مِثْلَ تَحَوَّلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلى مَوْضِعٍ، و حَالَ إِلى مَكَانٍ آخَرَ أَي: تَحَوَّلَ" [١].

وجاء في القاموس المحيط: " المحال من الكلام هو: ما عُدل عن وجهه، وحالَ الشيءُ وأحالَ تحوّلَ"[٢]، وفي تاج العروس أحالَ الشيء : "تحوَّل من حالٍ إلى حالٍ ، أو أحالَ الرجل : تحوَّل من شيءٍ إلى شيءٍ، وحَوَّلَ الشَّيْء: تَحَوَّلَ، لَا زِمٌ مُتَعَدٍّ"[٣].

وعليه، فإن (أحال) يدور حول معنى: التغيّر والتبدّل، و هو يستعمل لازما ومتعدّيا؛ فإذا تعدى فإنّه يعني التغير ونقل الشّيء إلى شيء آخر، أو من حال إلى حال أخرى، ومن هنا فلم يبتعدْ هذا التعريف اللغوي عن المفهومِ الدلالي للإحالة كثيرا، إذ تجوز الدّلالة به على المعنى الاصطلاحيّ الّذي يحيل فيه العنصر الإحاليّ على عنصر إشاريّ يفسّره ويحدّد دلالته، وذلك "لأن التحول والتغير

---

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي "المتوفى: ٧١١هـ": (لسان العرب)، دار صادر – بيروت، (ط:٣)، ١٤١٤ هـ، مادة (ح.و.ل)، ص:١١/ ١٨٦- ١٨٧، (بتصرف).

[٢] الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى "المتوفى: ٨١٧هـ": (القاموس المحيط)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (ط:٨)، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ ، مادة (ح.و.ل)،ص: ٩٨٩.

[٣] الزبيدي، محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي "المتوفى: ١٢٠٥هـ": (تاج العروس من جواهر القاموس)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت)، (د.ط)، مادة (ح و ل)،ص:٢٨/ ٣٧٠.

ونقل الشيء من حال إلى أخرى لا يتم إلا في ظل وجود علاقة قائمة بينهما، وتلك العلاقة هي التي سمحت بالتغيير"[١].

٢. اصطلاحا:

إن مصطلح الإحالة هو ما يُعرفُ في اللغة الإنجليزية بـ(Reference)، وهو من أهم أدوات الاتساق النصي، ومن المعايير المهمة في الكفاءة النصية التي تشكل روابط قوية بين مفاصل الكلام وتراكيبه، وقد تُرجم هذا المصطلح بـ(الإشارةِ)، ومن هنا "فقد يلتبس بأسماء الإشارة في اللغة العربية التي هي أداة من أدوات الإحالة المعروفة في الدرس اللساني النصي، إذ يمكنُ القولُ بأنّ العلاقةَ بينَ الإحالةِ والإشارةِ علاقةُ عامّ بخاصّ، فكلُّ إشارةٍ إحالةٌ، وليست كلُّ إحالةٍ إشارة"[٢].

هذا وقد عالج علماء لسانيات النص الإحالة باعتبارها وسيلة أساسية من وسائل التماسك النصي بمسميات متعددة كـ(الإحالة – والصيغ الكنائية – والإحالة المتبادلة) التي قوبلت في الترجمات العربية بمصطلحات كـ(المرجعية –والإرجاعية – والإرجاع)، بيد أن المصطلح الأكثر تداولا هو: (الإحالة)، وهو مصطلحٌ قديم، غير أنه جديد بمفهوم استخدامه، والتوسّع باستعماله في علم اللغة النصّي، ولهذا لم يتّفق اللغويون النصّيون على تعريف مُوحّدٍ ونهائي له[٣]، فقد تنوعت تعريفات الإحالة وتعددت نتيجة ذلك، ويمكن الإشارة إلى بعض تلك التعريفات بما يلي:

- الإحالة هي: "وجود عناصر لغوية محيلة لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ و إنّما تحيل إلى عنصر آخر، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلِها، و تتوفر كل لغة طبيعية

---

[١] نائل محمد اسماعيل: (الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية)، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية،٢٠١١م، المجلد:١٣، العدد:1(B)، ص:١٠٦٣.

[٢] أنس بن محمود فجّال:(الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني)، منشورات نادي الأحساء الأدبي، (٣٥)، المملكة العربيّة السّعوديّة، (ط.١)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص: ١٢٨ ، و محمد محمد يونس علي: (الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه)، مدونة تخاطب، وهو مقال منشور على شبكة الانترنت ومتاح على الرابط:
http://takhatub.blogspot.com/2009/06/blog-post_4712.html

[٣] أحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة)، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،٢٠٠٥م، موقع كتب عربية، ص:٥٢٦.

على عناصر تملك خاصية الإحالة، وتسمّى تلك العناصر عناصر محيلة مثل: (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة) "[١].

- أو هي: العلاقة بين الأسماء و المسميات [٢] بحيث تكون طبيعة هذه العلاقة دلاليّة، تقتضي التطابق بين العنصر المحيل و العنصر المحال إليه من حيث الخصائص الدلالية،[٣] و ذلك لأن العناصر المحيلة غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل، بل تكتسي دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه، لذا وجب قياسها على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، و بين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر[٤].

- أو هي: "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات من جهة أخرى" [٥].

- أو: "هي العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، وصورة الإحالة استخدام الضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق بدلا من تكرار الاسم نفسه" [٦].

ومما سبق يمكن القول إنّ الإحالة هي: "علاقة معنوية بين ألفاظ أو أسماء معينة، وما تشير إليه من مسميات أو أشياء داخل النص أو خارجه، يدل عليها السياق أو المقام عن طريق ألفاظ أو

---

[١] محمد خطابي: (لسانيات النص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط.٢)،٢٠٠٦م، ص:١٦-١٩، و رافد حميد سويدان خلف: (نحو النص ، نظرية وتطبيق، سورة آل عمران أنموذجا)، أطروحة دكتوراة، قدمت إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار، ٢٠١١م ، ص: ٦٤.

[٢] ينظر: أحمد عفيفي: (نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، (ط.١)،٢٠٠٤م، ص:١١٦.

[٣] ينظر: محمد خطابي: (لسانيات النص)، ص:١٧.

[٤] ينظر: الأزهر الزناد: (نسيج النص – بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط.١)، ١٩٩٣م، ص:١٨.

[٥] روبرت دي بوجراند: (النص والخطاب والإجراء)، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، (ط.٢)، ٢٠٠٧م، ص:١٧٢.

[٦] نعمان بوقرة: (المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب– دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن،(د.ط)، (د.ت)، ص:٨١.

أدوات محددة (كالضمير واسم الإشارة والاسم الموصول...)، وتشير إلى مواقف سابقة أو لاحقة في النص" [١].

وبعبارة أشمل هي: استعمالُ كلمةٍ أو عبارةٍ مكانَ أخرى سابقةٍ أو لاحقةٍ في النصِّ أو خارجَه؛ بما يؤدي لذكر العنصر الإشاري والتعويض عنه بعنصر ما بما يُسهم في تحقيقِ التماسكِ النصيِّ، ومن ثمَّ فإن فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص ما يقتضي بحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه، شريطة قيامها على مبدإ التماثلِ بين العنصر الإحاليِّ وما سبق ذكره في مقام آخر [٢]، لذا كانت الإحالة من عناصر السبك في النص؛ لأنه يترتب عليها إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع، يؤدي السابق منها إلى اللاحق، "بحيث يتحقق لها الترابطُ الرصفيُّ، وبحيث يمكن استعادةُ هذا الترابط"[٣]، وتتحقق الإحالة في العربية بالضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، والمقارنة و الموصولات .

- **عناصر الإحالة:**

لا يتحقق الربط الإحالي في النصوص إلا من خلال توفر مجموعة من العناصر التي تسهم في تفعيله، وتتوزع كما يلي:[٤]

- **المتكلم أو الكاتب أو صاحب النص:** من خلال قصده المعنوي تتم الإحالة حسب مراده، وعلماء النص يشيرون إلى أن الإحالة عمل إنساني.

---

[١] نائل محمد اسماعيل: (الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية)، ص:١٠٦٤.

[٢] ينظر: صبحي الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١/ ٣٩، وحمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة "دراسة تطبيقية في سورة الواقعة")، جامعة الأزهر، مستلة من حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد: (١٩)، ج:(٦)، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص:١١.

[٣] روبرت ديبوجراند: (النص والخطاب والإجراء)، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، (ط.٢)، ٢٠٠٧م، ص: ١٠٣، وحمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة "دراسة تطبيقية في سورة الواقعة")، ص:١١.

[٤] أحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة)، ص:٥٢٩.

- **اللفظ المحيل**: وهذا العنصر الإحالي في الأدوات اللغوية إما ظاهرة أو مقدرة، كالضمير أو الإشارة، وهو الذي يحيل القارئ ويغير اتجاه فكره من اتجاه إلى آخر داخل النص وخارجه.
- **المحال إليه**: وهو موجود إما خارج النص أو داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات، ومعرفة الإنسان بالنص وفهمه له يعينه في الوصول إلى المحال إليه.
- **العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه**: و يتمثل في الروابط اللسانية بين المحيل والمحال إليه، والتي يفترض أن يكون التطابق مجسدا بينهما في النوع والعدد والجنس.

– أنواع الإحالة:

وقد قسم علماء النص مستويات الإحالة إلى مستويين أساسين، هما[١] :

١-**إحالة داخل النص، وتسمى إحالة نصية (endopheric reference)** : وهو مصطلح للإشارة إلى علاقات التماسك التي تساعد على تحديد بنية النص، أو إحالة العناصر اللغوية الواردة في النص الملفوظ، بمعنى العلاقات الإحالية داخل النص؛ سواء كان بالرجوع إلى ما سبق أو بالإشارة إلى ما سيأتي داخل النص[٢] فتستخدم لتدل على ذلك النوع الذي يحال فيه المخاطب على عنصر لغوي داخل النص، وعليه فالإحالة النصية تركّز على العلاقات اللغوية في النص ذاته، و قد تكون بين ضمير و كلمة، أو بين كلمة و كلمة، أو عبارة و كلمة،[٣] و تنقسم إلى قسمين :

[١] مصطفى النحاس: (نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب)، دار السلاسل، الكويت، (ط.١)، ٢٠٠١م، ص: ٦١، وينظر أيضا: عرفة عبد المقصود: (قراءة نحوية نصية في سورة ص)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، شبكة الألوكة الإلكترونية، ص:٢١.

[٢] ينظر: صبحي الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، ص١/ ٤٠.

[٣] المرجع السابق نفسه.

أ- **إحالة على السابق (قبلية) anaphoric reference** : تعود على مفسر سبق التلفظ به، وتعد أكثر أنواع الإحالة شيوعا ودورانا في الكلام[١]، حيث يتم تفسير مرجعية العنصر الإحالي بالعودة إلى ما سبق ذكره قبلا في النص وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، والعنصر المحال إليه هنا هو لفظ الجلالة (الله) في صدر الآيات، حيث تقتضي الإحالة القبلية العودة إلى الوراء من أجل البحث عن العناصر الإشارية وتحديدها، وهذا ما يسهم في تحقيق تماسك النص، والربط بين أجزائه.

ب- **إحالة على اللاحق (بعدية) cataphoric reference** : تعود على عنصرٍ إشاريّ مذكور بعدها في النص ولاحق عليها [٢]، ويقوم فيها العنصر الإحالي مقام العنصر الإشاري المذكور بعده، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢٣]، فقد عاد الضمير (هو) على لفظ الجلالة (الله) بعده، وهذا "النوع من الإحالة أقل ذيوعا وشيوعا واستعمالا من النوع الأول، زيادة على صعوبة البحث عن المحال إليه في الإحالات الداخلية البعدية؛ نظرا لإمكانية تعدد وتشابه العناصر المحال إليها، وهذا النوع من الإحالات شائع جدا في الجمل المفردة"[٣].

وقد يحدث أن يصح عود العنصر الإشاري المحال إليه إلى عنصر محيل قبليا أو بعديا؛ إذ تتعدد الإحالة ويستقيم لكل وجه منها معنى، لا يمكن تجاوزه، كما في قوله -تعالى- : ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ﴾ [سورة يوسف: ٧٧]، فيجوز عود الضمير في الفعل (أسرها) على "القالة قبلها في ذات الآية : ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، ويكون معنى (أسرها في نفسه) أنه تحملها ولم يظهر غضبا منها، وأعرض عن زجرهم وعقابهم مع أنها طعن فيه وكذب عليه، كما يجوز

---

[١] ينظر: أحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص)، ص:١١٧.

[٢] ينظر: محمد خطابي: (لسانيات النص)، ص: ١٧.

[٣] روبرت دي بوجراند: (النص والخطاب والإجراء)، ص: ٣٢٧- ٣٢٨.

عود الضمير أيضا على الجملة بعدها في الآية نفسها: ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ﴾أي: قال في نفسه، وهو يشبه ضمير الشأن والقصة، لكن تأنيثه بتأويل المقولة أو الكلمة، وتكون جملة (قال أنتم شر مكانا) تفسيرا للضمير في فأسرها" [١].

❖ **أركان الإحالة النصية:**

وللإحالة الداخلية ثلاثة أركان هي:

١-**التحاول**: ويتمثل في الروابط اللسانية بين مفردة المحيل ومفردة المحال إليه ، أو الذات والأشياء.

٢-**المحال إليه**: هو الذي يملأ حيزا في الواقع الذي تمثله الإحالة، أي الأشياء التي يحال إليها.

٣-**المحيل**: يتمثل في الأدوات اللغوية التي تحيل إلى (المفسّر) في النص المدروس أو خارجه[٢].

وهناك نوع من الإحالة يسمى بالإحالة المعجمية: أي "إحالةُ عنصرٍ معجميٍّ على مقطعٍ من جملةٍ أو مركبٍ نحويٍّ لتفسيره وشرحه؛ نحو قولك مثلا : (لقد بذل المعلم كل ما وسعه لتعليم طلابه، لم يتأخر الرجل عنهم أبدا)؛ فقد ربط بين الجملتين باستخدام رابط معجمي هو (الرجل)؛ ليتحقق التماسك النصي، وبهذا تكون الإحالةُ على المستوى الداخلي للنص المدروس وبعناصرها الأساسية قد أسهمت في صناعة التماسك بين مكوناتِ النص"[٣].

٢-**إحالة خارج النص، وتسمى إحالة مقاميَّة (exopheric reference)**: وتقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص، مع وجود عنصر إحالي لتعيينه، فهي "ذلك النوع الذي يوجّه المخاطب إلى شيء أوشخص في العالم الخارجي، حيث تُسهم في خلق النص

---

[١] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي "المتوفى : ١٣٩٣هـ":(التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م، ص:١٣ / ٣٤-٣٥ .

[٢] ينظر: زتسيسلاف واورزنياك : (مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط.١)، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص:٦١.

[٣] حمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة "دراسة تطبيقية في سورة الواقعة")، ص:١٢.

باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام" [١]، ويتطلب هذا النوع من الإحالات من المتلقي أو القارئ أن يلتفت إلى خارج النص لأجل التعرف على العناصر المحال إليها وتحديدها، لذا يرى بعض النصيين أنه ليس للإحالة المقامية دور في تحقيق التماسك النصي لأن مرجعيتها تخرج عن بنية النص وفي هذا إشارة إلى السياق الخارجي والظروف المحيطة به[٢]، ويمكن التمثيل لهذا النوع بقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)﴾ [سورة التكوير: ١٥-٢٠]، فالإحالة بضمير الغياب في: (إِنَّهُ) خارجية تحيل للقرآن الكريم، وقوله: (رَسُولٍ كَرِيمٍ) أي: "جبريل عليه السلام نزله على محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-" [٣]، وأيضا تُمَثِّلُ الإحالةُ على المستوى الخارجيّ عنصرًا مهمًّا في صناعةِ التماسكِ النصيّ، غير أن بعض علماء النص يرون أن هذا النوع من الإحالة لا يمنح النص سمة التماسك؛ لأنّه لا يربط عنصرين معا في السياق، بل يقتضي النظر خارج النص نفسه لتحديد المحال إليه، وعليه فهو يسهم في صنع النص، بمعنى أنه يربط النص بسياق الموقف، ولكنه لا يسهم في دمج قطع النص بعضه ببعض[٤].

وعليه، فإن تعدد أنواع الإحالات وتنوعها يقوم على مبدأ أساسي واضح، وهو الاتفاق بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، سواء أكانت قبلية أم بعدية، داخل النص أو خارجه؛ لأن الغاية الأساسية التي توظف من أجلها الإحالات، هي الربط بين أجزاء النص من أجل صياغته كقطعة فنية متينة متماسكة محكمة.

---

[١] محمد خطابي: (لسانيات النص)، ص:١٧.

[٢] ينظر: براون ويول: (تحليل الخطاب)، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص:٢٣٨.

[٣] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري "المتوفى: ٣١٠هـ": (جامع البيان في تأويل القرآن)،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط:١)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص:٢٤/٢٥٨.

[٤] Halliday (M.A.K.) and Ruqaya Hassan;(Cohesion in English); Long man; 1st pub; New York; (1976), p. 18,

كما تنقسم الإحالة من حيث المدى الإحالي (المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره) إلى:

- **إحالة ذات مدى قريب**: وتعمل في مستوى الجملة الواحدة، حيث تربط العنصر الإحالي الجملي بمفسره المتواجد في الجملة نفسها وبحيث "لا توجد فواصل تركيبية جملية"[١].
- **إحالة ذات مدى بعيد**: وهي تعمل ما بين الجملة المتصلة أو الجمل المتباعدة في جسد النص، فهي "إحالة تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل"[٢].

أما من حيث كم العناصر الإشارية؛ فتنقسم الإحالة من حيث كم المحال عليه إلى قسمين، وهما[٣]:

- **إحالة معجمية**: وتتحقق إذا كان العنصر الإشاري يتمثل في وحدة معجمية مفردة يحال عليها، مثل: للإحالة دور فعال في تماسك النص، فـ(هي) تعين القارئ على فهم النص وتأويله.
- **إحالة نصية**: وتحصل إذا كان العنصر الإشاري يتمثل في مقطع أو جزء من نص يحال عليه بعنصر إحالي نصي نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [سورة الكهف:٦٤]، وتتميز هذه العناصر الإشارية النصية عن العناصر الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشارا[٤].
- **أهمية الإحالة:**

تعد الإحالة من أهم وسائل السبك، فهي التي تربط نسيج النص بعضه ببعض لتشكل جسورا قوية بين أواصر الكلام وتراكيبه؛ والتحامه من الناحية النصية والمفهومية أيضا، كما تؤدي إلى

---

[١] الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص:١٢٤.

[٢] المرجع السابق، ص:١٢٤.

[٣] ينظر: سعيد حسن بحيري: (دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (ط:١)،٢٠٠٥م، ص:١٠٢، ومصطفاوي جلال: (تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف، مقاربة في ضوء لسانيات النص)، رسالة دكتوراة، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، تلمسان، الجزائر، ٢٠١٣م، ص:٢٧٠.

[٤] ينظر: سعيد حسن بحيري: (دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص:١٠٢، ومصطفاوي جلال: (تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف، مقاربة في ضوء لسانيات النص)، ص:٢٧٠.

سبك" العبارات لفظيا دون إهدار لترابطِ المعلومات الكامنة تحتها "[1]، إذ تعد الإحالة علاقة دلالية، "وهي لا تخضع لقيود نحوية، إنما تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[2]، وإلا لبقيت حلقات النص مفقودة تفقد نصيتها، أو بقي الباب مفتوحا للتأويلات والاجتهادات، فوجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان (ما)، ومتى ما تحقق ذلك تحققت أهم معايير الكفاءة النصية.

ومن المزايا المهمة للإحالة التي ينبغي الإشارة إليها أنها قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة، والربط بينها ربطا واضحا، وهذا ما يؤكد أهمية الإحالة في الربط النصي، ويشير روبرت دي بوجراند إلى أنه ليس من المستحسن أن نجعل مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة[3].

هذا، ولا يخفى اهتمام العرب القدماء بهذا الموضوع خصوصا في باب الضمائر، حيث كانت لهم آراء عديدة، تخدم في هذا الباب، وقد كانت لهم معالجات نصية تتبلور في إشاراتهم إلى مرجعية الضمير ونوعها، فقد أدرك سيبويه[4] مرجعية الضمير على مستوى الجملة في مثل قوله: "رجل أكرمته ورجل أهنته"[5] وذكر أن الهاء هي إضمار للرجل، وهي إحالة إلى سابق بتعبير النصيين، في حين

---

[1] أحمد عفيفي : (الإحالة في نحو النص)، ص: ٧.

[2] محمد خطابي:(لسانيات النص)، ص:١٧-٢١، ومحمود سليمان حسين الهواوشة: (أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دارسة نصية من خلال سورة يوسف)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م، ص:٦٦.

[3] روبرت دي بو جراند: (النص والخطاب والإجراء)، ص:٣٢٧.

[4] سيبويه: أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثم البصري .توفي بشيراز سنة ١٨٠هـ، وهو الأصح، وقيل : سنة ١٨٨هـ، إمام النحو، حجة العرب، وقد طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل العصر ، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه، وقيل : عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل : نحو الأربعين . ينظر: الذهبي: (سير أعلام النبلاء)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص:٨/ ٣٥٢.

[5] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه "المتوفى: ١٨٠هـ": (الكتاب)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط:٣)، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص: ١/٨٧.

تحدث المبرد[١] عن قوة التماسك بين المبتدأ والخبر بقوله: "فالخبر هو الابتداء في المعنى"[٢]، وقد أنتج ابن هشام[٣] مادة غزيرة ترتبط بالمرجعية؛ حيث ذكر تحت عنوان: (روابط الجملة التي تقع خبرا عن المبتدأ) روابط عدة تشتمل على أغلب الروابط التي ذكرها علماء النص في العصر الحديث، ومنها: (الضمير، الإشارة، التكرار بإعادة اللفظ أو المعنى، وغيرها)، وقد أشار السيوطي[٤] إلى مرجعية الضمير؛ فقد جعل مرجع الضمير سببا من بين الأسباب التي أدت إلى الإجمال في القرآن الكريم.

---

[١] المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، (ولد بالبصرة سنة٢١٠ هـ-٨٢٦م وتوفي ببغداد سنة ٢٨٦ هـ - ٨٩٩ م)، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، من مؤلفاته: الكامل ، والمذكر والمؤنث، و المقتضب، و التعازي والمراثي، و شرح لامية العرب، وإعراب القرآن، وطبقات النحاة البصريين، وغيرها الكثير. ينظر: الزركلي: (الأعلام)، ص:٧/١٤٤.

[٢] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد "المتوفى: ٢٨٥هـ": (المقتضب)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص:٤/ ١٢٨.

[٣] ابن هشام: هو الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، جمال الدين أبو محمد النحوي، ولد في القاهرة يوم السبت في الخامس من شهر ذي القَعدَة سنة ٧٠٨ هـ الموافق ٢٣ من أبريل عام ١٣٠٩م، وتوفي في ليلة الجمعة خامس ذي القَعْدَة سنة ٧٦١ هـ الموافق ١٣٦٠م، ومن أشهر مؤلفاته: الإعراب عن قواعد الإعراب، والألغاز النحوية، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، والتذكرة ، والجامع الصغير، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، ورفع الخصاصة عن قراءة الخلاصة، وشذور الذهب، وشرح شذور الذهب، وقطر الندى وبل الصدى وشرحه، والكواكب الدرية في شرح اللمحة البدرية لأبي حيان، وشرح التسهيل لابن مالك، وغيرها الكثير. ينظر: ابن حجر: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٣٤٩هـ، ص:٢/٣٠٨- ٣١٠، "بتصرف".

[٤] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ولد بأسيوط "مدينة في صعيد مصر" سنة ٨٤٩هـ - ١٤٤٥م، وتوفي بالقاهرة سنة ٩١١ هـ -١٥٠٥م، عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم، من أشهر كتبه: الجامع الكبير، و الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير، والإتقان في علوم القرآن، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وتنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك، والخصائص والمعجزات النبوية؛ وطبقات الحفاظ، والأشباه والنظائر، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، والفريدة، وهي ألفية في النحو، وهمع الهوامع، وغيرها الكثير. انظر: السيوطي: (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، (ط:١)، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، ص: ١/٣٣٥-٣٤٤ "بتصرّف".

وعليه، فقد كانت جهود السابقين تقترب من التحليلات النصية المعاصرة، بيد أنها بقيت إشارات تمثل جذورا للتحليل النصي المعاصر الذي يعتمد على وسائل التماسك كلها في آن واحد[١].

- **بنية الإحالة في النص:**

وتقوم الإحالة في النص أساسا على مجموعتين ضرورتين من العناصر: مجموعة من العناصر الإشارية، ومجموعة العناصر الإحالية وبين المجموعتين ترابط وثيق، ومن هنا يأتي دور الإحالة في الإسهام الفعال في صناعة الاتساق بين مكونات النص[٢]، إذ تعد الإحالة علاقة لفظية دلالية تخضع لقيود دلالية في كثير من الأحيان، وتتميز البنية الإحالية في كونها تعمل في اتجاهين لخدمة المعنى؛ فهي:

١- تحيل على السابق كتطابق البنية النحوية في ذلك من حيث عمل المكون السابق في المكون أو المكونات اللاحقة.

٢- وتحيل على اللاحق وتخرج عن البنية النحوية، ولا تتقيد فيها؛ فالبنية النحوية لا تملك إلا اتجاها واحدا[٣].

وعليه، فالإحالة – إذن- لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي: وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل، والعنصر المحال إليه[٤]، فالربط يمكن أن يكون نتيجة علاقة إحالية، حين تنشأ علاقة إحالية بين جملتين مستقلتين، وحين تكون العلاقة بينهما ذات طبيعة دلالية غير تركيبية على الإطلاق، فالربط من خلالها يكون ضعيفا بل ضئيلا[٥].

وتقوم كلّ إحالة على نوعين من الرّبط الدلالي :

---

[١] ينظر: نادية رمضان النجار: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الخطابة النبوية نموذجا)، مجلة علوم اللغة، دار غريب، المجلد:(٩)، العدد: (٢)، (د.ن)، ٢٠٠٦م، ص:١٤١-١٥٨، (بتصرف).

[٢] ينظر: فريد عوض حيدر: (اتساق النص في سورة الكهف)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، (ط:١)،٢٠٠٤م، ص:١٨.

[٣] ينظر: الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص:١٤٤.

[٤] ينظر: محمد خطابي: (لسانيات النص)، ص:١٧.

[٥] ينظر: سعيد حسن بحيري: (نظرية التبعية في التحليل النحوي)، مكتبة الأنجلو المصرية،(د.ط)، ١٩٨٨م، ص:٢٧٣.

١ – ربط دلالي يوافق الربط البنيوي (التركيبي) .

٢ – ربط دلالي إضافي يمثّل الإحالة ، وهو الربط الإحالي (Connexion anaphoriqu) .

وهذا الربط الدلالي هو" الذي يمدّ جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص ، إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النص ، فتجتمع في كلّ واحد عناصرُه المتناغمة" [١].

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة تشتمل على نوعين من العناصر، يمثلان قطبي الإحالة هما: العنصر الإشاري والعنصر الإحالي:

١- **العنصر الإشاري**: هو كل ما يشير إلى ذات أو زمن، إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى، سابقة أو لاحقة؛ فالعنصر الإشاري يمثل معلما لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره[٢]، فهو: "كل مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره" [٣]، فقد يكون لفظا دالا على حدث أو ذات، كإحالة ضمير المتكلم(أنا) على ذات صاحبه، وحينئذ يرتبط العنصر الإحالي بعنصر إشاري غير لغوي ممثلا بذات المتكلم أو موقع ما في الزمان، ويأتي هذا العنصر على وجهين، هما: العنصر الإشاري العامل والعنصر الإشاري غير العامل، أما الأول فيذكر مرة أولى، ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظه مرة أخرى في تضاعيف النص؛ فهو عامل لأنه يحكم مكونا أو عددا من المكونات التي يفسرها، وهذا النوع هو ما يسميه النحاة بمفسر الضمير[٤]، وهو الذي يتكفل بهندسة العلاقات النحوية في النص، ومن ثم تحقيق التماسك والترابط الجزئي والكلي في آن واحد.

---

[١] سعيد حسن بحيري: (دراسات لغوية تطبيقية)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٩م، ص:٨٢.

[٢] ينظر: مريم فرنسيس: (في بناء النص ودلالته، محاور الإحالة الكلامية)، وزارة الثقافة السورية، (ط:١)، ١٩٨٨م، ص:٢٥.

[٣] الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص:١١٤.

[٤] ينظر: مصطفاوي جلال: (تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف، مقاربة في ضوء لسانيات النص)، ص:٢٧٢، و(الدلالة النظرية لبعض الظواهر الإحالية)، ص:٣٧٦.

٢- **العنصر الإحالي**: وهو ذلك اللفظ الذي لا يملك دلالة مستقلة، بل يعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب[١]، وهو: "كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"[٢]، وبذلك تكون العناصر الإحالية فارغة دلاليا، مما يجعل تفسيرها رهينا بربطها بالعناصر الإشارية التي تعوضها، فـ"العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة"[٣]، فهي "تمثل أدوات الإحالة ويطلق عليها أشباه الكلمات، وهي تلك العناصر الصغيرة التي تستخدم باعتبارها بدائل ولكنها غير مستقلة بذاتها"[٤]، و يتحقق الاقتصاد في الاستعمال اللغوي من خلالها؛ لأنها تغني عن إعادة الذكر للعنصر الإشاري الذي تحيل عليه، ويمكن من خلال هذه العناصر الإحالية أن تتشكل شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، وينتج عن هذا الانسجام والائتلاف بين الأجزاء المتقاربة والأجزاء المتباعدة بنية متداخلة معقدة، تشكل الأحداث الاتصالية التي تحدد كم ورود صيغ الإحالة بوجه عام في النصوص[٥].

- **أدوات الإحالة:**

وللإحالة وسائلُ أو أدوات[٦]كما يسميها البعض؛

---

[١] ينظر: الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص:١١٨.

[٢] المرجع السابق، ص:١١٤.

[٣] محمد خطابي: (لسانيات النص)، ص:١٧.

[٤] باسل حاتم وإيان ميسون: (الخطاب والمترجم)، ترجمة: عمر فايز، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، (ط:١)، ١٩٩٨م،ص:٣١٤.

[٥] سعيد حسن بحيري: (ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي)، مكتبة الأنجلو المصرية،(د.ط)، ١٩٩٥م، ص:٢٥٥.

[٦] ينظر: ج ب براون / ج بول: (تحليل الخطاب)، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ، و منير التريكي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧ م ، ص: ٢٣٠.

العناصر الإحالية[١]،أو الألفاظ الكنائية[٢] وهي مجموعة من الألفاظ التي ليس لها دلالة مستقلة في ذاتها ولا يتحدد معناها إلا بالعودة إلى ما تحيل إليه داخل النص أو خارجه؛ لذا عدّها البعض من قبل المعوِّضاتِ، ،وهي[٣]:

١. الضمائر بأنواعها.

٢. أسماء الإشارة: ويدخل تحتها أيضا الظرفية، نحو: (الآن، غدًا، هن، هناك).

٣. الأسماء الموصولة : وتتمثل في الأسماء الموصولة التي يعتمد دورها في عملية التماسك غالبا على الجملة الواحدة [جملة الصلة]، وسيأتي تفصيل تلك الوسائل لاحقا مشفوعا بمناسبته[٤].

ويعمد الكثير من الباحثين[٥] إلى الجمع في وسائل الربط الإحاليَّ بين الضمير والإشارة والصلة، وعلى الرغم من اشتراك الضمير والإشارة والصلة في الدلالة الإحالية، غير أنها تتباين فيما بينها في أداء وظيفتها النحوية والدلالية التي خصتها بها اللغة العربية؛ فالضمير أعرف المعارف، وهو يدل على عين العائد إليه دلالة مطابقة تؤهله إلى الإحلال محله، والإحالة إليه متى تطلب السياق ذلك، أمَّا الإشارة فهي مقيدة بدلالتها الإشارية التي تتضمنها، وتحتاج لما يساندها من علاقات نحوية داخلية تمنحها قوة الضمير الإحالية، وتضيف إليها قوة أخرى إشارية يحتاجها السياق [٦].

---

[١] ينظر: الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص: ١١٥ – ١١٦.

[٢] ينظر: دي بو جراند: (النص والخطاب والإجراء)، ص: ٣٢٠.

[٣] ينظر: محمد خطابي: (لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص: ٢٩.

[٤] تم التركيز في هذا البحث على هذه الأدوات الثلاث؛ لأنها الأكثر انتشارا وتحقيقا للتماسك النصي، وقد تحاشى البحث التفصيل في غيرها من وسائل الإحالة الأخرى؛ حتى لا يُرقّل على حساب غيره مما سيذكر تفصيلا من وسائل الإحالة، خصوصا أن غير تلك الوسائل الثلاث لن تمتد إليها يد البحث بالتحليل؛ لأنها لا تشكل ظاهرة في الآيات تستدعي البحث والخوض فيها.

(٥) ويعد ذلك إمعانًا في نقل المعرفة الغربية – المعتمدة في تحليلاتها على نصوص أوربية – إلى النصوص العربية، ينظر: صبحي الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، ص: ١٣٥–٢٤٠، وكذا محمد خطابي:(لسانيات النص)، ص:١٩– ٢٠، وأيضا الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص:١١٩، و أسماء شهاب: (نحو النص بين النظرية والتطبيق)،ص: ٧١ ، وحمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة)، ص: ٢٠.

[٦] محمد خطابي: (لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص: ١٩، وأحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص)، ص: ٢٧، وحمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة)، ص: ٢١.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك وسائل أخرى للإحالة النصية، منها [1]:

- التكرار.
- المقارنة وأدواتها (أجمل مِنْ – جميل مثل ...) ، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨] ؛ فقد ربط لفظ (أكبر) الجملة الثانية بالأولى ، لأنه لا يكون الشيء أكبر إلا بالمقارنة.
- (أل) التي للتعريف ، نحو (أل) لتعريف (الرسول) في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ [سورة المزمل:١٥-١٦].

ويُكْتَفَى من هذا مقدمة وتأصيلا، ليأتي دور التفصيل والتطبيق على مشاهد القيامة في الفصل القادم.

[1] ينظر: محمد خطابي: (لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص: ٢٩، وحمادة حامد: (التماسك النصي بالإحالة "دراسة تطبيقية في سورة الواقعة")، ص: ١٤.

(الفصل الأول)

الإحالة الضميرية، ودورها في مشاهد القيامة، ويشتمل على:

- الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).
- الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

(المبحث الأول)

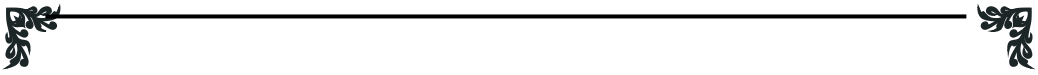

الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).

مهاد:

لا يمكن أن يُتَصور نص تغيب فيه الضمائر، أو تختفي بالكلية، وليس من المغالاة أن يقال: إنه لا يمكن أن يطلق لفظ "نص" على متوالية جمل تخلو من الألفاظ المحيلة بشكل عام، والضمائر بشكل خاص، فهو حينها سيفقد تماسكه وتراص ألفاظه المسبوكة، وترابط معانيه السالكة من إطار فكره ووعيه، وربما ضاع نصه، وتحدرت أركانه لاختلال أساسها الإحالي المتفكك.

ولا ضير، فالضمائر أكثر وسائل الإحالة ورودا في النصوص، وقدرة على إقامة التآلف بين أجزائها، والتماسك بين دلالتها، ليس على مستوى الجمل والعبارات فحسب، بل على مستوى النص بأكمله(١)؛ في علاقة ممتدة سابقة ولاحقة، مكونة سلسلة من الإشارات المرجعية التي تسيّر وتسهل عملية التواصل، والتخاطب "فهي تربط بين أجزاء النص المختلفة نحوًا ودلالة؛ حيث تكمن أهمية الضمائر في الإحالة والربط بين الأجزاء الداخلية من ناحية، وبين الداخلي والخارجي في النص من ناحية أخرى"(٢)، وذلك لأن "العبرة في رصف العناصر اللغوية ليس في وضع أحدها مجاورا للآخر، بل في إيجاد اللحمة والوشيجة القوية"(٣)، ولذا كانت لحركة الضمائر على سطح النصّ، وتنوعها وتحوّلها، واحتواء بعضها لبعض، نتائج دلالية نصية متنوعة تعدّ انعكاسًا لحركة الضمائر في النصّ نفسه، وكذا الجمل المحورية، التي تعد من أهم المفاتيح للولوج إلى بنية النصّ وتحليله؛ ذلك لأن "دلالة الكلام تكون غامضة أحيانا، والضمير هو الذي يوضحها، ويجمع شتات ما تناثر من عبارات وجمل ليربط بينها، فهي مع غيرها من أدوات الإحالة والسبك تكوّن نسيجا نصيا عاليا"(٤)، لا يمكن النظر إليه بمعزل عن السياق أو النص الوارد فيه، ذلك لأن استعمال الضمير يعد ضربا من الاستعمالات اللغوية غير العادية في النص؛ فهو "يرتكز على عناصر تماسك لا يصرّح بها النص، وإنما

(١) ينظر: حمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة "دراسة تطبيقية في سورة الواقعة")، ص:١٤.

(٢) أسماء رأفت شهاب: (نحو النص بين النظرية والتطبيق)، دار الوفاء للطباعة والنشر، (ط:١)، ٢٠١٦م ، الإسكندرية، ص:٤١.

(٣) محمود شرف الدين: (التوابع بين القاعدة و الحكمة)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (ط:١)، ١٩٨٧م، ص:٥.

(٤) صبحي إبراهيم الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص: ١٦٢/١.

تستنتج منه عن طريق أدلة وقرائن معنوية وسياقية ومعرفية"[١]؛ لأنه يفتقر إلى الدلالة في نفسه؛ فهو "عنصر لغوي يحتاج إلى مفسر يعود عليه ليوضحه، ويكشف مدلوله"[٢]، لا يقتصر ربما على جملته الوارد فيها، بل ينطلق منها إلى نطاق أوسع وأشمل. إنه النص في بنيته الكلية الكاملة، حيث إنه لا يمكن أن يُفهم تركيب ما بمعزل عن بنيته النحوية، وعليه لزاما لابد من استجلاء هذه البنية "والمفردات التي تشغلها، والتفاعل القائم بين المفردات ووظيفتها النحوية من خلال سياقها النصي. وهذا تركيز تلخيصه أن التحليل النحوي هو في الوقت نفسه تحليل دلالي"[٣].

إن ورود الضمير في سياق ما في نص ما لا يخلو من دلالة معينة، فحين كان مبهما في ذاته "لا يدل على مسمى كالاسم، ولا على موصوف بالحدث كالصفة، ولا حدث وزمن كالفعل، وإنما جمود يدل على عموم الحاضر والغائب دون دلالته على خصوص الغائب"[٤] يرد في فضاء النص ظاهرا ومقدرا، تغلب عليه "دلالة الاختصار والاقتصاد"[٥]، ولا خلاف أن استعمال العنصر الإحالي يكثر كلما كان مختصرا، يقول السيوطي: "إن الاختصار، هو جل مقصود العرب، وعليه مبنى أكثر كلامهم"[٦] إلا أن الضمير قد يرد لدلالات أخرى غير الاختصار تفهم من سياقي النص (المقالي و المقامي)، وخلفياته (الاجتماعية والتاريخية)، وظروفه المهيمنة عليه استنادًا إلى مقولات لغوية، وغير لغويّة، وما يرتبط بذلك من مشكلات.

وغير خاف على أحد، إسهامات القدماء في هذا النطاق، فلم تكن إشارات الضمائر ومرجعياتها غائبة عند اللغويين والنحاة المتقدمين، إلا أن تناولهم لهذه الظاهرة تميّز بفهم العلاقة الوطيدة

(١) سعيد بحيري: (علم لغة النص)، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان-١٩٩٧م،ص:١١٧.

(٢) روبرت دي بو جراند: (النص والخطاب والإجراء) ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، (ط:١)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص:٢٠٣.

(٣) محمد حماسة عبد اللطيف: (الابداع الموازي، التحليل النصي للشعر)، دار غريب، القاهرة، (د.ت)، ص:٣٠.

(٤) نعمان بو قرة: (المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص:١٢٢.

(٥) محمد عبد الله جبر: (الضمائر في اللغة العربية)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م، ص:١٠٣.

(٦) جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر "المتوفى:٩١١هـ": (الأشباه والنظائر)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩ هـ ، ص: ١/ ٢٨ .

التي تربط بين الضمائر ومفسراتها، كما تميز بالانتباه إلى احتمال تعدد ما يحيل إليه الضمير[١]، يضاف إلى ذلك "الربط بين الأجزاء الداخلية من جهة، وبين الأجزاء الداخلية والخارجية من جهة أخرى"[٢]، ومن ذلك قول الرضي[٣] في شرح الكافية: «وإنما احتاجت الجملة الواقعة خبرًا إلى الضمير؛ لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلَها جزءَ الكلامِ؛ فلابد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير؛ إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض»[٤]، كما عدَّ ابن هشام الضمير الأصل في روابط الجملة بما هي خبر عنه[٥]، فهي النائبة عن الكلمات والعبارات والجمل المتتالية، التي تتعدى وظيفتها إلى الربط بين أجزاء النص المقامية أو المقالية، القبلية أو البعدية[٦]، لذا كانت الضمائر أبرز أدوات السبك النصي، سواء على مستوى الجملة الواحدة أو على مستوى النص .

الضمائر بين اللغة والاصطلاح:

الضمير: على وزن "فَعِيل" بمعنى اسم المفعول، والضمائر: جمع ضمير، و(الضمير من الضمر): "فالضاد والميم والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على دقّةٍ في الشَّيء، والآخر يدلُّ على غَيبةٍ

(١) ينظر: محمد خطابي: (لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص:١٧٣.

(٢) صبحي إبراهيم الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية)، ص:١/١٤١.

(٣) الرضي: هو محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي أو السمناكي النجفي المعروف بالرضي، وبالشارح، وبنجم الدين، ولد سنة ٦٢٤هـ تقريبًا وتوفي في نحو ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م ، من أهل إستراباذ (من أعمال طبرستان)، له: الوافية في شرح الكافية المعروف بـ(شرح الكافية لابن الحاجب)، وشرح مقدمة ابن الحاجب المسماة بالشافية في علم الصرف، وشرحه عليها معروف بـ(شرح الشافية لابن الحاجب)، وشرح القصائد السبع العلويات لابن أبي الحديد. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي "المتوفى: ١٣٩٦هـ": (الأعلام)، دار العلم للملايين، ١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ص:٦/٨٦.

(٤) رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي "المتوفى: سنة ٦٨٦هـ": (شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس – ليبيا، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م، ص: ١/ ٩١.

(٥) ينظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، "المتوفى: ٧٦١هـ": (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، (ط:٦)، ١٩٨٥م، ص: ٤٦٥.

(٦) ينظر: صبحي الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق) ص: ١/١٣٧.

وتستُّر، ومنه: أضمَرتُ في ضميري شيئا؛ أي: غيّبته في قلبي وصدري"[١]، والضمير هو: "السرّ، وهو الشيء الذي تضمره في قلبك، والضمير والمضمر بمعنى واحد من أضمر الشيء: أخفاه وغيَّبَه"[٢].

وإنما سمي مضمرا من قولهم: "أضمرت الشيء إذا سترته وأخفيته، ومنه قوله: (أضمرت الشيء في نفسي، أو من الضمر والهزال)؛ لأنه في الغالب قليل الحروف، ثم تلك الحروف الموضوعة له غالبها مهموسة وهي: (التاء والكاف والهاء) والهمس هو: الصوت الخفي"[٣]، وقيل بل سمي الضمير ضميرا "لكثرة استتاره، فإطلاقه على البارز توسيعا، أو لعدم صراحته كالأسماء المحكمة"[٤].

و ينحصر الإضمار عند النحاة في ثلاثة معانٍ: أولها: الحذف، وثانيها: الإحالةُ إلى الأسماءِ، وثالثها: التقديرُ. وفي هذا يتفق المعنيان: اللغوي والاصطلاحي للضمير[٥].

وشاهد المعنى الأول وهو:(الحذف) ما أطلقه سيبويه على باب حذف الخبر: «هذا باب من الابتداء، يضمر فيه ما يبنى على الابتداء»[٦]، ويقول ابن يعيش[٧]: «وهذا الحذف والإضمار، وإن

(١) أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّاء القزويني الرازي، "المتوفى: ٣٩٥هـ": (مقاييس اللغة)، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م، مادة [ض.م.ر]، ص:٣/ ٢٩٠- ٢٩١.

(٢) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة "المتوفى: ٧١١هـ": (لسان العرب)، دار صادر – بيروت، (ط:٣)، ١٤١٤ هـ ، مادة [ض.م.ر]، ص:٤/ ٤٩٢.

(٣) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري "المتوفى: ٧٦١هـ": (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب)، تحقيق: ح. الفاخوري، دار الجيل- بيروت، ١٩٨٨م، ص:١٥٢.

(٤) فاضل صالح السامرائي: (معاني النحو)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، (ط:١)، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص:٤٢.

(٥) ينظر: حمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة "دراسة تطبيقية في سورة الواقعة")، ص:١٥.

(٦) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "المتوفى: ١٨٠ هـ": (الكتاب)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مكتبة الخانجي، (ط:٣)، ١٩٨٨م، ص: ١٢٩/٢ .

(٧) ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان بن القاضي بشر بن حيان، العلامة موفق الدين أبو البقاء الأسدي الموصلي ثم الحلبي النحوي، ويعرف قديما بابن الصائغ، ولد بحلب في سنة: ٥٥٣هـ، وعاش تسعين سنة، وتوفي في ٢٥ من جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ بحلب .
برع في النحو ، وصنف التصانيف، ومن مؤلفاته: شرح التصريف لابن جني، وشرح المفصل، وغير ذلك، ينظر: الذهبي: (سير أعلام النبلاء)، ص: ١٤٤/٢٣-١٤٥.

كثر فهو فاشٍ في كلام العرب ومطَّرد»[١]، وقد عد جمهور البصريين الحذف مرادفٌ للإضمار، فيما عبَّر الكوفيُّون عن الإضمار بمصطلح "الكناية أو المكنّى ، وهم يرون لفظي الضمير والمكنى مترادفين لا فرق بينهما، في حين يرى البصريون أن المضمرات نوع من المكنيات، فكل مضمر مكنّى، وليس كل مكنّى مضمرا؛ ذلك لأن الكناية إقامة اسم مكان اسم تورية وإيجازا، قد تكون بالأسماء الظاهرة، وقد تكون بالمضمرات"[٢]، لذا عرف ابن يعيش الضمير بقوله: "اسم كني به عن اسم"[٣].

أما شاهد المعنى الثاني فهو: ما يؤديه الضمير من قيامه مقامَ الاسم الظاهر، ومطابقته نوعًا وعددًا، والإحلال محله في الموقعيَّةِ النحويةِ، وقد عبر عن الضمير في كتب النحاة بـ(المضمر، والضمير، وعلامة الإضمار، وعلامة المضمر) ويقوم الإضمارُ على عنصرين: معوَّض، ومعوِّض، وهو خلافُ الحذفِ الذي يقومُ على الاستغناءِ دون تعويض[٤]، يقول ابن فارس[٥]: "من سُنن العرب الإضمار، ويكون على ثلاثة أضرُب: إضمار الأسماء، وإضمار الأفعال، وإضمار الحروف"[٦].

---

(١) (شرح المفصل)، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ط)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، ص: ١/ ١١٥.

(٢) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/٢٩٢، و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي "المتوفى:٩١١هـ": (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، "د.ت"، ص:١/٢٢٣.

(٣) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/٢٩١.

(٤) ينظر: سيبويه: (الكتاب)، ص: ١/ ٣٨٦، والفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد "المتوفى:٢٠٧ هـ": (معاني القرآن)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، (د.ت)، ص: ٢/ ٣٠٨، والمبرد أبو العباس محمد بن يزيد"المتوفى:٢٨٥هـ": (المقتضب)، تحقيق: الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤م، ص: ٤/ ١٢٨، وابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ٣/ ٨٤، وكذا رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي "المتوفى: ٦٨٦هـ": (شرح شافية ابن الحاجب)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص:٢/ ١٢.

(٥) ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ولد سنة:٣٢٩ هـ - ٩٤١م، وتوفي سنة: ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م)، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته،وهو من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، من تصانيفه: مقاييس اللغة، و المجمل، و الصاحبي في علم العربية، و جامع التأويل في تفسير القرآن، وغيرها الكثير، ينظر: الزركلي: (الأعلام)، ص: ١/ ١٩٣.

(٦) (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها)، مطبعة محمد علي بيضون، (ط:١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص: ١٧٦.

أما المعنى الثالث وهو: التقديرُ، فشاهده أن المضارع بعد الفاء السببية عند البصريين ينتصب بإضمار "أنْ" المقدرة؛ لأن الأصل في الفاء أن تكون حرفَ عطف[١]. فالعنصرَ اللغويَّ متى أُضمر قُدِّرَ، فلا إضمارَ بدون تقدير، والعكس صحيح.

وعليه، فالضمير في الاصطلاح هو:

- "أن تذكر اسم المنقول عنه، وتضمره في المخاطبة، بما يدل على اسمه بإشارة أو نحوها"[٢].
- أو هو: "ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب، تقدم ذكره لفظا أو معنى أو حكما، والضمير أعرف المعارف، ويسمى المضمر أو الكناية أو المكنون"[٣].
- أو هو: اسم جامد مبني لا يتغير آخره[٤]، يدلُّ على متكلِّم أو مخاطب أو غائب، وبسبب بنائه لا يثنى ولا يجمع، فلا تلحقه علامة التثنية ولا الجمع، وإنما يدل بذاته وصيغته على المفرد أو المثنى أو الجمع (المذكر أو المؤنث)[٥].

ويعرّف المحدثون الضمائر بأنها: "كلمات ضئيلة الحجم، يعبر كل واحد منها عن معنى مقصود، لا يظهر إلا بما يعين على ذلك[٦]، وتستعيض بها اللغات عن تكرار الأسماء الظاهرة، فهي من أسماء الجنس التي لا يتعين مسماها إلا بواسطة ثلاث قرائن هي:

(١) ينظر: ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد "المتوفى: ٥٧٧هـ": (الإنصاف في مسائل الخلاف)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، (د.ت)، ص: ٢/ ٥٥٧- ٥٥٨.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري "المتوفى: ٢٧٦هـ" : (تلقين المتعلم من النحو)، تحقيق: عبد الله الناصر، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م، ص:١٥٠.

(٣) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام "المتوفى: ٧٦١هـ": (أوضح المسالك على ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، "د.ت"، ص:١/١٣٦، و نور الدين عبد الرحمن الجامي "المتوفى سنة ٨٩٨ هـ": (الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب)، تحقيق: أسامة طه الرفاعي، دار الآفاق العربية، القاهرة، (ط:١)، ٢٠٠٣م، ص:٢/٧٦.

(٤) ينظر: محمد أحمد علي سحلول: (النحو التطبيقي)، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، (ط:١)،١٩٩٢م، ص:١/ ١٠٩.

(٥) ينظر: عباس حسن "المتوفى: ١٣٩٨هـ" : (النحو الوافي)، دار المعارف، مصر، (ط:١)،١٩٩١م، ص:١/٢١٧-٢١٨، "بتصرف".

(٦) إبراهيم أنيس: (من أسرار اللغة)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (ط:٥)، ١٩٧٥م، ص: ٢٩٠.

(التكلم أو الحضور أو الغيبة)"[1].

سبب البناء في الضمائر:

لا خلاف بين النحاة في بناء الضمائر، وإنما وقع الخلاف في سبب بنائها، لشبه الحروف في المعنى، أو الوضع، أو الافتقار، أو الجمود، أو الاستغناء عن الإعراب باختلاف صيغه لاختلاف المعاني. وفيما يلي تفصيل ذلك[2]؛ أما سبب البناء لشبه الحرف في المعنى فذلك؛ "لأن كل مضمر مضمَّن معنى التكلم أو الخطاب أو الغيبة، وهي من معاني الحروف، وقيل لشبه الحرف في الوضع؛ لأن أكثر المضمرات على حرف واحد أو حرفين، وحمل ما وضع على أكثر من ذلك عليه، حملا للأقل على الأكثر".

أما شبه الحرف في الافتقار فذلك؛ "لأن المضمر لا تتم دلالته على مسماه إلا بضميمة مشاهدة أو غيرها، فهي مفتقرة في دلالتها على معناها البتة إلى شيء، وهو المرجع في ضمير الغائب، وقرينة التكلم أو الخطاب في ضمير الحاضر".

أما شبه الحرف في الجمود؛ فذلك "لأنه لا يتصرف في لفظه بوجه من الوجوه حتى بالتصغير ولا بأن يوصَف أو يوصف به، أي: لا يتصرف تصرف الأسماء، وأما نحو:(هما وهم وهن وأنتما وأنتم

(١)فاضل مصطفى الساقي: (أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة)، تقديم: تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص:١١٩، وعبد القادر عبد الجليل : (المعجم المعياري لشبكات الفصائل النحوية)، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، (ط:١)، ٢٠٠٧م، ص:٣٥٣.

(٢) ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك على ألفية ابن مالك)، ص:١٠٢/١، وابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري "المتوفى: ٧٦٩هـ": (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، (ط:٢٠)، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م، ص: ٩٢/١، والأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي "المتوفى: ٩٠٠هـ": (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، (ط:١)، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ص: ٨٨/١، و الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد "المتوفى: ٩٠٥هـ" : (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، (ط:١)، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م،ص: ١/ ١٠١–١٠٠، والصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي "المتوفى: ١٢٠٦هـ": (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، (ط:١)، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م، ص:١٦٤/١.

وأنتن)؛ فهذه صيغ وضعت من أول الأمر على هذا الوجه، وليست علامة المثنى والجمع طارئة عليها".

وفي بنائه للاستغناء عن الإعراب باختلاف صيغه لاختلاف المعاني، "وضعوا للرفع صيغة لا تستعمل في غيره، وللنصب صيغة أخرى، ولم يجيزوا إلا أن تستعمل فيه، فكان مجرد الصيغة كافيا لبيان موقع الضمير، فلم يحتج للإعراب ليبين موقعه، فأشبه الحروف في عدم الحاجة إلى الإعراب، وإن كان سبب عدم الحاجة مختلفا فيهما[١]، وقيل غير ذلك"[٢].

وهذا يعني أن الضمائر تدل جميعا على معان صرفية عامة، هي "عموم الحاضر أو الغائب، دون دلالة على خصوص الحاضر أو الغائب، و من حيث المبنى فالمعروف أن الضمائر ليست ذات أصول اشتقاقية، فلا تنسب إلى أصول ثلاثية، ولا تتغير صورها التي هي عليها، كما تتقلب الصيغ الصرفية بحسب المعاني، ثم هي لا تبقى على صورة واحدة في الأماكن المختلفة من السياق، وإنما يلحقها بعض الظواهر الموقعية من الإشباع والإضعاف، واختلاف الحركة بحسب مناسبة الحركة التي بجوارها، وذلك كالفرق بين له وبه"[٣].

لذا كانت الضمائر جميعها من المبنيات، التي لا تظهر عليها حركات الإعراب، و"لا تقبل بعض علامات الأسماء كالتنوين، ولا تقع عليها، ولا تقع موقع المضاف، وإن صح فيها أن تقع موقع

(١) يقول أبو حيان في بناء الضمير لشبهه بالحرف في الاستغناء عن الإعراب: " وهذا ليس بشيء؛ لأنّ المعاني التي جيء بالإعراب لأجلها هي الفاعليّة والمفعوليّة والإضافة، وليست هذه الأحوال التي عرضت للمضمر من التكلم والخطاب والغيبة تدلّ على شيء من المعاني الإعرابية؛ فلا يصح الاستغناء عنها بهذه الأحوال؛ لأنّها تدلّ عليها"، ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي "المتوفى:٧٤٥هـ": (التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل)، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ودار كنوز إشبيليا، (ط:١)، (د.ت)، ص:٢/٢٨٤.

(٢) ابن هشام: (أوضح المسالك على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٠٢، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ٩٢/١، والأشموني: (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، ص: ٨٨/١، و الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص: ١/ ١٠١-١٠٠، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٦٤.

(٣) تمام حسان: (اللغة العربية معناها و مبناها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط:٢)، ١٩٧٩م، ص:١٠٨.

المضاف إليه، فهي جميعها مفتقرة إلى القرآئن، باعتبارها شرطا أساسيا لدلالتها على معين"[١]، فدلالة الضمير على وجه العموم تمثل صفرا في المعجم أي: "فارغ الدلالة، وبالتالي فإنه لا يقوم بدوره إذا استخدم منفردا، بل لابد له من تركيب يعمل من خلاله"[٢].

ولعل هذا ما جعل بعض علماء اللغة والنحو المحدثين يعدون الضمير فرعا مستقلا من فروع اللغة، فـ"ليس من الأفعال ولا الحروف، وليس من الأسماء خلافا للأقدمين، مشيرين إلى أن اللغويين القدامى قنعوا بذلك التقسيم الثلاثي للكلام من:(اسم وفعل وحرف) متبعين في هذا نهج فلاسفة اليونان، وأهل المنطق من جعل الكلام على ثلاثة أجزاء سموها:(الاسم والفعل والأداة)، وحين حاولوا تحديد المقصود من هذه الأجزاء شق عليهم الأمر"[٣].

وقد انبجست طاقات النحاة الجدد في هذا النطاق عن آراء جديد، يمكن إجمالها فيما يلي:

١- "توسيع أقسام الكلام إلى أربعة أقسام هي: (الاسم والفعل والضمير أو "الكناية" و الأداة).

٢- توسيع أقسام الكلام إلى سبعة أقسام هي: (الاسم والفعل والأداة والصفة والضمير والخالفة والظرف)"[٤].

وعليه، فإن "أساس هذه التقسيمات الجديدة في تحديد أجزاء الكلام و تعريفه هو وجوب مراعاة: (المعنى، والصيغة، ووظيفة اللفظ في الكلام) "[٥].

هنا يمكن إعمال النظر في تلك التحديثات الجديدة، هل تبدو ملاحظة القدماء لأجزاء الكلام وتحديدها قاصرة؟! إذا كان الافتراض بخلق جزء خاص للضمائر المبهمة في معناها، وخروجها من جزء الاسم وخاصته، لدلالتها الصفرية، وخلوّها من خصائص الاسم كالتصغير والتثنية، والإعراب. فكيف يمكن التخلص من وقوعها على مستوى الجملة في علاقة الاسناد (مسند ومسند إليه)؟، وهذا لاشك

(١) تمام حسان: (اللغة العربية معناها و مبناها)، ص:١٠٨، و فؤاد حنا ترزي: (في أصول اللغة والنحو)، مطبعة دار الكتب، بيروت- لبنان، (د.ت)، ص:١٤٩-١٤٨.

(٢) أشرف عبد البديع عبد الكريم: (علوم اللغة البنية الدلالية والإحالية للضمائر) ، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٦م، (المجلد:٩)، العدد:٣، ص:١٦.

(٣) تمام حسان: (اللغة العربية معناها ومبناها)، ص:٨٨.

(٤) إبراهيم أنيس: (من أسرار اللغة)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (ط:٥)،١٩٧٥م، ص:١٩٥-٩٣، "بتصرف "، و فاضل مصطفى الساقي: (أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة)، ص:١٠٦.

(٥) إبراهيم أنيس: (من أسرار اللغة)، ص:٢٦٥.

خاص بالأسماء، مقصور عليها، "فإذا كان الضمير قائما بذاته أو مؤكدا كما يسمونه، فإنه يلعب دور الاسم بالضبط"(١)، فعندما وضع القدامى للكلمة أقساما ثلاثة، كان مرجع بعضهم في ذلك وجهة نظر تنبني على تأليف الجملة وإسنادها، أي: أنهم "جعلوا أساس التقسيم قائما على تركيب الجملة، وصلاحية كل كلمة في هذا التركيب، وهي وجهة نظر وظيفية، فما كان من الكلمات واقعا مسندا في الجملة أو مسندا إليه؛ فهو (الاسم) فيها، وما كان صالحا لأن يقع مسندا فقط فهو (الفعل)، وما كان غير صالح لذلك؛ فلا يقع مسندا ولا مسندا إليه فهو (الحرف)"(٢).

ومن هنا يمكن القول بـ"أن وجهة النظر هذه تنبني أساسا على ما للكلمة من وظيفة نحوية، وبناء على ذلك تحدد طبيعتها فالضمائر أسماء؛ لأنها تقوم بوظيفة الاسم تماما، فتقع مسندا ومسندا إليه، فاعلا ومفعولا، ومبتدأ ونعتا، ومضافا إليه..... كما يصلح أن يكنى بها عن كل ما هو اسم، لذلك وجب أن لا تكون قسما مستقلا من أقسام الكلم، وأن تُسْلَك في فصيلة الأسماء"(٣).

الضمائر بين التعريف والتنكير:

(أ) أصالة التعريف في الضمائر:

الضمائر أسماء – بلا ريب– وربما كان هذا دافعا لكثير من النحويين فعدّوها معارف بل أعرف المعارف، "ليليها العلم، ثم اسم الإشارة، ثم الموصول، ثم المحلى بالألف واللام، في حين عدها فريق آخر مبهمات تحتاج إلى تفسير وإيضاح"(٤).

وإنما عدّ من عدّ الضمير من المعارف لدلالته على التعريف منذ بادئ الأمر، وفي ذلك يقول سيبويه: "إنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمر اسما بعدما تعلم أن من يُحدّث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه"(٥)، ويقول المبرد: "هو معرفة لأنك لا تضمر إلا بعد ما يعرفه

(١) جوزيف فندريس Joseph Vendryes "المتوفى: ١٣٨٠هـ": (اللغة)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٠م، ص:١٥٧.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي "المتوفى: ٩١١هـ": (الأشباه والنظائر في النحو)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:١)، ١٩٨٥م، ص:٣/٢.

(٣) فوزية دندوقة: (ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر– بسكرة، الجزائر، ٢٠١٠م، العدد:٦،ص:٥.

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) سيبويه: (الكتاب)، ص: ٢٢٠/١.

السامع؛ وذلك أنك لا تقول: مررت به، ولا ضربته، ولا ذهب، ولا شيئا من ذلك حتى تعرفه وتدري إلى من يرجع هذا الضمير"[(١)]، والاقتران إنما هو بالنسبة لضميري التكلم والخطاب يعني: الاقتران الحضوري، ولذلك عدها السيوطي من المعارف التي تتعرف بقرينة زائدة عليها؛ حيث يقول في القرينة: "إما أن تكون متقدمة أو متأخرة والمتقدمة إما أن تكون متصلة أو منفصلة، فالمتصلة الألف واللام؛ فالاسم قبلهما نكرة، فإذا صار معرفة بعد دخولهما عليه؛ كان ذلك التعريف منسوبا إليهما لحدوثه عندهما، والمنفصلة إما أن تعرف بالقصد، وهي حروف النداء، أو بغيره، وهي القرائن المعرفة الضمائر، كقولنا: أنا للمتكلم، وأنت للمخاطب، لأن كلا من المتكلم والمخاطب لا يلتبس على السامع بغيره"[(٢)] أي؛ أن الضمير يتوضح بمرجعه واقترانه بما يحتاج إليه في مقام الدلالة [(٣)]، فهو أصلي التعريف، دون تغير معناه إلى التنكير، فـ"لم يضمر إلا وقد عُلِم لمن يعود، نحو: (هو وأنت وإياك)، و(الهاء) في غلامه وضربته، و(الكاف) في غلامك وضربك، و(التاء) في قمتُ، وقمتَ، وقمتِ، ونحو: (أنا ونحن) وما أشبه ذلك من المضمرات" [(٤)].

غير أن هذا التقسيم لم يعجب أيّا من المحدثين، وخاصة القول بأن الضمير معرّف بالقرائن، وقد ذكر الدكتور أحمد عفيفي أن هذه القران المقصودة لم توضح، لذا كان تقسيم الاسم المعرّف عند المحدثين إلى قسمين عامين: "الأول: معرّف بنفسه، والآخر: معرّف بقرينة زائدة عليه، فأما القسم الأول، فينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام: أحدها: معرّف بالنظر إلى مسماه وهو العلم، والثاني: معرّف بحسي معناه الأصلي، وهو الضمير واسم الإشارة والموصول، والثالث: معرّف بالتبعية وهو أجمعون

(١) المبرد: (المقتضب)، ص: ٢٨٠/٤، وابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٨٦/٥.

(٢) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين "المتوفى ٦١٦هـ": (المتبع في شرح اللمع)، تحقيق: عبد الحميد حمد محمد محمود الزوي، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، (ط:١)، ١٩٩٤م، ص:٤٥٢/٢- ٤٥٣، و يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العُبَادي العُقَيلي، جمال الدين السُّرَمَرِّي "المتوفى٧٧٦هـ": (اللؤلؤة في علم العربية وشرحها)، تحقيق: أمين سالم، مطبعة الأمانة، مصر، (ط:١)، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، ص: ٤٦-٤٧، والسيوطي: (الأشباه والنظائر في النحو)، ص: ٤٩/٢.

(٣) ينظر: المنصف عاشور: (ظاهرة الاسم في التفكير النحوي: بحث في مقولة الاسمية بين التمام و النقصان)، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، (ط:١)، ١٩٩٩م،ص:٢٣٤.

(٤) إبراهيم صالح الحندود: (درجات التعريف والتنكير في العربية)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ، (الجزء:١٩)، (العدد:٣١)، ص: ٤٠٨-٤٠٩.

وجمعاء وجمع، وأما القسم الآخر فينقسم إلى: معرف بقرينة متقدمة، وهي إما منفصلة بالقصد، وهي المنادى المقصود، أو متصلة، وهي المعرف بأل، أو بقرينة متأخرة، وهي المعرف بالإضافة"[١].

(ب) تفاوت الضمائر في التعريف:

لقد أجمع النحاة على أن الضمائر تتفاوت في التعريف، فبعضها أعرف من بعض، و"أن أعرفها وأخصها ضمير المتكلم، لأن دلالته ترجع إلى المتكلم أو المتكلمين، فهو إذن لا يمكن أن يوهمك شيئا آخر، إذ المتكلم أعرف بنفسه من المخاطب والغائب، ثم ضمير المخاطب الذي يلي ضمير المتكلم في الحضور والمشاهدة، وهو أوضح صورة من ضمير الغائب، ثم ضمير الغائب الذي يأتي في المرحلة الأخيرة؛ لأنه يحتاج إلى لفظ يفسره داخل التركيب، ويعيّن المقصود به"[٢]، وهذا الأمر لا يقتصر على العربية وحدها، ولكنه عام في كل اللغات[٣]، إذ ليس من العسير ملاحظة أن ضمائر الغيبة "ألفاظ مبهمة توقع في اللبس، وتحتاج إلى البيان، ولا يمكن استعمالها بغير ما تشير إليه من أسماء ظاهرة، بل حتى ضمائر التكلم التي ظن النحاة أنها من الوضوح والجلاء، بحيث لا تحتاج إلى بيان أو تعريف تبرهن استعمالات اللغة على أنها لا تكاد تزيد وضوحا عن غيرها من الأسماء الأخرى، وليس ما يسميه النحاة بالتخصيص في العبارات كـ(نحن المسلمون) إلا بيانا للضمير، وتوضيحا له عن طريق اسم ظاهر"[٤].

(ج) الخلاف في الضمير العائد على نكرة: أمعرفة هو أم نكرة؟

لا خلاف بين النحويين في أن ضمير الغائب، إن عاد على معرفة؛ فهو معرفة نحو: (مررت بزيد فأكرمته)، وإنما وقع الخلاف بينهم في ضمير الغائب العائد على النكرة، نحو: (مررت برجل فأكرمته)

(١) أحمد عفيفي: (التعريف والتنكير في النحو العربي)، دار الثقافة العربية، القاهرة، (ط:١)، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، ص:٢٥.

(٢) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ٨٤/٣، وكذا الرضي: (شرح الكافية)، ص:٢/ ٣١٢، و أحمد عفيفي: (التعريف والتنكير في النحو العربي)، ص:٧٦.

(٣) ينظر: محمد جبر: (الضمائر)، ص:٩٥.

(٤) إبراهيم أنيس: (من أسرار اللغة)، ص:٢٧٥، وكذا فوزية دندوقة: (ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة)، ص:٦-٧.

قال ابن الحاجب[١]: "الضمير لا يتنكر، لأنه أعرف المعارف غالبا"[٢]، فـ"أكثر النحويين على أنه معرفة مطلقا كسائر الضمائر"[٣].

وذهب بعضهم إلى أنه نكرة، مدلوله كمدلول من يعود عليه، وإذا كان الأول نكرة؛ وجب أن يكون الثاني كذلك؛ إذ التعريف والتنكير باعتبار المعاني لا باعتبار الألفاظ، ورد على هذا الرأي بأنه يخصصه من حيث هو مذكور[٤].

والراجح أن الضمير العائد إلى النكرة معرفة، إن خصصت النكرة بحكم سابق، نحو:(جاءني رجل فأكرمته)؛ لأن الهاء العائدة على رجل في المثال ليست شائعة شيوع رجل، وإنما هي للرجل الجائي خاصة[٥].

أقسام الضمائر:

تتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب، وتنقسم إلى: بارزة ومستترة، والبارزة تنقسم إلى: متصلة ومنفصلة،

(١) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي. ولد سنة: ٥٧٠هـ = ١١٧٤م وتوفي سنة: ٦٤٦ هـ =١٢٤٩ م، فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، كردي الأصل، ولد في إسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية، وكان أبوه حاجبا فعرف به، من مؤلفاته: الكافية في النحو، والشافية في الصرف، ومختصر الفقه، و الأمالي النحوية، و الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري، و الأمالي المعلقة عن ابن الحاجب، وغيرها الكثير. ينظر: الزركلي: (الأعلام)، ص: ٢١١/٤.

(٢) ابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي "المتوفى: ٦٤٦هـ" : (الأمالي النحوية أمالي القرآن الكريم): تحقيق: هادي حسن حمودي، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية، بيروت، (ط:١)، ١٤٠٥هـ، ص:٢٥١/٢.

(٣) أبو حيان الأندلسي: (التذييل والتكميل)، ص:١١٥/٢، والسيوطي: (المطالع السعيدة)، تحقيق: طاهر حموده، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، (ط:١)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص: ١٢٩، و (الهمع)، ص: ١٩٣/١، والصبان: (حاشية الصبان)، ص:١/ ١٠٨.

(٤) ينظر: محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني "المتوفى: ٨٢٧ هـ" : (تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، الرياض، (ط:١)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص:٩/٢، وأيضا السيوطي: (المطالع السعيدة)، ص:١٢٩، و(الهمع)، ص: ١/ ١٩٣، وكذا أحمد عفيفي: (التعريف والتنكير في النحو العربي)، ص:٧٤.

(٥) ينظر: أحمد عفيفي: (التعريف والتنكير في النحو العربي)، ص:٧٤.

والمستترة تنقسم إلى قسمين، هما: واجبة الاستتار، وجائزة الاستتار، كما تنقسم ضمائر الحضور إلى قسمين هما: ضمائر المتكلم نحو:(أنا) وضمائر المخاطب نحو:(أنت)[١].

وهناك من قسمها كما يذكر الدكتور صبحي الفقي إلى قسمين، هما:

١-ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن،... الخ، وهي الدالة على "الذات".

٢-ضمائر ملكية مثل: بيتي، بيتك، بيتهم، بيتنا... الخ.[٢].

وكلاهما ينقسم باعتبار الدلالة إلى ثلاثة أنواع، هي: ضمائر التكلم، وضمائر الخطاب، وضمائر الغياب، وتنقسم بحسب الموقع الإعرابي إلى: ضمائر الرفع وضمائر النصب وضمائر الجر، وبحسب الوظيفة النحوية تكون الضمائر: فاعلا أو نائب فاعل، أو مفعولا به، أو اسم الناسخ، أو مجرورا، أو تابعا، والضمير البارز له صورة في التركيب لفظا وكتابة، وهو قسمان: منفصل ومتصل[٣].

والضمير المنفصل:

هو ما يمكن أن يستقل بنفسه نطقا، ولا يحتاج إلى كلمة أخرى يتصل بها، أي: أن الضمائر المنفصلة لا يعتمد في وجودها على فعل أو اسم أو أداة، ويبتدئ النطق بها، وتقع بعد إلا، وقد سمي المنفصل منفصلا لانفصاله عن الفعل وتقدمه عليه، فصار بمنزلة الاسم الظاهر، وهي على ضربين من حيث الموقع الإعرابي: ضرب مختص بالرفع، وضرب مختص بالنصب[٤]،وتنقسم بحسب الدلالة إلى: متكلم ومخاطب وغائب.

---

(١) ينظر: ابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/٨٨ ،٨٩ ،٩٠، "بتصرف"، وكذا ناظر الجيش: (شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»)، ص:١/٤٤٩.

(٢) ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٠م، ص:١/ ١٣٧.

(٣) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/٩٣، وكذا ناظر الجيش: (شرح التسهيل)، ص:١/٤٤٩ وما بعدها.

(٤) ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي "المتوفى: ٣٩٢هـ": (اللمع في العربية)، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، (ط:٢) ،١٩٨٥م-١٤٠٥هـ ، ص:١٦٠، وأيضا الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي "المتوفى٥٢٩هـ": (البيان في شرح اللمع لابن جني)، تحقيق: علاء الدين حمويه، دار عمّار، عمّان ، (ط: ١)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص:٣٢٧، ومحمد عيد: (النحو المصفى)، مكتبة الشباب، القاهرة- مصر، ١٩٨٠م، ص: ١٤٠، وكذا مهدي المخزومي: (في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث)، (د.ن)، الرياض، (ط:٣)، ١٩٨٥م، ص:٤٦، وأحمد عبيد، وعبد الغني الدقر: (معجم النحو)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:٣)، ١٩٨٦م-١٤٠٧هـ، ص:٢١٥.

(١) ضمائر الرفع المنفصلة:

وهي الضمائر التي تقع في محل الرفع دائما، فتقوم مقام المبتدأ، أو الفاعل، أو اسم ما النافية الناسخة، أو التوكيد، أو البدل، أو المعطوف، وتنقسم إلى:

ضمائر المتكلم:

وهي الضمائر الدالة على المتكلم، وليس للدلالة على الجنس وجود في صيغ المتكلم، أي أنه لا يميز بين الأنواع، وإنما يميز بين العدد مفردا وجمعا بـ(أنا ونحن)، دون اصطلاح خاص بالمثنى[١]، وهذه الضمائر لا تحيل إلا على صاحب القول، فهي تحيل إلى المرسل الذي يعتبر "الذات المحورية في الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه"[٢]، فالمتكلم حين يملك اللغة و"يتحكم فيها يجعلها من إمكاناته، و ينصّب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخطابية"[٣].

وصيغتيه هما: أنا: ويستعمل للمتكلم المفرد وحده، ذكرا كان أو أنثى[٤].

نحن: وهو للمذكر والمؤنث المثنى والجمع، وللمتكلم مع غيره، أو للمتكلم المفرد المعظم لنفسه، ولا يستعمل للجمع فقط، بل يستعمل للمثنى أيضا،[٥] وقد قسمت "لاكوف" دلالة "نحن" إلى قسمين هما:

---

(١) ينظر: هنري اليسوعي فليش: (العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد)، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثيولوكية، بيروت،١٩٦٦م، ص:١٦٢، وإسماعيل أحمد عمايرة: (ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية "دراسة لغوية تأصيلية")، مركز الكتب العلمي، عمان-الأردن، (ط:١)، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م، ص:٥٥، و أحمد عبيد والدقر: (معجم النحو)، ص:٢١٥، وعبد الرحمن محمد أيوب: (دراسات نقدية في النحو العربي)، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، (د.ت)، ص:٧٣.

(٢) عبد الهادي بن ظافر الشهري: (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، (ط:١)، ٢٠٠٤م، ص:٤٥.

(٣) ذهبية حمو الحاج: (لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب)، دار الأمل، (د.ط)، ١٩٨٨م، ص:٩٧.

(٤) ينظر: الشريف عمر الكوفي: (البيان في شرح اللمع لابن جني)، ص:٣٢٧، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص: ٥٠٠/١.

(٥) ينظر: الشريف عمر الكوفي: (البيان في شرح اللمع لابن جني)، ص:٣٢٧، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص: ٥٠٢/١، وإبراهيم أنيس: (من أسرار اللغة)، ص:١٥٥.

(١) نحن الشاملة: (نحن القاصرة أو الخاصرة).

حيث يدخل المرسل إليه في الصنف الأول، ويخرج من الصنف الثاني، ويدل كل من القسمين على التضامن مع اختلاف طفيف في الدرجة، فالأولى تتضمن قوة عاطفية؛ لأنها تجمع بين المرسل والمرسل إليه، وكأنهما مرسل واحد، في حين يظهر المرسل في القسم الثاني، وكأنه يمارس نوعا من السلطة والصلاحية[١].

وقد علل ابن يعيش عدم وجود ضمير مثنى للمتكلم بقوله: "إن التثنية والجمع في هذا الضمير ليست على منهاج غيرها من الأسماء الظاهرة؛ لأنه لم يرد ضم متكلم إلى متكلم كما كان التثنية ضم اسم إلى اسم، وإنما للمتكلم يتكلم عن نفسه وغيره، ولم يكن المتكلم مما يلبس بغيره لإدراكه بالحاسة فلم يحتج إلى الفصل بين التثنية والجمع والتأنيث والتذكير"[٢].

ضمائر المخاطب:

وهي الضمائر الدالة على الخطاب، وتتبعها صيغ للدلالة على الجنس، والتمييز بين الأنواع، والعدد المفرد والمثنى والجمع، "والمخاطب دائما حاضر بالاقتضاء، بخلاف المتكلم فهو حاضر في البنية، والبنية دون اقتضائها لا وجود لها"[٣]، لذلك فإن ضمائر الخطاب ببنيتها تدل على حدث الخطاب، واستحضار المخاطب بلا شك يساهم في حركية الخطاب[٤].

أما صِيَغُهُ فهي: أنتَ للمخاطب، وأنتِ للمخاطبة، وأنتما للمخاطبَيْنِ والمخاطبتين، وأنتم للمخاطبِيْنَ، وأنتن للمخاطبات[٥].

وهذا التعدد في صيغ المخاطب علله ابن يعيش بقوله: "فأما المخاطب؛ فإنك تفصل بين مذكره ومؤنثه وتثنيته وجمعه بالعلامات؛ لأن تعريفه دون تعريف المتكلم؛ لأنه قد يلبس بأن يخاطب واحدا ويكون بحضرته غيره، فيتوهم انصراف الخطاب إلي غير المقصود، وليس كذلك المتكلم لأنه إذا تكلم غيره لا يشتبه به، فلذلك تقول: (أنت)"[٦] .

---

(١) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية)، ص:٢٩٢-٢٩٣.

(٢) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٩٤/١.

(٣) نرجس باديس: (المشيرات المقامية في اللغة العربية)، مركز النشر الجامعي، تونس، (د.ط)،٢٠٠٩م، ص:٢٤٣.

(٤) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية)، ص:٤٨.

(٥) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:٩٧/١، والمخزومي: (في النحو العربي)، ص:٤٦.

(٦) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٩٥/٣.

ضمائر الغائب:

وهي الضمائر التي يكنى بها عن الغائبين، وتعد أكثر الضمائر غموضا وبحاجة إلى مرجع يفسرها، ويوضح المراد منها، فكان شرط النحاة فيها أن يكون:" لكل ضمير غيبة مرجع يعود إليه، متقدم عليه إما لفظا ورتبة، وإما لفظا، وإما رتبة، وقلما يعود إلى غير مذكور لا لفظا ولا معنى، ولا يكون ذلك إلا عند قيام قرينة لدى السامع على المقصود منه[١]"، وتنقسم هذه الضمائر تبعا للجنس والعدد إلى الأنواع التالية:

هو: للغائب المفرد، هي: للمفردة الغائبة، نحو: "هي أختك"، وتقع للجمع أيضا عاقلا أو غيره نحو: "هي الرسل، وهي الرجال، وهي الجمال"، هما: للاثنين أو الاثنتين، هم : للغائبين العقلاء ولا يكون لغير العاقل نحو: "هم الرجال" ولا يصح "هم الجمال"، ويصح نحو: "هم في الدار" إذ عُنِيَ الرجال، ولا يصح نحو: "هم في الدار" إذا عُنِيَ الجمال، هن: للغائبات.[٢]

والسبب في تنوع هذه الضمائر وتعددها، هو ذات السبب في تنوع ضمائر الخطاب وتعددها، وقد ذكر ابن يعيش ذلك بقوله: "فأما ضمير الغائب فإنه يثنى ويجمع، ويبين بعلامة المؤنث، وهو أولى بذلك، من أنه ضمير ظاهر قد جرى ذكره، والظاهر يثنى ويجمع ويؤنث، فكذلك ما ناب منابه"[٣].

(٢) ضمائر النصب المنفصلة:

وهي الضمائر المبدوءة بـ(إيَّا) متبوعة بدليل يراد به المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، وعددها اثنا عشر ضميرا، تستعمل في المواضع التي تتطلب حالة النصب، عندما لا يمكن أن يستعمل الضمير المتصل[٤]، وقد اختلف النحاة حول اللواحق التي تقع بعد: (إيَّا)، فذهب الخليل واختاره ابن مالك إلى أن هذه اللواحق أسماء مضافة إلى: إيَّا، ورأى سيبويه أن إيَّا، هي الضمير والكاف والياء والهاء لواحق للدلالة على أحوال المرجوع إليه، ولا محل لها من الإعراب، إنما هي علامات كالتنوين، وتاء

(١) ابن هشام: (شذور الذهب)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا، (د.ط)، (د.ت)، ص:١٧٦، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:٥٣٩/١، وسعيد الأفغاني: (الموجز في قواعد اللغة العربية)، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د.ط)،٢٠٠٣م، ص:١٠٥-١٠٦.

(٢) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:٩٨/١، والمخزومي: (في النحو العربي)، ص:٤٦.

(٣) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٩٥/٣-٩٦.

(٤) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:٩٨/١، وعزيزة فوال بابتي، (المعجم المفصل في النحو العربي)، دار الكتب العربية، بيروت – لبنان،(د.ت)، ص:٥٨٣/١، وأيوب:(دراسات نقدية في النحو)، ص:٦٧.

التأنيث، وياء النسب، وإلى ذلك ذهب الزمخشري[١]، وقال الفراء إن: إيَّا ليس ضميرا وإنما هو حرف عماد والضمير هو اللواحق، وزعم الزجاج أن الضمائر هي اللواحق وأن إيَّا اسم ظاهر مضاف للكاف والهاء والياء، وقد ذكر ابن يعيش أن هذا الضرب من المضمرات فيه إشكال، ولذلك اختلف العلماء فيه.[٢]

كما وصف الدرس اللغوي الحديث (إيَّا) بالمورفيم الفريد، وهو: المورفيم الذي يحدث مرة واحدة فقط في لغة ما، فهي لا تأتي في اللغة العربية إلا في هذا السياق، وليس لها وظيفة أخرى غير هذه الوظيفة، وهي الاشتراك مع الضمائر المتصلة، لتؤلف ضمائر النصب المنفصلة[٣].

وتنقسم بحسب الحضور والغيبة والعدد والجنس إلى ما يلي:

ضمائر المتكلم:

وهي الضمائر الدالة على المتكلم، وصيغتيه هما: إياي: للمتكلم المفرد المذكر والمؤنث، وإيانا: للتثنية والجمع[٤].

ضمائر المخاطب:

وهي الضمائر الدالة على الخطاب، وصِيَغُهُ هي: إياكَ: للمخاطب، وإياكِ: للمخاطبة، وإياكما للمخاطَبَيْنِ والمخاطبتين، وإياكن: للمخاطبات، وإياكم: للمخاطَبِيْنَ. [٥]

ضمائر الغائب:

وهي الضمائر الدالة على الغياب، وصِيَغُهُ هي: إياه: للغائب، وإياها: للغائبة، وإياهما: للغائبَيْنِ

---

(١) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله "المتوفى: ٥٣٨هـ" : (المفصل في صنعة الإعراب)، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، (ط:١)، ١٩٩٣م، ص:١٦٦/١، و ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٩٨/٣، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٥٠٦/١-٥٠٩، (بتصرّف).

(٢) ينظر: ابن الأنباري: (الانصاف في مسائل الخلاف)، ص:٦٩٥/٢، وابن يعيش: (شرح المفصل)،ص: ٩٨/٣، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٥٠٦/١-٥٠٩، (بتصرّف).

(٣) ينظر: أشواق محمد النجار: (دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية)، دار دجلة، عمان، (ط:١)، ٢٠٠٥م، ص:١٦٢.

(٤) ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٠٥/١، و الشريف عمر الكوفي: (البيان في شرح اللمع لابن جني)، ص: ٣٣٧-٣٣٦.

(٥) ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٠٥/١، والشريف عمر الكوفي: (البيان في شرح اللمع لابن جني)، ص: ٣٣٧-٣٣٦.

والغائبتين، وإياهم: للغائِبِيْنَ، وإياهن: للغائبات.[١]

أما **الضمير المتصل**؛ فهو الذي يلحق بآخر الكلمة، وهو جزء منها، ولا يقع في صدر الكلمة، أوفي صدر جملتها، ولا يجوز أن يفصل بينهما في حالة الاختيار فاصل كحرف العطف، أو الاستثناء، أو التابع[٢]،أو هو الضمير الذي لا ينفك عن اتصاله بكلمة، ومن العلماء "من يرى أن الضمائر المتصلة هي ضمائر منفصلة في الأصل، التصقت بأواخر الأفعال الماضية على شكل لاحقة، فقالوا بادئ الأمر: ذهب أنتم، وذهب هما، وذهب هن، ثم التصقت الضمائر بالأفعال، فقيل في حال الفاعلية: ذهبتم، وذهبا، وذهبن"[٣].

والضمائر المتصلة على ثلاثة أضرب: مرفوع، ومنصوب، ومجرور، تتصل بالاسم، أو الفعل، أو الحرف، وتقع: فاعلا، أو نائب فاعل، أو اسم كان، أو اسم كاد، أو مفعولا به، أو اسم إن، أو مجرورا بالإضافة، أو مجرورا بالحرف، وعلامتها أنها لا تستقل لفظا، ولا يفتتح بها الكلام، ولا تقع بعد إلا[٤].

ضمائر الرفع المتصلة:

تقع الضمائر في محل رفع متى ما اتصلت بالفعل، فتقوم مقام الفاعل، أو نائب الفاعل، أواسم كان، أو اسم كاد، وضمائره هي: (التاء "تاء المتكلم والمخاطب"- النون "نون النسوة"- نا "المتكلمين"— الواو "واو الجماعة"-الألف "ألف الاثنين"- الياء "ياء المخاطبة") [٥].

ضمائر النصب المتصلة:

تقع الضمائر في محل نصب متى ما اتصلت بالفعل، فتقوم مقام المفعول به، أو اسم الناسخ إذا اتصل بـ:(إن) المشبهة بالفعل وبأخواتها، وضمائره هي: (الكاف "كاف

(١) ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٠٥، والشريف عمر الكوفي: (البيان في شرح اللمع لابن جني)، ص: ٣٣٧-٣٣٦.

(٢) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/ ٨٩، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/٩٨.

(٣) أشواق محمد النجار: (دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية)، دار دجلة، عمان، (ط:١)، ٢٠٠٥م، ص: ١٥٧.

(٤) ينظر: الشريف عمر الكوفي: (البيان في شرح اللمع لابن جني)، ص:٣٤٠، و ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/٩٣-٩٥، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/٩٩-١٠٠.

(٥) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/٩٣-٩٥، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/٩٩-١٠٠.

الخطاب"- نا "المتكلمين"- الهاء "هاء الغيبة"- الياء "ياء المتكلم") [١].

ضمائر الجر المتصلة:

تقع الضمائر في محل جر متى ما اتصلت بالاسم، فتقوم مقام المضاف إليه، وضمائره هي: (الكاف "كاف الخطاب"-نا "المتكلمين"- الهاء "هاء الغيبة"-الياء "ياء المتكلم")، وكذلك تقوم مقام الاسم المجرور متى ما اتصل بالحرف[٢].

- **الضمير المشترك في الرفع والنصب والجر** هو: (نا "المتكلمين")[٣] حيث يقع مرفوعا، وذلك نحو:(أكلنا)، ومنصوبا نحو: (إننا)، ومجرورا نحو: (لنا).
- **الضمائر المشتركة في النصب والجر** هي: (الكاف "كاف الخطاب"-نا "المتكلمين"- الهاء "هاء الغيبة"-الياء "ياء المتكلم") فتقع الكاف في محل نصب، نحو: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ) [سورة الضحى:٣] فالكاف في ودعك في محل نصب مفعول به، والكاف في ربك في محل جر بالإضافة، وتقع نا في محل نصب نحو: (إننا) وفي محل جر نحو:(لنا)، كما تقع الهاء في محل نصب، نحو: (قَالَ لَهُ صاحِبُهُ وهُوَ يُحَاوِرُه) [سورة الكهف:٣٧] فالهاء من "يحاورُه" في محلِّ نصبٍ على المفعُوليَّة، والهاءُ من (له) في محلِّ جرٍّ بالإضافة، وتقع الياء في محل نصب نحو:(أكرمني) وجر نحو: (ربي).

أما من حيث الموقع في الكلام فينقسم الضمير إلى: بارز ومستتر، فالبارز هو ماله صورة في الكلام، أو ما لفظ به كالكاف في (أخوك)[٤]، والمستتر: ما لا صورة له في الكلام والكتابة بل يكون مقدرا في نية المتكلم، وهو عند بنفست (Benveniste) "شكل فارغ دون مضمون ما دام لم يدخل في السياق، لكن هذا الشكل أو الصيغة تجد لنفسها محتوى انطلاقا من لحظة تلفظ الفرد بها ضمن حال الحديث"[٥]، وهو قسمان:

---

(١) ينظر: الشريف عمر الكوفي: (البيان في شرح اللمع لابن جني)، ص:٣٤٠، و ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/٩٣-٩٥، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/٩٩-١٠٠.

(٢) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/ ٩٣-٩٥، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/٩٩-١٠٠.

(٣) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/٩٣.

(٤) ينظر: ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ٣/٨٤.

(٥) ذهبية حمو الحاج: (لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب)، ص:٩٨.

١-واجب الاستتار، لا يحل محله الاسم الظاهر، ويقع بعد الفعل المضارع المخاطب مع (أنت)، أو بعد الفعل المضارع المتكلم مع (أنا) و(نحن)، أو بعد فعل الأمر المخاطب مع (أنت)، أو بعد اسم الفعل المتكلم مع(أنا)، أو بعد فعل الاسْتِثْناء" كـ "خَلاَ"[(١)]، أو بعد أفعلَ في التَعَجُّبِ، أو بعد أفعلَ في التَّفضيل، أو بعد اسمِ الفعلِ غير الماضي كـ "أوَّه"، أو بعد المصدر النائب عن فعله.

٢-جائز الاستتار يحل محله الاسم الظاهر، ويقع بعد الفعل الماضي الغائب مع (هو وهي)، أو بعد الفعل المضارع الغائب مع (هو وهي)، أو بعد اسم الفعل الغائب مع (هو وهي)، أو بعد الفعل الناقص الغائب مع (هو وهي)، أو بعد الصِّفاتِ المِحْضَة[(٢)].

وهذا التقسيم خاص بضمائر الرفع؛ لأن المواقع الإعرابية التي تستلزم حالة الرفع موقع رئيس في الجملة العربية لا يمكن الاستغناء عنها، بعكس مواقع النصب والجر، ويسمي النحاة الكلمة التي تقع في موقع رئيس في الجملة عمدة، ويسمون الكلمة التي تقع في غير المواقع الرئيسة فضلة[(٣)].

ومن المعروف أنه إذا تقدم الفاعل على فعله، وانعكست الجملة الفعلية، نحو: (محمد حضر)؛ فإن الفاعل هنا مستتر تقديره (هو) "وفكرة هذا الضمير المستتر كما يراها المحدثون من اختراع النحاة المتقدمين بلا شك، فهم حين رأوا أن الفعل لابد له من فاعل يسند إليه، ويذكر بعده، نحو قولهم: (حضر محمد)، فإن لم يظهر الفاعل، ولم يسند إليه ضمير بارز قُدِّر ضمير مستتر بعده يجعل عملية الإسناد صحيحة"[(٤)]، فإن تقدم (محمد) في الجملة السابقة، بحيث تحولت من الفعلية إلى الاسمية، (محمد حضر) وجب تقدير ضمير يعود على المبتدأ، (الفاعل في الأصل)، ليصبح الفعل (حضر) وفاعله (الضمير المستتر/هو) خبرا (لمحمد)، ويرى برجشتراسر رأيا مخالفا لهذا المذهب فيقول: "الأكثر والأقرب للاحتمال هو أن يكون معنى (زيد جاء) عين معنى (جاء زيد)، وإنما الفرق بينهما أني إذا

(١) "خلا" متردد بين الفعلية والحرفية بالإجماع مالم تتقدم عليها "ما" المصدرية، وإلا تعينت للفعلية ولزمت المضي، ونصب ما بعدها على أنها فعل جامد لوقوعه موقع "إلا" وفاعله ضمير مستتر وجوبا". ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:٢/٢٢١،و ٢٤٥.

(٢) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص:١/٩٦-٩٧.

(٣) ينظر: أيوب: (دراسات نقدية في النحو العربي)، ص:٦٨.

(٤) مصطفى حميدة: (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)، ص:١٥٣، و فوزية دندوقة: (ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة)، ص:٩-١٠.

قلت (جاء زيد) أخبرت عن مجيئه إخبارا محضا، ولا يخالطه شيئا غيره، فتقديم الفعل هو العبارة المألوفة، وإذا قلت (زيد جاء) كان مرادي أن أنبه به السامع إلى أن الذي جاء هو (زيد) كأني قلت: زيد جاء لا غيره...."[(١)]، بحيث يكون مقصد برجشتراسر أن الفاعل في الجملتين هو نفسه، فيكون الفعل في الجملة الاسمية مستغنيا بفاعله المتقدم عن ضمير مستتر، وهذا الرأي يذهب إليه بعض من الدارسين المحدثين، الذي يرجحون إلغاء الضمير المستتر، والنظر إلى الفعل (حضر) في الجملة السابقة (محمد حضر) على أنه مستغن بصيغته الفعلية عن الربط، ولا حاجة إلى ضمير يدل على من يعود عليه[(٢)]، اعتمادا على أن العربية جعلت البنية الصرفية للفعل قرينة لفظية، تغني عن تقدير ضمير رابط، لأن صيغة الفعل تشير إلى صاحبه[(٣)]، لكن إذا افْتُرِض أن الضمير المستتر لا وجود له في اللغة لـ"أصبح من العسير، بل من المحال تفسير نشوء علاقة بين جملتين منفصلتين في الأصل، نحو: (رأيت الطفل يحبو)،فالبنية المضمرة لهذه الجملة التي اتخذت شكلا مختصرا هي كالآتي: (رأيت الطفل – الطفل يحبو)، ولولا إضمار (الطفل)في الجملة الثانية تجنبا لإعادة الذكر؛ لكان المتكلم مضطرا إلى تكراره أو إلى فصل الجملتين بما يوهم السامع أن المفعول به في الأولى محدث الفعل في الثانية، فكانت فكرة تقدير الضمير تصورا ذكيا يحمد لنحاة العربية"[(٤)].

اختيار الضمائر بين الانفصال والاتصال:

الضمير صورة الاسم الظاهر، لا يدخل في تركيب ما إلا وقام مقامه، للاختصار والإيجاز، فقد ينوب عن كلمة أو كلمتين أو عدة جمل، لذا كان في صورته المتصلة أخصر من المنفصلة، وعليه لا يجوز العدول عن المتصل إلى المنفصل في كل موضع أمكن فيه أن يؤتي بالمتصل، وإنما يتعين المنفصل في المواضع التالية[(٥)]:

١) إذا اقتضى المقام تقديمه، نحو: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) [سورة الفاتحة:٥].

(١) برجشتراسر: (التطور النحوي للغة العربية)، تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م، و مصطفى حميدة: (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)، ص:١٥٣-١٥٤.

(٢) ينظر: تمام حسان: (اللغة العربية معناها ومبناها)، عالم الكتب، القاهرة، (ط:٣)، ١٩٩٨م، ص:٣٣٦-٣٣٧.

(٣) ينظر: مصطفى حميدة: (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)، ص:١٩٦.

(٤) مصطفى حميدة: (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)، ص: ١٥٤-١٥٥، و فوزية دندوقة: (ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة)، ص:٩-١٠.

(٥) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص: ٩٩/١.

٢) إذا كان مبتدأ أو خبرا، نحو: (**نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ**) [سورة ق:٤٥].

٣) إذا كان محصورا بـ"إلا وإنما"، نحو: (**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**) [سورة الإسراء:٢٣].

٤) إذا كان عامله محذوفا، أو هو تابع لما قبله، نحو: (**يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ**) [سورة الممتحنة:١]. (١)

كما يجوز اختيار أحد النوعين- المنفصل أو المتصل- للضرورة الشعرية، أو لأحد الأسباب النحوية التالية:

١) إذا عمل الفعل بضميرين وكان أولهما أعرف من الثاني، يصح في الثاني أن يكون متصلا، نحو: (**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا**) [سورة الأنفال: ٤٣].

٢) إذا دخلت كان وأخواتها على ضميرين؛ يجوز في خبرهما الفصل والوصل، واختار سيبويه الانفصال، نحو: (الصديق كنت إياه) واختار ابن مالك الاتصال، نحو: (الصديق كنته) (٢).

و من أنواع الضمائر:

(أ) **ضمير الفصل**: وهو نوع من المضمرات يأتي بـ"صيغة ضميرٍ منفصلٍ مرفوعٍ يتوسط بين المبتدأ والخبر، أو بين اسم كان وخبرها، أو بين اسم إنَّ وخبرها، أو بين المفعول الأول والثاني في باب ظنَّ وأخواتها، بشرط أن يكون الخبر معرفةً أو ما قاربها"(٣)، وبعبارة أخرى هو: الضمير "المسمّى عند البصريين فصلا، وعند الكوفيين عمادا، ويقع بلفظ المرفوع المنفصل مطابقا لمعرفة قبل - باقي الابتداء

(١) ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٠٣/١، وابن عقيل: (شرح الألفية)، ص: ٩٩/١، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١٠١/١.

(٢) ينظر: ابن عقيل: (شرح الألفية)، ص: ١٠٣/١-١٠٤"بتصرف"، والأزهري:(شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١١٠/١ وما بعدها.

(٣) ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد بن علي "المتوفى ٦٦٩هـ": (شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير")، تحقيق: صاحب أبو جناح، منشورات وزارة الأوقاف، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٢م، ص: ٦٥/٢، و أبو حيان النحوي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي "المتوفى٧٥٤هـ" : (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، تحقيق: مصطفى أحمد النمّاس، (ط:١)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٨م، ص: ٣٢١/١-٣٢٢.

أو منسوخه – ذي خبر، بعد معرفة أو كمعرفة في امتناع دخول الألف واللّام عليه"[١]، وقد نُسِب إلى بعض نحاة الكوفة "إجازة تقديمه في أول الكلام"[٢].

وقيل إنّه سُمّي فصلاً؛ لأنّه فصل بين المبتدأ والخبر، وهذا يعني أنّ بعض هذا الباب محمول على بعض، لوروده في تراكيب كثيرة، لا لبس بسقوطه منها[٣].

وقد عدَّ أكثرُ النحاة ضمير الفصل زائدا، يصح التركيب بسقوطه، فلا يضطرب، أو يختل شيء من الكلام، ولكنهم مع هذا ذكروا له دلالة وظيفة لا تظهر في الكلام إلا به، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فلم يكتفِ بذكر وظيفة واحدة، وإنما ذكر له وظائف متعددة حين يرد في التركيب[٤]، ولعل أكثر وظيفتين ذكرتا لهذا الضمير هما:(**الوظيفة النحوية، والوظيفة الدلالية**).

فضمير الفصل يجيء إعلاما بأنه قد فصل، وأنّ المتلقي ينتظر ويتوقع ما لا بد له من الذكر، و مجيئه دليل على أنّ الكلام لم يتم، وما بعد الاسم لا يخرجه مما وجب عليه، وقيل إنّ الفصل يدخل إعلاما بأنّ الخبر معرفة أو ما قاربها، ولإيجاب فائدة ثابتة للمسند إليه [٥]، فالغرض منه هو إزالة اللبس و الإعلام من أول وهلة بكون الخبر خبرا لا صفةً، ولهذا سماه البصريون (فصلا)؛ لأنه يفصل بين

(١) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين "المتوفى: ٦٧٢هـ": (شرح تسهيل الفوائد)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، و محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (ط:١)، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص:١/ ١٦٧.

(٢) أبو حيان: (ارتشاف الضرب)، ص: ٣٢٢/١، وينظر: السيوطي: (همع الهوامع شرح جمع الجوامع)، ص:٦٩/١.

(٣) ينظر: ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ١١١/٣، و ابن عصفور: (شرح جمل الزجاجي)، ص: ٦٨/٢، والرضي: (شرح الكافية)، ص: ٢٤/٢– ٢٥.

(٤) ينظر: سيبويه: (الكتاب)، ص: ٣٩١/٢، والمبرد: (المقتضب)، ص: ١٠٣/٤– ١٠٤، وأبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج "المتوفى: ٣١١هـ": (معاني القرآن وإعرابه)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص: ٣٨/١، ٤٥٤/٢، وأبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج "المتوفى: ٣١٦هـ" : (الأصول في النحو)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ج١، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٣م. والجزء الثاني، مطبعة سلمان الأعظمي–بغداد، ص: ١٢٨/٢، ٢٦٧، وابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص: ١٠٢/٢.

(٥) ينظر: سيبويه: (الكتاب)، ص: ٣٨٩/٢، و٣٨٧/٢، والزجاج: (معاني القرآن وإعرابه)، ص: ٣٨/١، و ابن السراج: (الأصول في النحو)، ص: ١٢٨/٢، والنحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي "المتوفى ٣٣٨هـ" : (إعراب القرآن)، دراسة وتحقيق: زهير غازي زاهد، مطبع العاني، بغداد، ١٩٧٨م–١٩٧٩م، ١٩٨٠م، ص: ٦٧٤/١، وابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ١١٠/٣، و فوزية دندوقة: (ضمائر العربية)، ص:١٠.

الخبر والتابع، وسماه الكوفيون(عمادا) لكونه حافظا لما بعده؛ حتى لا يسقط عن الخبرية كالعماد في البيت، الحافظ للسقف من السقوط، لذلك عدّه بعضهم مع ما بعده كالشيء الواحد، لأن معنى الكلام يعتمد عليه، في حين ذكر بعضهم أنه عمد الاسم الأول ، وقواه بتحقيق الخبر بعده[١].

وهذه الوظيفة لا شك تربط أجزاء الكلام بعضه ببعض نسقا واحدا، لا لبس فيه ولا شذوذ، يقول الأشموني[٢]: "وإذا كان الرابط من جملة الخبر ضميرا؛ فقد يكون هذا الضمير مرفوعا، وقد يكون منصوبا، وقد يكون مجرورا، فإذا كان مرفوعا، فقد يكون مبتدأ، نحو:(محمدٌ هو القائمُ)، بناءً على بعض المذاهب"[٣]، ولهذا يرى برجشترآسر أن هذه الوسيلة في الربط _ ربط المبتدأ بخبره عن طريق ضمير الفصل_ قديمة شائعة في اللغات السامية، وربما تكون هذه الوسيلة أقدم من وسيلة الربط بالأفعال التي معناها (كان)[٤].

كما لا تخفى إفادة التوكيد بمجيء الفصل، "يدل على ذلك ضرورة عدم اجتماعه مع التوكيد، فلا يقال: (زيد نفسه هو العاقل)؛ لأنهم استغنوا عنه بالتوكيد، واستغناؤهم هذا دليل على أنه يجيء

(١) ينظر:عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري "المتوفى ٥٧٧هـ": (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م، ص:١٠٠، وينظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين "المتوفى ٦١٦هـ" : (اللباب في علل البناء والإعراب)، تحقيق: خليل بنيان الحسون، مكتبة جامعة القاهرة، ١٩٧٦م، ص: ٤١٦، و ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ٣/١١٠-١١١، وينظر: ابن عصفور: (شرح جمل الزجاجي)، ص: ٦٥/٢، والرضي: (شرح الكافية في النحو)، ص: ٢٤/٢، ص: ٢٧/٢، وابن هشام: (مغني اللبيب)، ص: ١٠٢/٢، وينظر: صدر الدين الكنغراوي الاستنابولي "المتوفى ١٣٤٩هـ" : (الموفي في النحو الكوفي)، شرحه بتعليقات توضح غوامضه ومقاصده: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٠م، ص: ٩٣.

(٢) الأشموني: هو علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي، (ولد سنة: ٨٣٨هـ – ١٤٣٥م، وتوفي سنة: نحو ٩٠٠ هـ - ١٤٩٥ م)، نحوي، من فقهاء الشافعية، أصله من أشمون (بمصر) ومولده بالقاهرة، ولي القضاة بدمياط، من مؤلفاته: شرح ألفية ابن مالك، و نظم المنهاج، و نظم جمع الجوامع، و نظم إيساغوجي، وغيرها الكثير. ينظر: الزركلي: (الأعلام)، ص:٥/ ١٠.

(٣) نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى "المتوفى٩٠٠هـ": (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، حققه وشرح شواهده: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (ط:٢)، القاهرة، ١٩٣٩م، ص: ١/٢٥٥.

(٤) ينظر: برجشتر آسر: (التطور النحوي للغة العربية)، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص: ١٣٦.

ليؤدي هذه الوظيفة، حتى قال بعضهم إنه يدخل لتوكيد النسبة حين يشك المخاطب فيها، أو يتوهم الشركة، فهو (دعامة) كما يرى نحاة الكوفة؛ لأنه يؤكد الكلام ويدعمه ويقويه"[١].

في حين رأى البيانيون أنّ وظيفته هي الحصر والقصر والاختصاص [٢]،لأن ما يُنْسَب إلى المسْنَد إليه بدخوله ثابتٌ لهُ دون غيره.

الخلاف في ماهيته :

اختلف النحاة في حرفية ضمير الفصل أو اسميته، "وأكثر نحاة البصرة على أنها حروف وأنها تخلصت للحرفية، كما تخلصت الكاف التي في أكرمك للخطاب مع أسماء الإشارة في نحو: (ذلك)، وذهب الخليل[٣] ووافقه جماعة إلى أنها باقية على الاسمية؛ لأنه لا يلزم من كونها لا موضع لها من الإعراب نفي اسميتها؛ لأن ذلك نفي عارض من العوارض عنها، ونفي ما يعرض لا ينتفي به الأصل إنما ينتفي الشيء بانتفاء وضعه الذي أتى له، وحقيقة الاسمية ثابتة في كل منها، وهي الدلالة على المسمى مثل سائر الأسماء، وإذا ثبت أنه من الأسماء، فلا بعد في أن يكون ضميرا؛ إذ دلالته بكناية كسائر الضمائر"[٤].

---

(١) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ١١١/٣، وابن عصفور: (شرح جمل الزجاجي)، ص: ٦٥/٢، وينظر: أبو حيان: (البحر المحيط في التفسير)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، (د.ت)، ص:٤٤/١، وابن هشام: (مغني اللبيب)، ص: ١٠٢/٢، وينظر: بدر الدين أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي "المتوفى: ٧٩٤هـ": (البرهان في علوم القرآن)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط:٣)، دار الفكر، ١٩٨٠م، ص: ٤٠٩/٢، والسيوطي: (همع الهوامع)، ص: ٦٨/١- ٦٩.

(٢) ينظر: السيوطي، جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي "المتوفى: ٩١١هـ": (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة، (د. ت)، ص:١٨٦/١.

(٣) الخليل: هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (ولد سنة:١٠٠هـ -٧١٨م، وتوفي سنة: ١٧٠هـ- ٧٨٦م)،عربي الأصل من أزْد عُمان، نشأ بالبصرة وتربّى فيها، وكان مولعا بالدرس والبحث، وقد لازم حلقات أستاذيه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وروى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما وأخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضّر بن شُميل، وقد وُهِب ذكاءً خارقًا وفطنة كانت مضربًا للمثل في عصره، وجمع إلى ذلك تقوى وزهدا وورعًا وهمّة عالية، فُتحت له بها مغاليق أبواب العلوم، ليكون عالما باللغة والنحو والعروض والموسيقى، وله نظم جيد. من تصانيفه: كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية، وكتاب النّغم، و كتاب العروض، و كتاب الشواهد، والنقط والشّكل، و كتاب الإيقاع. ينظر: الذهبي: (سير أعلام النبلاء)، ص:٧/ ٤٣٠، والزركلي:(الأعلام)، ص:٢/ ٣١٤.

(٤) ناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:١/ ٥٧٠- ٥٧١.

موقعه:

اختلف النحاة حول موقعه فقد رأى البصريون ومن تبعهم أنّ ضمير الفصل يتوسط بين المبتدأ والخبر، أو ما بين ما أصله المبتدأ والخبر، ولا يجوز تقديمه في أول الكلام(١)، وقد زعم بعض النحاة أن الكوفيين جوّزوا تقديمه في أول الكلام(٢).

شروطه:

اشترط النحويون في ضمير الفصل أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع؛ لأنّ فيه ضربا من التوكيد، والتوكيد يكون بالضمير المرفوع المنفصل، يقول سيبويه: "إذا قلت: (كان زيدٌ أنت خيرٌ منه)، و(كنت أنا يومئذٍ خيرٌ منك)، فليس إلاّ الرفع؛ لأنك إنما تفصِلُ بالذي تعني به الأول، إذا كان ما بعد الفصل هو الأول، وكان خبره، ولا يكون الفصل ما تعني به غيره، ألا ترى أنك لو أخرجت (أنت) لاستحال الكلام، وتغيّر المعنى وإذا أخرجت (هو) من قولك: كان زيدٌ هو خيرا منك، لم يفسد المعنى... "(٣)، وقد أشار النحاة إلى أنّ التوكيد هو المؤكد في المعنى(٤)، وهذا يدل على أنّ ضمير الفصل هو الأول في المعنى.

كما يجب أن يكون الفصل مطابقا لما قبله في التكلم والخطاب والغيبة، وفي الإفراد والتثنية والجمع، وفي التذكير والتأنيث(٥)، بيد أن الفصل بصيغة المثنى لم يرد في القرآن الكريم، وتعد هذه الصور من التطابق أمرا لا بد منه؛ لأنّ عدم مراعاة ذلك قد يؤدي إلى الخروج عن هذا الباب إلى آخر غيره، ويمكن تقسيم شروطه بحسب الواجب فيه وفي ما قبله وما بعده إلى ما يلي(٦):

– شروط خاصة للضمير نفسه:

١–أن يكون بصيغَةِ المرْفوع، أي أحد ضمائر الرفع المنفصلة، فيمتنعُ نحو: (زيد إياهُ العالم).

---

(١) ينظر: سيبويه: (الكتاب)، ص: ٣٨٩/٢، وينظر: المبرد: (المقتضب)، ص: ٤/ ١٠٤، والسراج: (الأصول في النحو)، ص: ١٢٩/٢، وينظر: النحاس: (إعراب القرآن)، ص: ١٩٤/١–١٩٥.

(٢) ينظر: النحاس: (إعراب القرآن)، ص: ١٩٤/١–١٩٥، وينظر: أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٢٩٢/١.

(٣) سيبويه: (الكتاب)، ص: ٣٩٤/٢–٣٩٥، وينظر: المبرد: (المقتضب)، ص: ١٠٥/٤.

(٤) ينظر: ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ١١٠/٣، وكذا السيوطي: (همع الهوامع)، ص: ٦٨/١.

(٥) ينظر: الرضي: (شرح الكافية في النحو)، ص: ٢٤/٢، وابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٦٤١، وينظر: ناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:٥٦٥/١، و السيوطي: (همع الهوامع)، ص: ٦٨/١.

(٦) ينظر: ابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٦٤١–٦٤٣، "بتصرف".

٢-أن يُطابقَ ما قَبْلَه في المعنى والعدد والنوع، فلا يجوزُ: (كنتُ هو الفاضل)، وإنما (كنتُ أنا الفَاضِل).

- شروط خاصة بما قَبْلَه وهي:

١-أن يكون معرفة.

٢-أن يكون مُبْتَدأ في الحَالِ، أو في الأصل نحو: "أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ " [سورة عبس:٤٢].

- شروط خاصة بما بعده وهي:

١-أن يكون معرفةٌ، أو كالمعرفة في أنَّهُ لا يقبل "أل"، و ذلك نحو: "إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالا وَوَلَدًا" [سورة الكهف:٣٩].

وخالف في ذلك الجرجاني[١] فـ"ألحق المضارع بالاسم لتشابهه به وجَعل منه قوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) [سورة البروج:١٣]، وهو عند غيره توكيد أو مبتدأ، وقد وافقه في هذا ابن هشام في مغنيه، وأبو البقاء[٢]" [٣]، وقيل عن الضمير في هذه الآية "إنه يفيد معنى القصر فلو حذف لكان محتملا"[٤]، بمعنى أن الكلام يحمل خبرا دون إفادة القصر، لو حذف الضمير من هذه الآية.

٢-أن يكون خبرا لمبتدأ في الحال، أو في الأصل.

محله من الإعراب: تعددت أوجه إعرابه واختلفت، نتيجة الاختلاف في ماهيته، "فالبصريون على أنه لا موضع له؛ لأن الغرض به الإعلام من أول وهلة؛ ليكون الخبر خبرا لا صفة فاشتد شبهه بالحرف؛

---

(١) الجرجاني: هو أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، توفي سنة: ٤٧١هـ، وقيل : سنة:٤٧٤هـ، وكان شافعيا، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين، وكان آية في النحو ، من مؤلفاته: شرح الإيضاح، وإعجاز القرآن، ومختصر شرح الإيضاح، و العوامل المائة، والمفتاح، والعمدة في التصريف، والجمل، وغير ذلك الكثير. ينظر: الذهبي: (سير أعلام النبلاء)، ص: ١٨/ ٤٣٢-٤٣٣.

(٢) أبو البقاء: هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين،(ولد سنة: ٥٣٨هـ – ١١٤٣م، وتوفي سنة: ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م)، أصله من عكبرا (بليدة على دجلة) ومولده ووفاته ببغداد، أصيب في صباه بالجدري، فعمي، كان عالما بالأدب واللغة والفرائض والحساب، من تصانيفه: اللباب في علل البناء والإعراب، وشرح اللمع لابن جني، والتبيان في إعراب القرآن ،و ترتيب إصلاح المنطق، والمحصل في شرح المفصل للزمخشري، والاستيعاب في علم الحساب، وغيرها. ينظر: الزركلي: (الأعلام)، ص:٤/ ٨٠.

(٣) ابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٦٤٣، "بتصرف".

(٤) فاضل السامرائي: (معاني النحو)، ص:١/٤٦.

إذ لم يُجأ به إلا لمعنى في غيره، فلم يحتج إلى موضع من الإعراب، في حين يرى الكوفيون أن له موضعا من الإعراب، فله عند الكسائي[١] ما لما بعده، وله عند الفراء[٢] ما لما قبله"[٣].

ويَحتمل إعرابُ ضميرِ الفصل أوجُهًا منها[٤]:

١-الفَصْلِيَّة التي لا مَحلَّ لها، والتَّوكيدِ في نحو قوله -تعالى-: (كنتَ أنتَ الرَّقِيب عَلَيهم) [سورة المائدة: ١١٧]، ولا وجهَ للابتداء لانتصاب ما بعده.

٢-الفَصْلِية والابتداءُ، نحو قوله -تعالى-: (وإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّون) [سورة الصافات: ١٦٥] ولا وجْهَ للتوكيد لدُخُول اللام.

٣-احْتِمالُ الثَّلاثةِ: الفَصْلِيَّةُ والتَّوكيدِ والابتداءِ، نحو قوله -تعالى-: (إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) [سورة المائدة:١٠٩].

٤-الفصلية والابتداء والبدل والتوكيد، وذلك إن كان المبتدأ مضمرا، نحو: (أنت أنت القائم).

---

(١) الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي ، مولاهم الكوفي ، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، وتوفي بالري بقرية أرنبوية سنة :١٨٩هـ، عن سبعين سنة ، وفي تاريخ موته أقوال ، وهذا أشهرها، وكان قد اختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع ، و تعلم النحو على كبر ولزم معاذا الهراء مدة ، ثم خرج إلى الخليل وجالسه، وسافر في بادية الحجاز مدة للعربية ، فقيل: قدم وقد كتب بخمس عشرة قنينة حبر، وأخذ عن يونس ، كان أعلم الناس بالنحو ، وواحدهم في الغريب، وكان ذا منزلة رفيعة عند الرشيد ، وأدب ولده الأمين، ونال جاها وأموالا. من مؤلفاته: معاني القرآن، وكتاب في القراءات، و النوادر الكبير ، ومختصر في النحو ، وغير ذلك. ينظر: الذهبي: (سير أعلام النبلاء)،ص: ٩/ ١٣٢- ١٣٤.

(٢) الفراء: أبو زكريا، يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، إمام مشهور، أخذ عن الكسائي، وهو من جلة أصحابه وأبرع الكوفيين، له مصنفات كبيرة ومشهورة في اللغة والنحو، ومعاني القرآن، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وتوفى سنة ٢٠٧هـ في طريق مكة، وله ٦٧ سنة، وقد لقب بأمير المؤمنين في النحو، قال فيه ثعلب: "لولا الفراء ما كانت اللغة"، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال، ومن أشهر مؤلفاته: معاني القران، وكتاب الحدود، والمصادر في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وآلة الكاتب، وكتاب المفاخر، وغيرها. ينظر: الفيروز آبادى: (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، (ط:١)، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص: ٣١٣، و السيوطي: (بغية الوعاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، "د.ت"، ٢/ ٣٨٢، وابن خلكان: (وفيات الأعيان)، ص:٢/ ٢٠١.

(٣) ناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:١/ ٥٧١.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص:١/ ٥٧٣-٥٧٤، "بتصرف".

(ب) ضمير الشأن أو القصة: وهو نوع من الضمائر لا يكون إلا معمولا للابتداء، أو أحد نواسخه، وهي: (كان وإنّ وظنّ أو إحدى أخواتهن)، المسمى عند بعض نحاة الكوفة بضمير العماد، وعلتهم في ذلك أنّ "الهاء عماد تُوقى بها إنَّ[1]"، والعماد لا يدخل إلا على الموضع الذي يلي الأفعال، ويكون وقاية للفعل[2]"، وعند البصريين يسمى ضمير الشأن إذا وَقَعَ قبْلَ الجُملةِ ضَمير غَائِب مُذكَّر، نحو: (قُلْ هو الله أحد) [سورة الإخلاص:١]، وذلك رعاية للمطابقة، وإنْ كان ما قبل الجملة مُؤَنّثاً يُسَمَّى ضميرَ القِصَّة نحو: (فإنَّها لا تَعْمَى الأبْصَار) [سورة الحج:٤٦]، لتحصل المناسبة، لأنه يعود إلى ما في الذهن من شأن أو قصة أي الشأن أو القصة كذا أمرٌ مبهم لا يتعين إلا لخصوصية يُعتبر هو فيها، ويتحد هو مع مضمونها في التحقيق[3]، ويسميه الكوفيون -أيضا- ضمير المجهول؛ لأن ذلك الشأن مجهول، لكونه مقدرا إلا أن يفسر، ولا يعود عليه ضمير من الجملة التي هي خبره، فلا يبدل منه، ولا يقدم خبره عليه، لكيلا يزول الإبهام المقصود منه، والجملة بعده متممة لمقتضى العامل[4]، ولعل هذا يوضح تركز هذا الضمير عند أكثر النحاة في بابي (كان و إنّ) وأخواتهما، بناءً على أن النواسخ تحتاج إلى معمولها الأول، فإذا فقد من الجملة قدّره النحاة مضمرا يعبّر عن الشّأن أو القصّة؛ لأنه "بمنزلة ضمير غائب تقدم ذكره؛ فلذلك يستتر مرفوعا بكان أو كاد أو إحدى أخواتهما، كما يستتر ما ارتفع بهما من ضمير غائب تقدم ذكره، ويبرز إذا كان مبتدأ أو اسم

(١) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء "المتوفى: ٢٠٧هـ" : (معاني القرآن)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (ط:١)، "د.ت"، ص:٢/٢٢٨.

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب "المتوفى: ٢٩١هـ": (مجالس ثعلب)، تحقيق : عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م، ص:٢/٣٥٤.

(٣) ينظر: الرضي: (شرح كافية ابن الحاجب)، ص:٢/٤٦٦، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:١/ ٥٦١، والسيوطي: (همع الهوامع)، ص:١/٦٧، و نور الدين الجامي: (الفوائد الضائية)، ص:٢/٩٠، و الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي "المتوفى: ١٠٩٤هـ": (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، "د.ت"، ص: ٨٩٩.

(٤) ينظر: الرضي: (شرح كافية ابن الحاجب)، ص:٢/٤٦٦، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:١/ ٥٦١، والسيوطي: (همع الهوامع)، ص:١/٦٧، و نور الدين الجامي: (الفوائد الضائية)، ص:٢/٩٠.

ما أو منصوبا بإن أو ظن أو إحدى أخواتها"[١]، ولا خلاف في أنه اسم يحكم على موضعه بالإعراب على حسب العامل[٢].

أحكامه وشروطه:

يخالف ضمير الشأن القياس المجمع عليه في أحكام الضمائر، ولعل هذا الذي جعل النحاة لا يلجئون إليه إذا أمكن اعتباره في سياق جملته نوعا آخر من الضمير، كما قد ألمع ابن مالك إلى أنه لا يبدل من الشأن، ولا يعطف عليه، ولا يتقدم خبره عليه، ولا يقوم الظّاهر مقامه، ولا يثنى ولا يجمع لأنه كناية عن الشأن في التذكير، وعن القصة في التأنيث، وهما مفردان، فوجب إفراد ما هو كناية عنهما، وكذا تذكيره ما لم يله مؤنّث، أو مذكّر شبيه به مؤنّث، أو فعل بعلامة تأنيث، فيرجّح تأنيثه باعتبار القصة على تذكيره باعتبار الشّأن [٣]، ومردّ السبب في ذلك "ما في التأنيث من مشاكلة تحسن اللفظ مع كون التأنيث لا يختلف؛ إذ القصة والشأن بمعنى واحد، والتذكير مع ذلك جائز[٤]"[٥]، ويقول ابن هشام: " إنَّ ضمير الشأن والقصة لا ينبغي الحمل عليه، إذا أمكن غيره مما لا يخالف القياس، أما إذا كانت المحتملات كلها خارجة عن القياس؛ فقد تساوت أقدامها في الحمل عليها "[٦]، ذلك لأن ضمير الشأن من بين كل ضمائر الغياب "لا يعود إلا على متأخر لفظا ورتبة، ولا يتقدم مرجعه عليه أبدا، لأن مرجعه جملة مفسرة له، ولا يتقدم المفسِّر على المفسَّر" [٧]، فهو يعود

(١) ناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:١/ ٥٦١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص:١/٥٥٧.

(٣) ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص: ١/ ١٦٥، و ناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:١/٥٥٧.

(٤) يستثنى من هذا "لو كان المؤنث الذي في الجملة بعد مذكر لم يشبه به مؤنث فضلة أو كالفضلة – فلا يُكْتَرث بتأنيثه فيؤنث لأجله الضمير، بل حكمه حينئذ التذكير، كقوله تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ) [سورة طه: ٧٤]، وكذا لا يكترث بتأنيث ما ولي الضمير من مؤنث شبه به مذكر، نحو: «إنّه شمس وجهك» ولا بتأنيث فاعل فعل ولي الضمير بلا علامة تأنيث، نحو: «إنّه قام جاريتك»" ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص: ١/ ١٦٥، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص: ١/٥٦٠.

(٥) ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص: ١/ ١٦٥.

(٦) ابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص: ٢/٤٩١.

(٧) ضمير الشأن لا يكون إلا بصيغة الغائب، فلا يكون لمتكلم و لا لمخاطب، ينظر: ابن هشام: (مغني اللبيب)، ص: ٤٩١/٢، و السيوطي: (الأشباه و النّظائر في النحو)، طبعة حيدر أباد، ١٣١٦هـ، ص:١٧٨/٢، وتمام حسان: (البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، (ط:١)، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص:١/١٥١.

على ما بعده لزوما إذ "لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم هي، ولا شيء منها عليه، كما تخلو من ضمير عائد عليه أو رابط، ولابد أن تكون خبرية، فلا يصح كونها إنشائية ولا طلبية، ولا بد أن يكون مصرحا بجزأيها، فلا يجوّز البصريون حذف بعض الجمل المذكورة؛ لأنها مؤكدة له، ومدلول به على فخامة مضمونها، واختصارها مناف لذلك؛ فلا يجوز كما لا يجوز ترخيم المندوب، ولا حذف حرف النداء قبله"،[١] ومن ثَمَّ فالجملة لم يؤت بها لمجرد التفسير؛ بل هي كسائر المبتدآت، ولها موضع من الإعراب، و"لكنها سميت تفسيرا للإبهام ثم التفسير، وتعظيم الأمر وتفخيم الشأن، فلابد أن يكون مضمون الجملة شيئا عظيما يعتني به"[٢]، ويرى السيوطي في الهمع أن ضمير الشأن كما خالف بقية الضمائر في أنه لا يفسر بمفرد، ولا يعود على اسم ظاهر، خالفها أيضا في أنه لا يعطف عليه، ولا يؤكد لأنه أشد إبهاما من المنكر، و النكرات كما هو معلوم لا تؤكد [٣].

دلالة ضمير الشأن:

إن لضمير الشأن فائدة غير الاختصار والإيجاز، تتجلّى في المعنى الذي يؤدّيه داخل التركيب المستعمل فيه، وهي دلالة لا تتم بدونه، يحدّدها أغلب النحاة في قصد تفخيم الأمر وتعظيمه، وهي فائدة معنوية صرفة في الغالب، يقول ابن يعيش: "و عادة العرب أن تُصدِّر قبل الجملة بضمير مرفوع، يقع بعده جملة تفسّره، وتكون في موضع الخبر عن ذلك المضمر، نحو قولك: (هو زيد قائم)؛ أي الأمر: زيد قائم، و إنما يفعلون ذلك عند تفخيم الأمر و تعظيمه، و أكثر ما يقع ذلك في الخطب والمواعظ لما فيها من الوعد و الوعيد"[٤]، وهو على اختلاف أحواله- ضمير الشأن- إنما يرد على "جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولا وتفسيره ثانيا؛ لأن الشيء إذا كان مبهما تتطلع النفوس إلى فهمه"[٥]، ذلك لأن "السّامع متى لم يفهم من

(١) ناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:١/٥٥٧.

(٢) الرضي: (شرح الكافية)، ص:٢/٤٦٥، وابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٢/٦٣٧.

(٣) ينظر: ص:١/٦٧.

(٤) (شرح المفصل)، ص: ٧/ ١١٠.

(٥) الرضي: (شرح الكافية)، ص:٢/٤٠٧.

الضّمير معنى، بقي منتظرا لعقبى الكلام كيف تكون، فيتمكّن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكّن"[١]، فهو لا يدخل إلا على جملة عظيمة الشأن نحو: (قُلْ هو الله أحد)[٢] [سورة الإخلاص:١] فإنّ أحديته عظيمة جلية[٣]، فكأن الإجمال يدخل ضمير الشأن ابتداء بأن تصدِّر الخطاب أصالة بما هو مجمل، فتقول: (هو) فتجعل السامع يذهب في الظن كل مذهب في هذا الضمير الذي لا يدري علام يعود، وتجعله متشوقا لخبره ثم تأتي بجملة تفسره[٤] وتفصله؛ بيانا لإبهامه الشديد، فـ"الشأن أو القصة هو غيبٌ دائما، ولكن هذا الغيب يظهر ويتجلى فيه خبر الجملة الاسمية المركبة، وبمعنى آخر، فإنّ هذا الغيب هو وحدة تظهر بمظهر الكثرة، أو هو ذلك الغيب الذي لا يتعين، ويظل بالضرورة حقيقة مبهمة، ولكنّه بالرغم من ذلك يُخبر عنه عن طريق حدث عظيم جليل، هو خبر الجملة الاسمية، مع ملاحظة أنّ هذا التعين لا يزيل حقيقة الإبهام واللا تعين" [٥].

ويرى برجشتراسر أن هناك فائدة لفظية يستعمل لها ضمير الشأن في اللغة العربية، و هي أنه يُمكّن الناطق من إدخال (إنّ و أنّ) على الجملة الفعلية، مما يشهد للعربية بالمزية في إعدامها للشّواذّ و إقصائها لقاعدة إلحاق (إنّ) و أخواتها بالجمل الاسمية فقط، فقد اخترعت وسيلة لقلب الجملة الفعلية اسمية بغير تغيير تركيبها، لكي يمكن إلحاق (إنَّ) وأخواتها بالجمل الفعلية بواسطة لا مباشرة[٦]، حيث يقول: "ومن خصائص العربية أن مبتدأ الجملة الاسمية المركبة ربما كان ضميرا للغائب لا علاقة له

(١) القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق "المتوفى: ٧٣٩هـ" : (الإيضاح في علوم البلاغة)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص: ٧٠-٧١.

(٢) اختلف في المبتدأ هل يكون ضمير شأن أو لا يكون؟ فخُرِجت هذه الآية على وجهين غير الشأن:" أحدهما: أنهم كانوا يتكلمون في توحيد الله، فقيل لهم: هو أي التوحيد الله أحد، والثاني: أن (أحد) بدل من اسم الله تعالى". ينظر: أبو حيان: (التذييل والتكميل)، ص: ٢/ ٢٨٠، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:١/٥٦١.

(٣) ينظر: الكفوي: (الكليات)، ص: ٨٩٩.

(٤) ينظر: السامرائي: (معاني النحو)، ص:١/٦٤.

(٥) محمد ياسر فوزي عبد الحميد حمزة و أحمد عبد العزيز فهمي عرفة: (ضمير الشأن وشأن الضمير: مقاربة عرفانية لمفهوم الهوية)، ورقة مقدمة لقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب في الجامعة الأردنية بعمان – الأردن، أكتوبر (تشرين أول) لعام ٢٠١٢م.

(٦) ينظر: برجشتر اسر: (التطور النحوي للغة العربية)، ص: ١٣٩-١٤٠.

بالجملة الخبرية، ولا راجع إليه فيها، وهذا ما سماه النحويون ضمير الشأن نحو: (إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [سورة يوسف:٢٣]، وأكثر ذلك بعد (إنَّ) كما في الآية، أو بعد (أنْ) "[١].

وظيفة الضمائر:

إن ضمائر العربية تلعب دورا كبيرا في عملية الربط، فـ"الضمير البارز مثلا يؤدي وظيفته في وصل التراكيب كما تؤديها أدوات المعاني الرابطة، إلا أنه يختلف عنها في كونه يعتمد على إعادة الذكر، في حين تعتمد تلك الأدوات على معانيها الوظيفية التي تحدد نوع العلاقة المنشأة"[٢]، وذلك لأن الضمائر مورفيمات وظيفية [٣] تتغير وظائفها النحوية بتغير المقامات التي تتنزلها، وهي "عناصر تحوّل بالزيادة بعد الحذف، وتمتلك قدرة الوصل بين أكثر من تركيب، إنها عناصر الربط في النص الواحد وبين النصوص المتباعدة زمانا ومكانا، فهي تصل بين الكلمات أو حتى النصوص على الرغم مما يفصلها عن بعض من تراكيب تقصر أو تطول"[٤].

ولم تكن إشارات النحاة المتقدمين بعيدة عن ذلك؛ فقد عدّوا الضمير الأصل في الربط، سواء كان المحال إليه –المرجع– موجودا في السياق سابقا أو لاحقا، أو لم يكن مذكورا في السياق فيؤول بما يناسبه، يدل على ذلك ما أورده ابن هشام لعشرة أبواب نحوية يكون فيها الضمير رابطا على مستوى الجملة، وهي: "الجملة الواقعة خبرا إن لم تكن مبتدأ في المعنى فهي بحاجة الضمير، وكذا الجملة الموصوف بها لا بد فيها من ضمير بارز أو مقدر ليربطها مع صفتها، والجملة الموصول بها الأسماء تحتاج –أيضا– إلى ضمير يربطها بالموصول، سواء كان بارزا أومستترا لأجل أن يعلّق الصلة بالموصول

(١) ينظر: برجشتر اسر: (التطور النحوي للغة العربية)، ص: ١٣٩–١٤٠.

(٢) مصطفى حميدة: (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)، مكتبة لبنان، ناشرون، (ط:١)، ١٩٧٧م، ص:١٥٢–١٥٣.

(٣) الضمير نوعا من اللفاظم المرتبطة حسب تقسيم التوزيعيين للفاظم اللغة؛ فهومن تلك الكلمات التي تأتي متصلة بعضها البعض، ومرتبطة لأداء وظيفة تركيبية معينة، فتحدد علاقتها ببقية التراكيب بلفظم وظيفي أو بمرتبتها بالنسبة للعناصر الأخرى في ذلك التركيب مثل: كتابك، مدرستي.. ينظر: كاترين فوك، بيارلي قوفيك: (مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة)، ترجمة: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٨٤م، ص:٤٧.

(٤) فوزية دندوقة: (ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة)، ص:٧، وما بعدها "بتصرف".

و يتممها به؛ إذ لا يتم موصول دون صلته بكلام بعده تام ليصير اسما بإزاء مسمى[١]، ولا يتم هذا بدون ضمير رابط يعود على الموصول، حيث "لابد في كل جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول وهو ضمير ذلك الموصول، ليربط الجملة بالموصول ويأذن بتعلّقها به،... فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبله أذن بتعلّقها به"[٢]، وذكر -أيضا- في روابط الضمير "الجملة الواقعة حالا، فهي تحتاج إلى رابط يربطها بصاحبها، وهو إما الواو والضمير معا، أو أحدهما، فإن جيء بهذا الرابط دل على أن الكلام معقود[٣]"، وتحتاج الجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغلة إلى رابط الضمير - أيضا- ليحيل إلى الاسم المتقدم كـ(زيدا ضربته)، ويحتاج بدلا البعض والاشتمال إلى رابط الضمير العائد على المبدل منه، ليربط البدل بالمبدل منه ويعلّقه به، سواء كان مذكورا أو مقدرا [٤]، وكذلك يحتاج معمول الصفة المشبهة إلى الضمير الرابط ، كما في (زيد حسن وجهه)، وكذا جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء، لأن جواب الشرط هو الخبر في الحقيقة، والشرط قيد فيه، فلا يعتبر الضمير إلا رابطا فيه، نحو: (زيد إن جاء فأكرمه)، وإن كان واقعا على غير المبتدأ من حيث المعنى نحو: (زيد إن جاء فأكرمني)، كفى الضمير في الشرط[٥]، وهناك مسائل أخرى لا يتسع المقام لذكرها، تدور كلها في تراكيب الجملة، والجملة ماهي إلا صورة النص الصغرى، تتوالى واحدة بعد أخرى لتشكل النص، الذي يشكل بدوره البنية الكبرى، التي تنثال فيها الضمائر مشكلة مظهرا من مظاهر التناسق، أي: "تنسيق أجزاء التركيب في النوع والعدد، والشخص، والتناسق ضرورة لغوية، ليس على مستوى الجملة وحدها، بل على مستوى نطاق النص كله، إذ لا يجوز على سبيل المثال ابتداء الحديث بضمير

(١) أبو البركات الأنباري: (أسرار العربية)، ص:٣٨١، وابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٥٥٦/٢ وما بعدها "بتصرف".

(٢) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢٨٩/٢.

(٣)ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ٢٤/٢، وابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٥٥٦/٢ وما بعدها "بتصرف".

(٤) ينظر: الأنباري: (أسرار العربية)، ص:٢٩٨-٢٩٩، وابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٦٤/٣، و ابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٥٥٦/٢ وما بعدها "بتصرف".

(٥) ينظر: الرضي: (شرح الكافية)، ص:٩٦/٤، وابن هشام: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، ص:٥٥٦/٢ وما بعدها "بتصرف".

الغيبة، وعودة الضمير الخاصة به في صورة المخاطب، أو المتكلم دون ضرورة تقتضي ذلك"[١]، ولذا يرى " آن روبول" أن للضمائر نتائج متعددة، هي[٢]:

١- إمكانية تعيين ضمائر المتكلم و المخاطب مباشرة، لأنها تؤدي دور التواصل، بخلاف ضمائر الغائب، التي لا يمكن تعيينها؛ لأنها تمثل عددا لا متناهيا من الأفراد.

٢- إحلال ضمير المتكلم محل ضمير المخاطب، و العكس بالعكس أثناء الخطاب.

٣- إن ضمير الغائب هو الوحيد الذي يمكن استعماله في الدلالة على الجوامد[٣].

أي أن: تشكيل المعنى أو إبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص؛ فالضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي، وتكمن أهميتها النصية في كونها تحيل إلى عناصر سابقة في النص؛ تدفع القارئ للبحث عن العنصر المحالِ إليه. "ولما كان ضمير المتكلم والمخاطب يرجعان إلى المشاركين في عملية التخاطب، فإن مهمة تحديد ما يشيران إليه عملية سهلة عادة، لعدم إمكان اللبس فيها، ولكن الصعوبة قد تكتنف عملية إحالة ضمير الغائب إلى صاحبه لأنه عار عن المشاهدة فاحتيج إلى عود الضمير على ما يفسره"[٤]، ولذا يرى بعض العلماء النصيِّين أنه لا يعوّل كثيرا على الاتساق النصي إلا في ضمائر الغياب؛ إذ إنَّها تدفعُ القارئَ أن يكدَّ ذهنه، ليتكشفَ العنصرَ المحالَ إليه في السياق، فضمير الغائب (هو) يتضمن وظيفتين، أولاهما: الدلالة على الغياب عن دائرة الخطاب، والثانية: الاستجابة إلى الإسناد، مما يؤهل الضمير لاكتساب أهميته الكبرى في دراسة تماسك النصوص[٥].

---

(١) أشواق محمد النجار: (دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية)، ص: ١٥٩.

(٢) ينظر: آن روبول-جاك موشلر: (القاموس الموسوعي للتداولية)، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناتار، المركز الوطني للنشر، تونس، ٢٠١٠م، ص:٣٣٧.

(٣) ينظر: آن روبول-جاك موشلر: (القاموس الموسوعي للتداولية)، ص:٣٣٧.

(٤) نائل محمد إسماعيل: (الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية)، مجلة جامعة الأزهر، غزة، ع:١، ٢٠١١م، ص:٩.

(٥) ينظر: جيزيل فالانسي: (النقد النصي)، ترجمة: رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشنوفي، مقال بمجلة عالم المعرفة، عنوان العدد: (مدخل إلى مناهج النقد الأدبي)، تأليف مجموعة من الكتاب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٧م، ص:٢٤٧-٢٤٨، وكذا ينظر: أحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص)، ص: ٢٤.

وعليه، فـ"لا تقتصر وظيفة الضمير على كونها إحلالا وإبدالا لعنصر إشاري في النحو، سابقا كان أو لاحقا، بل تتعداه إلى ترابط دلالة النص"[١]، لتُنْظَم القطعة أو الخطاب كالعقد الذي يجمع بين حباته سلك وثيق، يربطه دونما انقطاع، وإلا لما فهم له معنى، ولا ظهر له شكل، ولا بد لهذا الاتصال أو الارتباط أن يقتنص من الجمال صورة، وإلا طعن ارتباطه بعدم الانسجام، واختلّ تماسكه بعدم الاتساق، لهذا كان الاختصار صورة كبرى تمثل أهم دلالة للضمير في نصه، فلو تكرر الاسم المقصود في كل مرة لذهب بجمال الأسلوب وتماسك لغته. فقوله تعالى مثلا:﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥] يحيل على كل المؤمنين، والصالحين، كعناصر إشارية معجمية أو نصية في جميع نص القرآن الكريم كُلِّه، فقد وردت في سياقات متعددة، مشتملة على موضوعات كثيرة مفصلة في مواضعها، وهذه المواضع عادت عليها إحالات لفظية، والعنصر المحال عليه قام بدوره بإرسال الإحالات على عناصر إشارية أخرى، وردت في مواطن أخرى من نص القرآن الكريم.

كما أن الإحالة بـ"استخدام الضمير (أنا) دون ذكر اسم المتكلم، يمكن وصفها أيضا بالاقتصاد النحوي، ما دامت عبارات صغيرة تؤدي معنى معين"[٢]، يقول ابن يعيش: "أوتي بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز والاختصار واحترازا من الالتباس، فأما الإيجاز؛ فظاهر لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكامله، فيكون ذلك الحرف كالجزء من الاسم، وأما الالتباس فلأن الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك، فإذا قلت: (زيد فعل زيد)؛ جاز أن يتوهم في (زيد) الثاني أنه غير الأول"[٣] فجيء بالضمير المستتر: زيد فعل، ليكون الضمير المستتر في فعل (هو) زيد نفسه.

غير أن الضمائر قد تأتي لدلالات معنوية مختلفة، كالتوكيد مع ضمير الفصل، والتفخيم مع ضمير الشأن، وهذه الدلالات لا تتحدد إلا في سياق النص، "لأن معنى الوحدة اللغوية لا يتضح إلا بالنظر إلى سياقها المقالي متمثلا في القرائن اللفظية والمعنوية المتاحة في النص، والسياق المقامي متمثلا في الخلفيات الاجتماعية والتاريخية، وما إلى ذلك في ظل الظروف التي هيمنت على النص وسيق فيها، وهو السياق الذي ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب، بل القطعة

(١) حمادة عبد الإله حامد: (التماسك النصي بالإحالة: دراسة تطبيقية في سورة الواقعة)، ص:١٥.

(٢) ذهبية حمو الحاج: (لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب)، ص:٩٩.

(٣) ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٨٤/٣.

كلها والكتاب كله"[١]، وذلك لأن بعض الإحالات لا تخضع للقيد الدلالي الذي يشير إليه علماء لغة النص، وهو التماثل الدلالي بين العنصر الإحالي ومرجعه؛ فقد يحيل الضمير المفرد على متعدد، وقد لا يتماثل العنصر الإحالي مع مرجعه تماثلا تاما[٢]، لذا كان السياق النصي هو المرجعية التي تحدد تلك الإحالات، والروابط والعلاقات.

(١) حمادة حامد: (أسلوب العطف في مشاهد القيامة) ، كلية الآدب، جامعة المنوفية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، مصر، إبريل:٢٠١٣م، ص:١٢.

(٢) ينظر: ياسين بني ياسين: (الإحالة في النص القرآني)، رسالة ماجستير-جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٦م،المقدمة.

(المبحث الثاني)

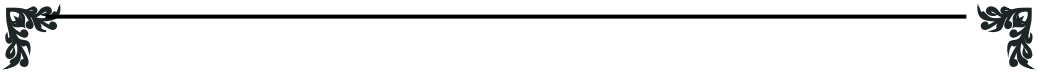

الضمائر، ودورها الإحاليّ
في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

البنية الإحالية للضمائر:

حفلت مشاهد القيامة بحشد كبير من الضمائر الشخصية، أكثرها ضمائر متصلة، تحيل إلى مرجوع سابق في الغالب، حيث سيطر ضمير الغائب على معظم المشاهد، في نطاق حركي، وحدث محسوس، يجسد الصورة شاخصة مترابطة متلاحقة، لا تخاطب الوعي والإدراك الإنساني فحسب؛ بل تخترقه لتصل إلى عميق الإحساس ونافذة التخيل، حتى تصل الصورة واضحة جلية في نطاق العقل والمنطق، ولاريب في أن هذا التواجد المكثف للإحالات الضميرية له دلالته ودوره ووظيفته في تحقيق التماسك النصي على مستوى البنية الكلية والجزئية لفسطاط القرآن الكريم.

وبنظرة المتأمِّل الفاحص نجد أنَّ ثمة تركيزا على الضمائر أكثر من أي عناصر إحاليَّة أخرى؛ لما فيها من اختصار واقتصاد أسلوبي، وثبات معنوي في النص، ودقةٍ دلاليَّة؛ حيث يشير اللفظ إلى العنصر الإشاري دون الحاجة لتكراره، فيمنع ذلك اللبس والغموض والتناقض، و ينتقل بالنص من رتابة الأسلوب إلى الإحكام النصي والاتساق جميعا معا، ولا ريب "فلا غنى لأي نظرية في الإحالة عن تفسير الضمائر"[(١)].

فقد ترددت الضمائر في سائر مشاهد القيامة (٤١٥٧) مرة، منها (٢٨٥٢) مرة للغائب، و(٧٥٥) مرة للمخاطب، و(٥٥٠) مرة للمتكلم، وتردُّدُ ضميرِ الغيابِ أكثرَ من غيره فيه دليل على "اتساق النص وترابطه، وتلاحم بِناه؛ إذ إنَّ ضمائر المتكلم والمخاطبِ كليهما تشير لعناصر إشاريةٍ خارجَ النص، لذا لا يعوّل عليها في الترابط النصي كالتعويل على ضمائر الغياب التي تحيل إلى عناصرَ إشاريةٍ داخل النص، فتحدث جديلة ترابطية دون انقطاع أو غموض أو صعوبة في الفهم"[(٢)].

كما تنوعت الضمائر من حيث الاتصال والانفصال، والاستتار والظهور، بحسب السور التي حوت هذه المشاهد، فقد جاءت متصلة (٢٦١٤) مرة، في حين وردت منفصلة (١٥٤٣) مرة، وجاءت مستترة (١٤٤٩) مرة، وظاهرة (٢٧٠٥) مرات، ولعل ذلك يرجع إلى قدرتها على الإيجاز، وخفتها على اللسان من غيرها، فلفظ(ه) أخف من (هو)، و(هو) المستتر أخف من الظاهر، والظاهر (هو) أخف من (هذا)، و(هم) أخف من (هؤلاء)، فضلا عن تنوع دلالة الضمائر وصورها.

(١) تحليل الخطاب، ص: ٢٥٦ .

(٢) محمد خطابي: (لسانيات النص)، ص:١٨، وأحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص)، ص: ٢٤.

فيما اتصلت هذه الضمائر بالأفعال حوالي (٢٠٠٢) مرة، تساوى فيها المضارع والماضي وفاق ورودهما فعل الأمر الذي نزلت مرتبته عن مرتبتيهما ، في حين اتصلت بالأسماء مالا يعدو (١٤٢٠) مرة، كان الحظ الأوفر فيها للضمائر الكامنة في أسماء الفاعلين والمفعولين وصيغ المبالغة، واتصلت بالحروف تقريبا (٦٧١) مرة، أغلبها لحروف المعاني التي طبعت السياق النصي للآيات بدلالات خاصة، تليها أدوات النصب والتوكيد التي ربطت المشهد النصي والسياق اللغوي للآيات وعضدته في تماسكه وتلاحمه، وتواشجه النحوي والدلالي في آن واحد، بعيدا عن المعاظلة والتأبيد.

كما جاءت الضمائر مفردة لم تتصل بشيء في رؤوس الآيات (٦٤) مرة، ووقعت في محل الرفع (٢٥٧٦) مرة، وفي محل النصب (٥٠١) مرة، وفي محل الجر (١٠٤٧) مرة، وفي محل التوكيد أوالفصل والتخصيص (٣٦) مرة.

وهذا دليل على سيطرة ضمائر الرفع التي تشِي بمدَى التغيير والفاعلية عند وقوع القيامة وتلاحق أحداثها ومشاهدها؛ فهي واقعة لا محالة، "ليس لها مثنوية ولا ارتداد"[(١)]، كما فاق اتصال الضمائر بالأفعال اتصالها بالأسماء؛ لمناسبة الجو العام لحكاية المشاهد التي تتسم بسرعة الإيقاع والحركة، ولا ريب فالأفعال دالة على التجدد والتغير بخلاف الأسماء الدالة على الثبوت والجمود، ولاشك أن تجسيد الصور الحية لحركة المشاهد الرهيبة لا يكون بغير الفعل الدال علي الحدوث.

وقد كان أكثر هذه الضمائر ورودا في المرتبة الأولى هي: [هاء الغائب] التي وردت حولي (١٠٢٩) مرة، منها (٧٠٩) مرات في محل الجر، و(٣٢٠) مرة في محل النصب، منها (٤٦) مرة عائدا لصلة الموصول المحذوفة المقدرة التي دلّ عليها السياق، و(١٣) مرة لضمير الشأن المقدر، في حين جاءت هاء الغيبة لجماعة الذكور حوالي (٤٧٦) مرة، ولجماعة الإناث (٨) مرات، وللمفرد المذكر حوالي(٢٨٠) مرة، وللمفرد المؤنث (٢٥٦) مرة، وللمثنى (٩) مرات، يليها على التوالي في المرتبة الثانية: الضمير [هو] الذي ورد (٦٢٢) مرة، منها (٥٩٣) مرة مستترة، و(٤) مرات محذوفة مقدرة يدل عليها السياق النصي الواردة فيه، وقد جاء في المرتبة الثالثة: [واو الجماعة] الضمير المتصل الغائب حيث ورد (٥٨٤) مرة، وفي المرتبة الرابعة: جاء الضمير المنفصل [هم] الذي ورد (٣٣٤) منها (٣) مرات محذوفة مقدرة في رؤوس الآي، ثم وليه في المرتبة الخامسة: كاف الخطاب

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي "المتوفى: ١٥٠هـ":(تفسير مقاتل بن سليمان)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، نشر دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ ،ص: ٤ / ٣٠٩.

الذي ورد (٢٦٠) مرة أكثرها لجماعة الذكور، منها (١٧٤) مرة في محل الجر، و (٨٦) مرة في محل النصب، وقد جاء الضمير [هي] في المرتبة السادسة: حيث ورد (٢٥٠) مرة، منها (٢٣٣) مرة مستترة، و(مرتين) محذوفة مقدرة، ثم جاء في المرتبة السابعة: ضمير المتكلم [نا] الذي ورد (٢٩٥) مرة، منها (١١٨) في محل الرفع، و(٦٣) في محل النصب، و(١١٤) في محل الجر، يليه في المرتبة الثامنة: [واو الجماعة] الضمير المتصل المخاطب حيث ورد (١٨٨) مرة، وفي المرتبة التاسعة: جاءت تاء المخاطب حيث وردت (١٢٨) مرة، أكثرها لجماعة الذكور، ثم جاء في المرتبة العاشرة: ضمير المتكلم [نحن] الذي ورد (١٣٥) مرة، منها (١٢٠) مرة مستترة، وليه في المرتبة الحادية عشرة: ضمير المخاطب [أنتَ] الذي ورد (٩٧) مرة، منها (٨١) مرة مستترة، وجاء في المرتبة الثانية عشرة: [ياء المتكلم] التي وردت (٧٩) مرة، منها (٥٠) مرة في محل الجر، و(٢٩) مرة في محل النصب، منها (١١) مرة محذوفة مقدرة، ثم جاء في المرتبة الثالثة عشرة: ضمير الخطاب المنفصل [أنتم] الذي ورد(٥٢) مرة، يليه في المرتبة الرابعة عشرة: ضمير الغائب [هن] الذي ورد (٢٤) مرة، وفي المرتبة الخامسة عشرة: جاء ضمير المخاطب [ألف الاثنين] الذي ورد (٢٣) مرة، وليه في المرتبة السادسة عشرة: ضمير المتكلم [أنا] الذي جاء (٢٠) مرة، وفي المرتبة السابعة عشرة: جاء ضمير المتكلم[تاء المتكلم] الذي ورد (١٩) مرة، وفي المرتبة الثامنة عشر: جاء ضمير الغائب [ألف الاثنين] الذي ورد (٤) مرات فقط، أما في المرتبة التاسعة عشر: فقد جاء ضمير الخطاب [أنتِ] الذي ورد (٣) مرات مستترا، و[ياء المخاطبة] التي وردت(٣) مرات مرفوعة كذلك، وحل في المرتبة العشرين: كل من ضمير الغائب المثنى [هما] حيث ورد (مرتين)، وضمير [نون النسوة] الغائب المتصل الذي ورد (مرتين) كذلك مرفوعا، وضمير المتكلم المنصوب [إيانا] (مرتين) كذلك، وفي المرتبة الأخيرة: جاء كل من ضمير الغائب المنصوب [إياه] (مرة واحدة) محذوفا مقدرا، وضمير المتكلم المنصوب [إياكم] (مرة واحدة) متقدم فيها على فعله.

الضمائر الإحالية و العلاقة بالنص:

على الرغم من أن مشاهد القيامة جاءت متعددة في سور القرآن الكريم، مبثوثة في آياته، ذات أساس موضوعي واحد، فإنها بقيت متجددة متغيرة في كل إيقاع نصي، لم ينشأ في أحدها تكرار، بل حفل كل مشهد بجزئيات وكليات تختلف عن سابقه، وهذا لون من ألوان الإعجاز لا يحيطه وصف.

تنوعت الإحالات فيه وتغايرت من داخلية وخارجية، سابقة ولاحقة، بحسب موضوعات هذه المشاهد وتوزيعها في سور القرآن الكريم، تقاربت عناصرها أحيانا، وتوسطت في بعضها، وجاءت شاسعة البعد في أحايين أخرى، وإن كانت بعيدة؛ إلا أنها لم تشذ عن نظام تسلسلي وردت فيه عناصرها أو أدواتها متلاحقة يحيل بعضها على الآخر من بداية النص وحتى نهايته؛ "إذ تتوزع الإحالات حسب أهمية العنصر المحال إليه أو حسب مدى التركيز عليه، ومدار الكلام المتجه إليه، وفق نظام خاص"(١)، ويمكن حصر موضوعات [مشاهد القيامة] فيما يلي:

- إثبات وقوع البعث، وما يسبق ذلك من أهوال.
- توحيد الله وإقرار الربوبية له وحده عز وجل، ونفي الشركاء.
- إقامة الحجة على الكفار، ودفعهم للاعتراف باستحقاقهم للعذاب.
- تخاصم أهل النار، وتخلي المتبوعين عن أتباعهم، وتمنيهم الرجوع للدنيا.
- جزاء المتقين الصابرين، وتشريفهم بنعيم الله المقيم.
- وصف الجحيم، وما أعد للمنافقين الكاذبين.
- وصف جنات النعيم، ودار الكرامة للمخلصين المصدقين.
- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليته على ما يلقاه من المشركين.

وعليه فالضمائر في مشاهد القيامة تحيل دائما إلى عناصر إشارية سابقة أو لاحقة، لا تخرج عن: (الإحالة لله –عزوجل– ، أوالنبي – صلى الله عليه وسلم–، أو المشركين والمكذبين والكفار، أوالمؤمنين والمتقين، أو الجنة دار النعيم، أو الجحيم دار العذاب المقيم، أوخزنة جهنم، والملائكة الموكلين بالعذاب، أو الإنعام)، ومن الأمثلة الجليَّةِ في هذا قول الله –تعالى–: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾[سورة العنكبوت: (٥٨)]؛ حيث جاءت الإحالة هنا بواو الجماعة مرتين في إحالة إلى (الذين)، ثم جاء الضمير (نحن) في "نبوئنهم" ليحيل إلى الله تعالى، وعلى الرغم من عدم وجود إحالة قبلية داخلية، فالسياق القرآني لا يغيب عن متلقي القرآن، فيمكنه على الفور تحديد مرجعية الضمير اعتمادًا على قيود النص القرآني وسياق الحال، ثم جاء الربط في ذات الفعل "لنبوئنهم "بالضمير (هم) إذ هو عائد على المبتدأ "الَّذين" والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إجراؤه مجرى "لننزلنهم و نبوئنهم" ، وهنا تربط الجملة الفعلية التي وقعت خبرا بالموصول الذي وقع

(١) كلماير: (دراسات لغوية تطبيقية)، دار زهراء الشرق، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص: ١٠٦.

مبتدأ، و ذلك الربط عن طريق الضمير "هم"؛ حيث عاد الضمير اللاحق على المبتدأ السابق عليه في الرتبة ليرتبط به و يختصر الكلام.

ومنه أيضا قول الله –تعالى– في وصف عذاب أصحاب الشمال الحائدين عن دين الله الصواب: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ – لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾[سورة الواقعة:٥١-٥٢] ، وقد تبدت فيه إحالة الضمائر بأسلوب الخطاب على النحو التالي:

ثم إنكم (الكاف) أيها الضالون (أنتم) ويستبدل الضالون بـ(المكذبون) ثم يأتي الضمير(أنتم) المقدر لآكلون (أنتم) من شجرٍ من زقوم. فقد ترددت ضمائر المتكلم(٤) مرات، وبالرجوع إلى النص القرآني نجد أن العناصر الإحالية السابقة تعود على العنصر الإشاري (أصحاب الشمال) إذا ما نظرنا للسياق في الآيات السابقة عليها، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾[سورة الواقعة:٤١-٥٢]، فقد وردت الضمائر بصورة مكثفة متنقلة من غياب لخطاب، لتحقق نتيجة مفادها التجاهل والتقريع، جزاء لاختيار الضلال والبعد عن طريق الرشاد.

أما السور التي تتكلم عن البعث وأهواله؛ فتعود إحالاتها إلى تلك المشاهد التي تصفها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) ﴾[سورة التكوير: ١-١٤]، حيث جاءت الإحالة هنا بضمير الغائبة [هي]: (١٤) مرة مستترة في الأفعال

الماضية بعد جملة الشرط[1]، في إحالة إلى ما قبلها (الشمس، النجوم، الجبال، العشار، الوحوش، البحار، النفوس، الموءودة، الموءودة، الصحف، السماء، الجحيم، الجنة، نفس) بالترتيب على النحو التالي:

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (هي) - وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (هي) - وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (هي) - وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (هي)- وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (هي) - وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (هي) - وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (هي) - وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (هي)- بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (هي)- وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (هي)- وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (هي)- وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (هي) - وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (هي)- عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (هي).

فقد جاءت كلها في صورة إحالات لاحقة داخلية قريبة في سياق النص القرآني الذي وردت فيه، وهنا تربط الجملة الفعلية التي وقعت مفسرة بالجملة الشرطية التي سبقتها، و هذا الربط عن طريق الضمير "هي"، حيث عاد الضمير اللاحق على نائب الفاعل، أو الفاعل السابق عليه في الرتبة ليرتبط به و يختصر الكلام، ومن ثمَّ فقد آثر النصُّ القرآنيُّ حَذْفَ الفعل، وحذف الضمير بعد الفعل الثاني هنا، وتصدير نائب الفاعل أوالفاعل؛ لتخلصَ العنايةُ به وتسلمَ إليه ، وينحصرُ كلُّ الضوءِ فيه، فيحدث ذلك أثره في النفس، ويخرج البيانُ هنا من مجردِ التقريرِ والإخبارِ إلى التحريك والإيحاء؛ "ليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تقوية الحكم وتأكيده في جميع تلك الجمل ردا على إنكار منكريه فلذلك قيل: (إذا الشمس كورت) ولم يقل: (إذا كورت الشمس)"[2]واستعملت (إذا) دونما (إن)

(١) إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجوابها في الاثني عشر موضعا التي وقعت فيها قوله تعالى: "علمت نفس" وهي متعلقة بجوابها، والشمس نائب فاعل بفعل مقدّر يفسره ما بعده، وإلى هذا جنح نحاة البصرة، ومنعوا أن يرتفع بالابتداء؛ لأن إذا تتقاضى الفعل لما فيها من معنى الشرط، ولكن ما منعوه من وقوع المبتدأ بعدها أجازه الكوفيون والأخفش من البصريين، وجملة كورت مفسرة لا محل لها. ينظر: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش "المتوفى : ١٤٠٣هـ": (إعراب القرآن وبيانه)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، دار اليمامة - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق — بيروت، الطبعة: الرابعة ، ١٤١٥ هـ، ص: ٣٩١/١٠-٣٩٢.

(٢) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي "المتوفى : ١٣٩٣هـ"، (التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»)،الدار التونسية للنشر — تونس، ١٩٨٤ هـ، ص: ١٤٠/٣٠-١٤١.

للدلالة على تيقن وقوع الأمر[١]، "وفي إعادة (إذا) بعد واو العطف في هذه الجمل المتعاطفة إطناب اقتضاه قصد التهويل، كما أن صيغة الماضي في الجمل الاثنتي عشرة الواردة شروطا لإذا مستعملة في معنى الاستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط"[٢].

وقد تأتي معظم الإحالات مرتبطة بعنصر إشاري(محال إليه) واحد، وتتعدد الإحالات وفق تسلسل محكم مترابط ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾[سورة النازعات: ٤٢-٤٦].

يَسْأَلُ(و) نَ(كَ) عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَا(هَا) – فِيمَ (أَنتَ) مِن ذِكْرَا(هَا) – إِلَىٰ رَبِّ(كَ) مُنتَهَا(هَا)– إِنَّمَا (أَنتَ) مُنذِرُ مَن يَخْشَا"هو"(هَا) –كَأَنَّ(هُمْ) يَوْمَ يَرَوْنَ(هَا) لَمْ يَلْبَثُ(وا) إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَا(هَا)

و (واو الجماعة) في يسألون تعود على المشركين المفهوم ديدن سؤالهم من سياق الآيات، كما حكاه الله عنهم غير مرة في القرآن كقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) ﴾ [سورة الملك:٢٥]، و(الخطاب) للرسول – صلى الله عليه وسلم–، وإنما "حكي فعل السؤال بصيغة المضارع للدلالة على تجدد هذا السؤال وتكرره منهم"[٣]،ثم (ها) الغائب المضافة للمبتدأ التي تعود على الساعة، فـ(أنتَ) ضمير الخطاب العائد على الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ثم(ها) الغائب المضافة للاسم المجرور التي تعود على الساعة، فـ(ك) ضمير الخطاب العائد على الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ثم (ها) الغائب المضافة للمبتدأ التي تعود على الساعة، فـ(أنتَ) ضمير الخطاب العائد على الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ثم(هو) المقدر المستتر عنصر خارجي يعود على من يخشى وقوع الساعة، ثم(ها) الغائب المضافة للفعل المضارع في محل نصب مفعول به التي تعود على الساعة أيضا، ثم الضمير(هم) الذي يعود على المشركين، فضمير الجماعة(الواو) الذي يعود عليهم كذلك، ثم(ها) الغائب المضافة للاسم المعطوف التي تعود على الساعة.

(١) المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي "المتوفى: ٧٤٩هـ": (الجنى الداني في حروف المعاني)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط:١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، ص: ٣٦٧.

(٢) ابن عاشور:(التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»)، ص: ١٤٠/٣٠-١٤١.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٩٥/٣٠.

فهذه ستة ضمائر تعود إلى عنصر إشاري واحد، هو: (الساعة)، فبان أنه هو المرتكز الرئيس، فإنّ أهمَّ عنصر في النص يرتبط به أكبرُ عددٍ ممكنٍ من العناصرِ الإحاليةِ، وهذا ما يسمى بـ "السُّلميَّة الإحالية"[(١)]، وما تكررت ضمائر الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم- إلا لتعضد هذه الفكرة، فالمقصود "بلوغها إلى مسامع المشركين فلذلك اعتبر اعتبار جواب عن كلامهم وذلك مقتضى فصل الجملة عن التي قبلها شأن الجواب والسؤال"[(٢)].

بين بروز الضمير واستتاره:

وإذا كان إبرازُ الضميرِ أو ذكرُه له أثره في المعنى؛ فإن حذف الضمير وإسقاطه كذلك له أثره – أيضا- في المعنى متضافرا مع بقية عناصر الاتساق، مسلطا الضوء على المذكور، صارفا الانتباه له، وقد تعدد حذف الضمير الواقع في محل الرفع على الابتداء في مشاهد القيامة كثيرا، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) ﴾[سورة الهمزة:٦]، فالنار خبر حذف مبتدؤه (هي)[(٣)] الذي يحيل إلى الحطمة في الآية قبلها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ(٥) ﴾[سورة الهمزة:٥]، وفي حذف الضمير إيحاء بهول النار، وأن كل ما عداها هين، وليس ثمة شيء أشد هولا منها، فإبراز الخبر بهذا الشكل مع اسقاط المبتدأ أنسب في توصيل الإحساس بعمق الحدث أو الوصف بسرعة[(٤)]؛إذ المبتدأ في نفسه عبارة عن الذاتٌ، والخبر عبارة عن الصفةٌ، والمعْنِيُّ هنا إبراز الوصف "ولا شك أن الذات بالابتدائية والصفة بالخبرية أحقُّ من العكس"[(٥)].

ومنه – أيضا- قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ [سورة الواقعة:٣]، فخافضةٌ خبرُ لمبتدإ محذوف، وكذا رافعة [(٦)]، وأصلُ الكلامِ (هي) خافضة ، (هي) رافعة، يحيلان على (الواقعة) في الآية

(١) الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص: ١٣٤.

(٢) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٠/٩٥.

(٣) ينظر: درويش: (إعراب القرآن وبيانه)، ص: ١٠/ ٥٧٩.

(٤) ينظر: حمادة حامد: (النحو الدلالي) "دراسة منهجية تطبيقية: شعر محمود غنيم نموذجا"، مكتبة الآداب، القاهرة،١٤٣٢هـ-٢٠١٠م، ص:٤٠.

(٥) العلوي ، يحي بن حمزة العلوي: (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)،ط: ١٩٨٠ م ، نشر دار الكتب العربية، بيروت، ص: ٢/ ٢٤.

(٦) ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي: (التفسير الوسيط للزحيلي)،دار الفكر – دمشق ،ط:١ - ١٤٢٢ هـ ،ص: ٣ / ٣٥٦٨، وكذا درويش: (إعراب القرآن وبيانه)،ص: ٩ / ٤٢٥ .

الأولى من السورة:﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾، حُذِفا للفت الانتباه إلى الخبر، فالمعنى خافضة لأهل النار، رافعة لأهل الجنة أي؛ "خَفَضَتْ أَقْوَامًا بِي عَذَابِ اللَّهِ، وَرَفَعَتْ أَقْوَامًا بِي كَرَامَةِ اللَّهِ"[(١)]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ [سورة طه: ١١٢]، وجملة لا يخاف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فـ(هو لا يخاف) ، والضمير فيها عائد على الاسم الموصول(من) في بداية الآية، وجملة فـ(هو لا يخاف) في محل جزم جواب الشرط[(٢)]، والجملة في موضع الحال والتقييد بذلك؛ لأن الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات، فاقتضى حذف المبتدأ لصرف الانتباه بإبراز نفي الخوف عنه – أي: المؤمن–، إذ المعنى فَلا يَخافُ ظُلْما فيزاد في سيئاته، ويمنع من ثواب مستحق بموجب الوعد، وَلا هَضْما فينقص من حسناته[(٣)].

وقد يحذف الضمير المتصل رغبة في الاقتصار والاختصار، مع عدم خلو المقام من لفتة دلالية اقتضاها السياق النصي والمقالي، ومن هذا قوله –تعالى–:(ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۚ.....(١٨)﴾ [سورة الزمر: ١٦–١٨]، فقد حذف ضمير المتكلم (ي)، إذ الأصل؛ يا عبادي(ي) فاتقون(ي).....فبشر عباد(ي)، وهي عناصر لاحقة تحيل إلى (الله)، محذوفة استغني عنها بالكسر للدلالة عليها، فيما ذكرت هذه الياء في سورة أخرى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧)ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [سورة الفجر: ٢٧–٢٩]

حيث برزت الياء في الكلمة ذاتها (عبادي)وعاد الضمير على (رب) في الآية قبلها في عدول من الغائب إلى المتكلم.. ولهذا الحذف والبروز لـ(ياء المتكلم) علة سياقية تبعا للنص الواردة فيه كل منهما، فـ"العباد في آية الفجر أوسع وأشمل مما حذفت منه الياء في آية الزمر، فكأن طول البناء إشارة إلى سعة المجموعة، فقد خصصهم في الزمر بقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۚ﴾ فلم يكتفوا بالحسن بل اتبعوا الأحسن، وأطلقهم في آية الفجر في عموم عباده الذين يدخلون الجنة، ولاشك أن

(١) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني "المتوفى: ٢١١هـ": (تفسير عبد الرزاق)، دراسة وتحقيق: د.محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ، ص: ٣/ ٢٧٥.

(٢) ينظر: درويش: (إعراب القرآن وبيانه)، ص:٦/٢٥٠.

(٣) ينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي "المتوفى: ١٢٧٠هـ": (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٥ هـ، ص:٨/ ٥٧٥.

فيهم من لم يكن يتبع أحسن القول"[١]، والزيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى ولا ريب أن مما حسّن هذا وعضده الفواصل التي جاءت مناسبة لكل موضع في سياقه، ففي سورة الزمر كان الحذف ديدن معظم فواصل السورة، مع سيطرة ضمائر الغياب على مقاطعها، (ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِ(ـهِ) عِبَادَ(ۚهُ) يَا عِبَادِ(ي) فَاتَّقُونِ(ي) - وَالَّذِينَ اجْتَنَبُ(وا) الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُ(و)(هَا) وَأَنَابُ(وا) إِلَى اللَّهِ لَ(هُمُ) الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ(أنت) عِبَادِ(ي) - الَّذِينَ يَسْتَمِعُ(و)نَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ(و)نَ أَحْسَنَ(هُ ۚ)...) فيظهر جليا بروز ضمائر الغياب واستتار ضمائر التكلم، أما في سورة الفجر؛ ففاصلة آياتها ضمائر تكلم بارزة تعود إحالاتها إلى مرجع مذكور في النص، وقد التفت فيها من غائب إلى متكلم لزيادة التشريف والتكريم ﴿ارْجِعِ(ي) إِلَىٰ رَبِّ(كِ) رَاضِيَةً (أنتِ) مَّرْضِيَّةً (أنتِ)- فَادْخُلِ (ي) فِي عِبَادِ (ي)- وَادْخُلِ(ي) جَنَّتِ (ي)﴾ فكل ضمائر الخطاب جاءت بارزة ظاهرة عدا الضمير الكامن في اسم الفاعل، و"أضيفت الجنة إلى ياء المتكلم فناسب أن يظهر مع العباد كما ظهر مع الجنة، فالعباد عباده، والجنة جنته، وعباده يدخلون جنته"[٢]، حيث لم يقل: (فادخلي جنتي في عبادي) وإنما كرر فعل وادخلي لـ"لاهتمام بالدخول بخصوصه تحقيقا للمسرة لهم"[٣].

وكما وظِّف حذف الضمير في إبراز خبره، أو الإشارة إلى دلالة تضمنها السياق النصي الواردة فيه لا تظهر بذكره، ومع وضوح ما لذكْر الضمير من دور بارز في الربط المفهومي واللفظي، إلا أن هناك استعمالات خاصة يذكر فيها الضمير ويظهر بارزا لدلالة بعينها، لا تقتضي الزيادة والتكرار، ومنه قوله -تعالى-: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾ [سورة المؤمنون:١١١]، فضمير الفصل (هم) المحيل إلى (فريق من عبادي) في الآية قبله ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ..... بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ جاء لدلالة الاختصاص بعد ضمير (أنّ) المتصل الواقع في محل نصب اسمها، وزيادة في تقريع ولوم الكفار، أي: هم الفائزون لا أنتم، وبالنظر للسياق الواردة فيه، ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي

(١) السامرائي، فاضل صالح السامرائي: (أسئلة بيانية في القرآن الكريم)، مكتبة الصحابة، الإمارات – الشارقة، ط:١٤٢٩،١هـ-٢٠٠٨م، ص:١٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص:١٦٥.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٠/ ٣٤٤.

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾ [سورة المؤمنون:١٠٦-١١١]، يتضح المعنى جليا؛ فقد "كان فريق من عبادي يدعون فتشاغلتم بهم ساخرين، واستمر تشاغلكم باستهزائهم، إلى أن جركم ذلك إلى ترك ذكري في أوليائي فلم تخافوني في الاستهزاء بهم، وهذا التذنيب لازم؛ ليصح قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ....﴾ تعليلا، ويرتبط الكلام ويتلاءم مع قوله سبحانه: ﴿....وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، وفيه تسخط عظيم لفعلهم ذلك، ودلالة على اختصاص بالغ لأولئك العباد المسخور منهم، وختمه بقوله سبحانه: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ..... أنهم هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ زيادة في خسئهم بإعزاز أضدادهم".[١]

ومنه أيضا قوله – تعالى-: ﴿..... إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) ﴾[سورة المائدة:١١٦]، فضمير الفصل (أنت) المحيل إلى (الله) في الآية ذاتها ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ جاء لدلالة الحصر بعد ضمير (إنّ) المتصل الواقع في محل نصب اسمها، وزيادة في التقرير "لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب لا يعلمه إلا الله، وما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه أحد، فإذا كنت أنت المختص بعلم الغيب؛ فلا علم لي بالغيب، فكيف تكون لي الألوهية"[٢]، وهذا جلي واضح في سياقه النصي الوارد فيه ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ولذلك "جيء بـ(إن) المفيدة التعليل، وجمع فيه أربعة مؤكدات مع طريقة حصر، إن وصيغة الحصر، وجمع الغيوب، وأداة الاستغراب".[٣]

الإظهار في مقام الإضمار:

وإن كانت الضمائر بالنسبة للنص كالخيط للعقد، تشده وتربطه وتعضد تماسكه، فلا يعني ظهور العنصر المحال إليه صريحا ظاهرا خلاف ذلك، وإنما قد يذكر لأغراض دلالية نصية لا يخفيها البيان،

(١) الألوسي: (روح المعاني)، ص: ٢٦٧/٩.

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي "المتوفى: ٧٤٥هـ": (البحر المحيط في التفسير)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ص:٤/ ٤١٧.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١١٥/٧.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)﴾[سورة القارعة:١-٣]، فإعادة لفظ القارعة إظهار في مقام الإضمار، عدل فيه "عن أن يقال: القارعة ماهيه، وما أدراك ماهيه، لما في لفظ القارعة من التهويل والترويع، وإعادة لفظ المبتدأ أغنت عن الضمير الرابط بين المبتدأ وجملة الخبر، استعمل الاستفهام فيها للتهويل على طريقة المجاز المرسل المركب، لأن هول الشيء يستلزم تساؤل الناس عنه "[(١)]، كما جاء الخطاب في قوله: (وما أدراك) لغير معين مذكور في النص، ولا شك أن إيثار هذه المادة وهذه الصيغة "يسمح باندارج معان صالحة بهذا المقام فيكون ذلك من الإيجاز البديع؛ لتذهب نفوس السامعين كل مذهب ممكن من مذاهب الهول والتخويف بما يحق حلوله بهم"[(٢)].

ومنه – أيضا– قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦))﴾[سورة المزمل:١٥-١٦]، فقد ذكر فرعون والرسول دون الإحالة إليهما بالضمير، وفي "إعادة فرعون والرسول إظهار لتفظيع شأن عصيانه، وإن ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى، معرضا بأن عصيان المخاطبين (كفار مكة) أفظع وأدخل في الذم إذ زاد – جل وعلا– لهذا الرسول وصفا آخر ﴿شاهِدا عَلَيْكُمْ﴾"[(٣)]، ولما جرى ذكر الرسول المرسل إلى فرعون أول مرة جيء به في ذكره الثاني معرفا بلام العهد وهو العهد الذكري، أي الرسول المذكور آنفا، فإن النكرة إذا أعيدت معرفة باللام كان مدلولها عين الأولى[(٤)].

وقد يذكر الاسم ظاهرا في مواضع ومضمرا في أخرى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ(١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾ [سورة الهمزة:١-٩]، فقد كرر الحطمة ظاهرة صريحة، فقال: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي "المتوفى: ٦٧١هـ": (الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، (ط:٢)، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، ص: ٢٠/ ١٦٤، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ٣٠/٥١٠.

(٢) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/١١٢.

(٣) الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/١٢٠.

(٤) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/٢٧٤.

الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)﴾ فيما أضمر في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ(١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ(١١)﴾[سورة القارعة:٩-١١]، ولاشك أن "الاسم الظاهر أقوى من الضمير و آكد في الدلالة"[١].

وبالنظر إلى سياق كل منهما يتضح "التوسع في سورة الهمزة، فقد ذكر صفات المعذَّب، وتوسع في ذكر العذاب، فقال: ﴿ويْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الذى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ *يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الحطمة * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الحطمة * نَارُ الله الموقدة * التي تَطَّلِعُ عَلَى الأفئدة * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، فوصف المعذّب بأنه هُمَزة لُمَزة، وأنه جمع مالاً وعَدّده، يحسب أن ماله أخلده، ولما توسع في صفاته؛ توسع في ذكر عذابه، فقال: ﴿كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الحطمة * وَمَآ أَدْرَاكَ ...﴾، فناسب ذلك ذكر الزيادة في سورة الهمزة دون سورة القارعة، التي قال فيها ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ(١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ(١١)﴾ فجاء بالضمير لاختزال الكلام بعده واختصاره"[٢] فتلك النار حامية "خارجة عن العهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر، ولا تدري كنهها، والضمير يعود إلى (الهاوية) والهاء للسكت"[٣]، ومع كثرة استعمال النار في القرآن لنار الجحيم، "لم تأت مضافة إلى الله -تعالى- إلا في (الهمزة) فشهد ذلك بفداحة النكر لفتنة المال وما تغرى به من تكبر وبغي، وعدوان وضلال"[٤].

ثم إنه ذكر في أول الهمزة ﴿ويْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ "فدعا عليهم بالهلاك الدائم الذي لا ينقطع، ورفعُ (الويل) يفيد الاسمية، والاسمية تفيد الثبوت، فناسب الدلالة على الدوام، أن يقول: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ للدلالة على الاستيثاق من غلق الأبواب عليهم؛ لأن هذا الكافر يجمع المال ويعدده، ويحفظه فكما حفظ المال وجمعه وأغلق عليه الأبواب، واستوثق من حفظه،

(١) السامرائي، فاضل صالح السامرائي: (معاني النحو)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، (ط:١)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص:٢/ ١٤٦.

(٢) السامرائي، فاضل صالح السامرائي: (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل)، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، (ط:٣)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص: ٢٨١.

(٣) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي "المتوفى: ١٣٠٧هـ": (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص:١٥/ ٣٦٢.

(٤) عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ "المتوفية: ١٤١٩هـ": (التفسير البياني للقرآن الكريم)، دار المعارف – القاهرة، ط:٧، (د.ت)، ص:٢/ ١٧٧.

أغلقت عليه أبواب جهنم واستوثق منها بأن مُدّت عليهم الأعمدة، وإن كان يحسب أن ماله أخلده في الدنيا وأبقاه، وأنه لا يفارقها، فعوقب بذلك بالخلود في النار، وحطمت كل آماله وأمانيه"[١] فناسب ذلك التحطيم ذكر الحطمة، واختص بذكر حرف الجر {عَلَيْهِمْ} لـ"إفادته معنى الإطباق الملاصق المباشر، فلا يقوم مقامه (فوقهم) مثلا، لاحتمال أن تكون الفوقية غير ملاصقة ولا مطبقة ملابسة"[٢].

في حين شبه الهاوية في سورة القارعة بالأم فكما أن الأم مفزع الولد فهذه النار مفزع الكافر وملجؤه، تهكما به، و إشارة إلى شدة العذاب والهول؛ فالنار تحيط به كما تحيط الأم بولدها، فهو يخر فيها على أم رأسه فيهلك[٣].

وعليه، يتضح من كل ماسبق أن ظهور العنصر المحال إليه صريحا ظاهرا، إنما ذكر لأغراض دلالية نصية، ذلك لأن الاسم الظاهر يتضمن معنى الغيبة أيضا، وإنما كان العدول عن الضمير الغائب إليه في تلك الصورة، لما "يتفرد به الإظهار دون الإضمار من الدلالة على (الوصف المائز) للذات أوالذوات الغائبة، فإذا كان ضمير الغيبة يدل على عموم الغائب دون تخصيص أو تحديد؛ فإن الاسم الظاهر يدل على غائب مخصوص، محدد بأبرز أوصافه أو ما يصدر عنه من أحداث، وعلى ذلك، فإن نكتة إظهار المضمر في سياق ما تتمثل في وثاقة الصلة بين هذا (الوصف المائز) والمقطع الذي يبدأ عنده الإظهار في هذا السياق"[٤]، ولاشك أن هذا العنصر الإحالي الظاهر البارز يساهم بدوره في تماسك النص وتعاضده دونما انقطاع أو ارتباك أو غموض.

مرجعية الضمير وإزالة اللبس:

إن تحديد مرجعية الضمائر من أهم الأمور التي تساهم في استمرارية تواترها، لتشكل الربط النحوي بين العناصر المحيلة والعناصر المحال إليها في سعي لتحقيق التماسك والتضافر الدلالي، الذي يظهر في الانسجام البديع بين الآيات، والربط المحكم بين المواضيع الجزئية التي تتلاحم و تتعالق حتى تشكل البنية الكلية المتماسكة لنصوص (مشاهد القيامة) في مبناها ومعناها، ولأجل ذلك ظهر

(١) السامرائي: (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل)،ص: ٢٨١.

(٢) عائشة محمد علي عبد الرحمن : (التفسير البياني للقرآن الكريم)، ص:٢/ ١٧٩.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ٣٠/٥١٤-٥١٥.

(٤) حسن طبل:(أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية)،دار الفكر العربي، القاهرة،١٤١٨هـ -١٩٩٨م، ص:١٢١.

اختلاف النحاة والمفسرين في مرجعية بعض الضمائر وما تحيل إليه، فقد يرد العنصر الإشاري (المحيل) أولا، و(المحال إليه) متأخرا عنه على غير الترتيب المألوف، و"غالبا ما يكون المحال إليه في مثل هذه الحالات من التقديم والتأخير في السياق القرآني، هو لفظ الجلالة أو ما يتصل به من أمر عظيم، فيصدر الضمير، ثم تتلوه الجملة الموضحة والمبينة، لتلقي الضوء على كل من المتقدم والمتأخر"[(١)]، وذلك لإثارة الذهن حتى تتشوق نفس السامع إلى العثور على المراد به، ثم يفسره البيان الذي يتكفل به المسند، فيكون أوقع في النفس؛ لأن التفسير يحصل بعد ذكره مبهما غامضا، وذلك من دواعي التمكنِ[(٢)].

وبرغم أن حالة تقديم العنصر الإشاري على العنصر المحال عامة قد تكد فهم القارئ ويكدّ ذهنه؛ فإن البيان القرآني يسوقها بطريقة بعيدة عن المعاظلة، بلْ تدافع إلى تحريك الذهن وإيقاظ الانتباه[(٣)]، بتوظيف يأخذ فيه النص بعضه بزمام بعض ليصل إلى التقارب والتضافر الدلالي، وليجعل القارئ يتخيل ما يقرأ بل يعاينه كأنه أمامه.

وهذا إجمال لا بدَّ له من تفصيل، ودعوى لا بدَّ لها من دليل، ولعل خير شاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩)﴾[سورة الصافات: ١٩]

فضمير الغائب (هي) لا يحيل على متقدم وإنما يعود على متأخر لفظا ورتبة، تفسره الجملة التي بعده، و"اختير الضمير المؤنث ليحسن عوده إلى زجرة، وهذا من أحسن استعمالات ضمير الشأن أو القصة، والقصر حقيقي مراد منه تأكيد الخبر بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أن زجرة واحدة غير كافية في إحيائهم"[(٤)] وقد جاءت نظير هذه الآية في سورة النازعات، حيث يقول- تعالى- : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ(١٤)﴾ [سورة النازعات: ١٣-١٤]، والآيتان مكيتان،

(١) حمادة حامد:(التماسك النصي بالإحالة: دراسة تطبيقية في سورة الواقعة)، ص: ٤٧.

(٢) ينظر: عبد العظيم المطعني : (خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)،ص:٢/ ٨٣، وكذا نائل محمد اسماعيل: (الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني: دراسة وصفية تحليلية)، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١١م، المجلد:١٣، العدد:١(B)، ص:١٠٦٩-١٠٧٠.

(٣) ينظر: حمادة حامد:(التماسك النصي بالإحالة: دراسة تطبيقية في سورة الواقعة)، ص: ٤٧.

(٤) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٠/٧٢-٧٣.

و"وحدة السياق فيهما تشير إلى أن الزجرة[١] بهما ليست مجرد صيحة، وإنما هي صيحة فيها كل ما يحتمل الزجر من قهر وردع وهوان وإذلال، مع ملحظ قريب من المعنى الحسي الأصيل للمادة، من قولهم: زجر الكلب إذا ساقه! دون تحديد هذه الزجرة بـ(أنها النفخة الثانية يبعث بها الأموات) كتأويل بعض المفسرين، والمفاجأة فيها صريحة بـ(إذا)، وهي تناسب الزجرة الواحدة، وبغتة القيامة"[٢]، وفي هذا دليل على سرعة حضورهم بهذا المكان عقب البعث، يعضد ذلك عطفها بالفاء[٣] لتحقيق المعنى الذي أفادته (إذا)؛ لأن الجمع بين المفاجأة والتفريع أشد ما يعبر به عن السرعة مع إيجاز اللفظ، فيحصل تأكيد المعنى المراد، وإفادة عدم الترتب بين الزجرة والنظر، أو الزجرة والحصول في الساهرة، وفي إعادة حرف المفاجأة إيماء إلى حصول مضمون الجملتين المقترنتين بحرف المفاجأة في مثل لمح البصر حتى كان كليهما مفاجأ في وقت واحد[٤].

وإن كان في اختيار لفظ النظر دلالة بعينها؛ فهو إما " من النظر أي: فإذا هم بصراء ينظرون، أو من الانتظار أي: فإذا هم ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به"[٥]، وفي ذلك كناية "عن الحياة

(١) الزجرة: الصيحة، وأكثر ما تكون في سوق الكلب والبهم والدواب، ويلحظ فيها معنى الإذلال، من قولهم: تركه بمزجر الكلب، وناقة زجور: لا تدر لبنها حتى تزجر. كما استعملوا الزجر في التأنيب أو الردع، وقد وصفت الزجرة بواحدة تأكيدا لما في صيغة المرة من معنى الوحدة لئلا يتوهم أن إفراده للنوعية، وهذه الزجرة هي النفخة الثانية التي في قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [سورة الزمر: ٦٨] فهي ثانية للتي قبلها، وفيه مناسبة لإحياء ما كان هامدا كما يبعث البعير البارك بزجرة ينهض بها سريعا خوفا من زاجره. ينظر: ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٠/٧٢-٧٣، وكذا عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ: (التفسير البياني للقرآن الكريم)، ص:١/ ١٤١.

(٢) عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ: (التفسير البياني للقرآن الكريم)، ص:١/ ١٤١.

(٣) وقيل بل الفاء "واقعة في جواب شرط مقدر، أو تعليلية لنهي مقدر، أي: إذا كان كذلك فإنما البعثة زجرة واحدة، أو لا تستصعبوها فإنما هي زجرة، وجوز الزجاج أن تكون للتفسير والتفصيل وما بعدها مفسر للبعث، وتُعُقِّب بأن تفسير البعث الذي في كلامهم لا وجه له والذي في الجواب غير مصرح به، وتفسير ما كني عنه بنعم مما لم يعهد، والظاهر أنه تفسير لما كني عنه بنعم وهو بمنزلة المذكور لا سيما وقد ذكر ما يقوى إحضاره من الجملة الحالية، وعدم عهد التفسير في مثل ذلك مما لا جزم به، وقد نازع أبو حيان في تقدير الشرط فقال: لا ضرورة تدعو إليه، ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه إلا إذا انجزم الفعل في الذي يطلق عليه أنه جواب الأمر والنهي وما ذكر معهما على قول بعضهم إما ابتداء فلا يجوز حذفه والجمهور على خلاف والحق معهم، وهذه الجملة إما من تتمة المقول وإما ابتداء كلام من قبله -عز وجل-" وهذا الرأي الأخير هو ما اعتمده البحث وسار عليه. ينظر: أبو حيان: (البحر المحيط)، ص، ٩/٩٦، و الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٢/ ٧٧.

(٤) ينظر: ابن عاشور: (التحرير والتنوير) ، ص: ٢٣/٣٩.

(٥) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص، ٩/٩٦.

الكاملة التي لا دهش يخالطها بالنظر، لأن النظر لا يكون إلا مع تمام الحياة، وأوثر النظر من بين بقية الحواس لمزيد اختصاصه بالمقام، وهو التعريض بما اعتراهم من البهت لمشاهدة الحشر"[١] وفي اختيار الزجرة بصيغة المرة إشارة في معناها إلى التعجيل "فالله يأمر بأمر التكوين بخلق أجساد تحل فيها الأرواح التي كانت في الدنيا، فتحضر في موقف الحشر للحساب بسرعة"[٢] .

ولاشك أن غموض الضمير (هي) في بداية الآية ساهم في التشويق لإعارة الانتباه، لتجسيد الصورة وتمثيلها لمتلقي النص، عضده كذلك تضافر بقية ضمائر الغياب في هذه الآية (هم، وواو الجماعة) التي تحيل إلى عناصر خارجية (المنكرون)، وعبر عنهم بالغائب على (سبيل الحكاية)، فقد تواشجت تلك العناصر كلها؛ لتصب في معين الهدف(حقيقة البعث) دونما انقطاع أو اختلال في بنية النص الجزئية أو الكلية.

ومن ذلك أيضا قوله –تعالى–: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)﴾ [سورة الأنبياء:٩٧]، ويمكن تحديد العناصر الإحالية فيه على النحو التالي:

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا (هِيَ) شَاخِصَةٌ[٣](هي) أَبْصَارُ (الَّذِينَ) كَفَرُ(و)ا يَا وَيْلَ(نَا) قَدْ كُ(نَّا) فِي غَفْلَةٍ مِّنْ (هَٰذَا) بَلْ كُ(نَّا) ظَالِمِينَ(نحن)﴾، حيث وردت كل الإحالات في الآية داخلية [هي–

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير) ، ص: ١٠٠/٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص:٧٢/٣٠–٧٣، وكذا عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ: (التفسير البياني للقرآن الكريم)، ص:١/ ١٤١.

(٣) شاخِصَةٌ اسم الفاعل خبر مقدم وأَبْصارُ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر الضمير (هي)، ولا يجوز ارتفاع أبصار شاخصة لأنه يلزم أن تكون بعد ضمير الشأن، أو القصة جملة تفسر الضمير مصرح بجزأيها، وهذا ما اعتمده البحث، ويجوز ذلك على مذهب الكوفيين. وذُكِر غير هذا الوجه وهو قول للفراء بأن "هي ضمير الأبصار تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها، أوهي عماد يصلح في موضعها هو" ورأى أبو حيان أن "هذا لا يتمشى إلا على أحد قولي الكسائي في إجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدأ، حيث أجاز (هو القائم زيد) على أن (زيد) هو المبتدأ و(القائم) خبره، و(هو) عماد وأصل المسألة (زيد هو القائم)، ويقول: أصله هذه (فإذا أبصار الذين كفروا هي شاخصة) فشاخصة خبر عن أبصار وتقدم مع العماد، ويجيء على مذهب من يجيز العماد قبل خبره نكرة، وذكر الثعلبي وجها آخر وهو أن الكلام تم عند قوله: فإذا هي أي بارزة واقعة يعني الساعة، ثم ابتدأ فقال شاخصة أبصار الذين كفروا وهذا وجه متكلف متنافر التركيب". أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٤٦٨/ ٧، وكذا ينظر: الألوسي:(روح المعاني)، ص:٨٨/٩.

هي الذين- واو الجماعة الغائب- نا- نا- هذا- نا- نحن] تحيل إلى عناصر سابقة عليها عدا أول ضمير في بداية الآية [هي] الذي يحيل إحالة داخلية لاحقة عليه.

فضمير الغائب(هي) ضمير القصة أو الشأن لا يحيل على متقدم، وإنما يعود على متأخر لفظا ورتبة، تفسره الجملة التي بعده، يقول أبو حيان: "وضمير (هي) للقصة كأنه قيل: فإذا القصة والحادثة أبصار الذين كفروا شاخصة"(١)، فيحصل للسامع "علم مجمل يفصله ما يفسر ضمير القصة بعده"(٢).

وهذا الضمير الغائب المبهم لم يأتِ إلا لتفخيم الأمر وتعظيمه، فالموقف غير مألوف والأمر الكائن عظيم وأحداثه رهيبة، وقد عضد ذلك مجيء إذا الفجائية المقترنة بالفاء الواقعة في جواب الشرط(٣)، يقول الزمخشري: " و(إذا) هي إذا المفاجأة، وهي تقع في المجازاة سادّة مسدّ الفاء، كقوله تعالى: ﴿إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[سورة الروم:٣٦]، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد. ولو قيل: إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة، كان سديدا"(٤)، وإنما جاءت الجملة متصدرة بالفاء وإذا للدلالة على تأكيد الأمر، ثم إنه لم يقتصر على الفاء وحدها لإفادة "الحصول دفعة واحدة سريعة بلا تدرج ولا مهلة"(٥).

ثم إن الجملة المفسرة لضمير القصة جاءت اسمية، حيث قال (شاخصة) ولم يقل (تشخص) للدلالة على ثبوت الحال ودوامه إذ الشخوص: "إحداد البصر دون تحرك ودون أن يطرف في غفلة

(١) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٧/ ٤٦٨.

(٢) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٥١/١٧.

(٣) لإذا في هذه الآية أوجهٌ أحدُها: أنها معطوفة على جواب الشرط المقدر في الآية السابقة عليها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) ﴾ حيث قُدِّر: فحينئذٍ يُبعثون. وقوله: ﴿فإذا هي شاخصة ﴾ عطفٌ على هذا المقدرِ. أما الثاني: فهو إنَّ جوابَها الفاءُ في قولِه: ﴿ فإذا هي... ﴾ وهو رأي الحوفي والزمخشري وابن عطية، يقول ابن عطية: «والذي أقول: إنَّ الجوابَ في قوله: ﴿فإذا هي شاخِصَةٌ ﴾، وهذا هو المعنى الذي قُصِد ذِكْرُه؛ لأنه رجوعُهم الذي كانوا يُكَذِّبون به وحَرَّم عليهم امتناعَه»، وهذا الرأي هو ما اعتمده البحث وسار عليه لدلالة النص عليه. ينظر: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي "المتوفى: ٧٥٦هـ" : (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت)، ص:٢٠٢/٨- ٢٠٣.

(٤) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ١٣٥.

(٥) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٥١/١٧.

كما يقع للمبهوت"[1]، وقد تقدم الخبر(شاخصة) على المبتدأ (أبصار)، فلم يقل(فإذا هي أبصار الذين كفروا شاخصة) للاهتمام به وتعظيم الأمر، وفي قوله: (يا ويلنا) تحيل (نا المتكلمين) إلى الذين كفروا قبلها، وقد جاءت مع حذف مقول القول أي: (يقولون يا ويلنا) و"حذف فعل القول ليكون مشهدا حاضرا مشاهدا محسوسا، وليس نقلا عنه"[2]، لتستحضر الأذهان الصورة، وتتجسد المشاهد أمامها حتى لكأن السامع يشاهدهم ويسمع قولهم.

وتنداح الصورة لتصف شدة حسرتهم في مشهد رهيب، تصفه دقة العبارة وصدق الاعتراف﴿قَدْ كُـ(نَّا) فِي غَفْلَةٍ مِّنْ (هَٰذَا)﴾ وهنا تحيل (نا المتكلمين) إلى الذين كفروا قبلها، ويحيل اسم الإشارة(هذا) إلى "مجموع تلك الأحوال من الحشر والحساب والجزاء"[3]، حيث تتوالى الإحالات لتشكل جسورا تواصلية في فضاء النص، يعضد هذا و-لاشك- دلالة التعبير، ودقة اختيار الألفاظ التي تخدم كل سياق نصي بعينه، لتنبئ عما تريد دونما زيادة أو قصور، يتضح هذا في استعمال (قد) التي وردت في هذه الآية لتفيد التحقيق والتأكيد، وجاءت في آية مماثلة ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾[سورة ق:٢٢]، بذات الدلالة مع زيادة اللام، ولعل الفرق بينهما يعود إلى النص ذاته، والسياق الواردة فيه كل منهما، فهذه اللام الداخلة على (ق) هي اللام الواقعة في جواب القسم لزيادة التوكيد، وذلك لأن الموقف في سياق آية (ق) بعد مجيء الساعة، وهو من أحداث القيامة وحصول الوعد الحق، حيث يقول -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾[سورة ق:٢٠-٢٢]، فناسب ذلك زيادة التأكيد، بخلاف آية الأنبياء، فسياقها إنما هو في اقتراب الوعد الحق، وليس في حصوله؛ فهو في علامات الساعة[4] بدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) [سورة الأنبياء:٩٦-٩٧]

(١) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٧/ ٤٦٨.

(٢) فاضل صالح السامرائي: (على طريق التفسير البياني)،دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ط:١، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ، ص:٤/٢٢٩.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٥٢/١٧.

(٤) فاضل صالح السامرائي: (على طريق التفسير البياني)، ص:٤/٢٣٠.

و"توقيت وعد الساعة بخروج يأجوج ومأجوج، لأن خروجهم أول علامات اقتراب القيامة، وقد عده المفسرون من الأشراط الصغرى لقيام الساعة"[(١)]فناسب عدم زيادة اللام هنا.

ثم إنه قال﴿ (فِي) غَفْلَةٍ﴾ ولم يقل(غافلين) للدلالة على "السقوط في الغفلة وإحاطتها بهم"[(٢)]، لأن (في) تفيد الظرفية وتدل على "تمكن الغفلة منهم حتى كأنها محيطة بهم إحاطة الظرف بالمظروف، أي كانت لنا غفلة عظيمة، وهي غفلة الإعراض عن أدلة الجزاء والبعث"[(٣)].

ثم إنه قال: ﴿"من" هذا﴾ ولم يقل (عن هذا) للدلالة على "أن الغفلة ابتدائية لازمة لهم لا عارضة أي: هم في غفلة دائمة"[(٤)]، ولو قال (عن) لأفادت المجاوزة[(٥)] والغفلة العارضة غير الدائمة.

واختتمت الآية باعترافهم في صورة إضرابية تصف حالهم ﴿ بَلْ كُـ(نَّا) ظَالِمِينَ(نحن)﴾، حيث جاء "الإضراب عن وصف أنفسهم بالغفلة أي: لم نكن في غفلة منه، فقد نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بترك الآيات والنذر مكذبين بها، أو ظالمين لأنفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب"[(٦)]، وقد أحال ضميرا المتكلم إلى الذين كفروا في الآية، وعبر عن ظلمهم لأنفسهم باسم الفاعل (ظالمين) فـ"ذكر صفة الظلم بالصيغة الاسمية للدلالة على ثبوت ظلمهم لأنفسهم"[(٧)].

وتجدر الإشارة إلى سياق هذه الخاتمة، حيث وردت في عدة سور بنظم مختلف عما وردت عليه هنا، بل حتى في السورة نفسها يقول – تعالى–: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٤٦) ﴾، وفي موضع آخر ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) ﴾ [سورة الأنبياء: ١٤،٤٦]، كما جاءت في سورة الأعراف كذلك﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥)﴾[سورة الأعراف:٥]، وفي القلم – أيضا– ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩)﴾[سورة القلم:٢٩]، .... إلى غير ذلك من السور التي جاءت فيها بالضمير المتكلم المؤكد بأن (إنّا)، ولعل هذا يعود إلى كل من النص والسياق والمقام الواردة فيه كل هذه الآيات بالتوكيد، ففي آيتي

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٤٧/١٧.

(٢) فاضل صالح السامرائي: (على طريق التفسير البياني)، ص:٢٣٣/٤.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٥١/١٧.

(٤) فاضل صالح السامرائي: (على طريق التفسير البياني)، ص:٢٢٩/٤.

(٥) السامرائي: (معاني النحو)، ص:٦٩/٣.

(٦) الألوسي: (روح المعاني)، ص:٨٩/٩.

(٧) فاضل صالح السامرائي: (على طريق التفسير البياني)، ص:٢٣٣/٤.

الأنبياء(٤٦،١٤) أكد الظلم لوقوع العذاب عليهم، فقد مستهم نفحة منه، وفي آية الأعراف كذلك، حيث وقع عليهم البأس والعذاب، وكذا سورة القلم؛ إذ الحديث فيها عن أصحاب الجنة بعد أن أهلك الله جنتهم وأبادها فأصبحت كالصريم بعد أن حرموا منها المساكين، ولم يذكر وقوع شيء من العذاب على الكفار في آية البعث(الوعد الحق)، يقول – تعالى– : ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)﴾، بل الاعتراف والتحسر بعد الشخوص والبهوت، وكأنهم مغيبون عن وعيهم مدهوشون عن واقعهم، و"التأكيد إنما يكون بحسب ما يقتضيه المقام، وهذا من دقيق مراعاة المقام على تباعد المواطن"[(١)].

ويلاحظ في هذه الآية تردد ضمائر المتكلم (٤) مرات، (٣) مرات منها ظاهرة تعود على العنصر الإشاري (الذين كفروا)، و (مرة) مستترة تعود أيضا على (الذين كفروا)، كما وردت الضمائر (٣) مرات للغائب، (مرة) تحيل للاسم الموصول (الذين) و(مرة) مستترة تحيل إلى (أبصار الذين كفروا)، و(مرة) ضمير القصة يحيل على جملة (شخوص الأبصار)، ويتضح من هذا أن المرتكز الرئيس في هذه الآية هو حال الذين كفروا عند وقوع (الوعد الحق)؛ حيث تقدَّمَ عنصرٌ إشاريٌّ (المحال إليه) وهو (الذين كفروا)، ثم دارت العناصر الإحالية كلها حوله متنوعة بين الضمائر الغائبة والمتكلمة وغيرها، دون تداخل أو غموض في الفهم، فـ"الغيبة مرتبطة بوصف حالهم، والتكلم مرتبط بقولهم"[(٢)]، وقد سبق كل ذلك ضمير القصة فكان أهمَّ عنصر في النص ارتبط به أوله بآخره، ثم توزعت الضمائر بعده حسب أهمية العنصر المحال إليه أو حسب مدى التركيز عليه، ومدار الكلام المتجه إليه، ليكون بعدها تردد ضمير المتكلم على لسان الذين كفروا: (يا ويلنا، كنا، بل كنا، ظالمين) إلماعة إلى ذهولهم من بعثهم بعد موتهم.

تعدد الإحالات:

لاشك أن تعدد المحال إليه في الإحالة النصية، واختلاف النحاة في التفسير التركيبي والدلالي لعنصر الإحالة، وخفاء العلاقة بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري وغموضها أحيانا، تشكل صعوبة كبيرة في تحليل النص وسبر أغواره، فقد يعود الضمير إلى أبعد مذكور في النص بقرينة سياقية

(١) فاضل صالح السامرائي: (على طريق التفسير البياني)، ص:٤/٢٣١-٢٣٢.

(٢) سعيد حسن بحيري: (دراسات لغوية تطبيقية)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،١٩٩٩م، ص: ١٠٦

يحددها المقام النصي، وقد تتعدد العناصر المحال إليها في النص، ولكل وجه نوع من الدلالة تحتمل الجِدّة والصواب.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦)﴾[سورة النبأ:٣١-٣٦]، ويمكن تقدير الضمائر فيه على النحو التالي:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ (هم) مَفَازًا -حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا – وَكَوَاعِبَ(هن) أَتْرَابًا - وَكَأْسًا دِهَاقًا(هو) - لَّا يَسْمَعُ(و)نَ فِيـ(هَا) لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا - جَزَاءً مِّن رَّبِّـ(كَ) عَطَاءً حِسَابًا﴾

وقد جاءت الإحالات قريبة بصيغة الغائب جميعها، عدا ضميرا واحدا فقط جاء بصيغة المخاطب، وردت (٣) ضمائر منها مستترة، و(٣) ظاهرة، تحيل إلى داخل النص عدا ضمير الخطاب الذي يحيل إلى خارج النص، وكلها تحيل لعنصر إشاري واحد عدا (هاء الغائب)، فالضمير (ها) المتصل بحرف الجر(في) والواقع في محل الجر يجوز أن يحيل إلى الكأس (الأقرب مذكور منه)، فـ"تكون (في) للظرفية المجازية بتشبيه تناول الندامى للشراب من الكأس بحلولهم في الكأس على طريق المكنية، وحرف (في) تخييل، أو تكون (في) للتعليل، والمعنى: لا يسمعون لغوا ولا كذابا منها أو عندها، فتكون الجملة صفة ثانية لـ «كأسا» "[(١)]، ويجوز كذلك أن يحيل ضمير فيـ(ها) إلى مفازا باعتبار تأويله بـ(الجنة) لـ"وقوعه في مقابلة جهنم من قوله تعالى: ﴿إن جهنم كانت مرصادا ﴾[سورة النبأ: ٢١]، أو لأنه أبدل حدائق من مفازا، وهذا المعنى نشأ عن أسلوب نظم الكلام، حيث قدم حدائق وأعنابا....، وأخّر وكأسا دهاقا حتى إذا جاء ضمير (فيها) بعد ذلك جاز إرجاعه إلى الكأس وإلى المفاز"[(٢)].

ولاريب فهذا التعدد في الإحالة من باب التوسع في الدلالة، والسورة نشأت على هذا النسق في التعبير، حيث يُبْلَغ أمد المراد، بألفاظ أعيان ومعان أفراد، من حيث لا مزيد على الحاجة، ولا داعي للإفاضة، فهؤلاء (المتقين) إضافة إلى كل ذلك النعيم المقيم لا يسمعون لغوا ولا كِذّابا، فهل يظن سماعهم الكذب القليل، إذ نفي سماعهم التكذيب الكثير المبالغ فيه؟؟!

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٠/٤٥-٤٦.

(٢) المرجع السابق نفسه.

فالكِذّاب يعني: المبالغة في الكذب والإفراط فيه، يقول الزمخشري: "كُذَّابًا بِضَمِّ الْكَافِ وَشَدِّ الذَّالِ، جَمْعُ كَاذِبٍ وَعَلَى أَنَّهُ مُفْرَدٌ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ، أَيْ: تَكْذِيبًا كُذَّابًا مُفْرِطًا فِي التَّكْذِيبِ، وكِذَّابا بِشَدِّ الذَّالِ مَصْدَرُ كَذَّبَ، وَهِيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ يَمَانِيَّةٌ، يَقُولُونَ فِي مَصْدَرِ فَعَلَ فِعَالًا، وَغَيْرُهُمْ يَجْعَلُ مَصْدَرَهُ عَلَى تَفْعِيلٍ، نَحْوَ: تَكْذِيبٍ، وَفِعَالٌ فِي بَابِ فَعَلَ كُلِّهِ فَاشٍ فِي كَلَامِ فُصَحَاءَ مِنَ الْعَرَبِ لَا يَقُولُونَ غَيْرَهُ، وَسَمِعَنِي بَعْضُهُمْ أُفَسِّرُ آيَةً فَقَالَ: لَقَدْ فَسَّرْتَهَا فِسَارًا مَا سُمِعَ بِمِثْلِهِ"(١).

ويقول أبو حيان: " وَلا كِذَّابا بِالتَّشْدِيدِ، أَيْ: لَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وقد قُرِأَ : كِذَابًا بِالتَّخْفِيفِ، مَصْدَرا لـ(كَذِبَ) مُخَفَّفًا، مِثْلَ كَتَبَ كِتَابًا، فَصَارَ الْمَصْدَرُ هُنَا مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ دُونَ لَفْظِهِ، مِثْلَ: أُعْطَيْتُهُ عَطَاءً"(٢).

وهذا يدل على أن (كِذَّابا) مصدر لـ(كَذَّبَ) وَمَصْدَرُ لـ(كَاذَبَ)، يدل على ذلك قراءة التخفيف، فجاء النص القرآني هنا بالمصدر للدلالة على أنهم لا يسمعون لا كَذِبا ولا تكذّيبا، أي: لا قليلا ولا كثيرا، فعبر بلفظ واحد جامع عن ذكر معنيين متضادين، وهذا "من بديع الإيجاز مع وفرة المعاني، فلا يسمعون في الجنة الكلام السافل ولا الكذب، في مقابل أهل جهنم وما يحيط بهم من الأذى الشديد بجميع حواسهم، جراء حرق النار، وسقيهم الحميم والغساق، لينال العذاب بواطنهم كما نال ظاهر أجسادهم، كذلك نفى عن أهل الجنة أقل الأذى وهو أذى سماع ما يكرهه الناس فإن ذلك أقل الأذى".(٣)

ثم جاء ضمير الخطاب (ك) في إحالة خارج النص للنبي – صلى الله عليه وسلم–، في قوله – تعالى– :﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦)﴾[سورة النبأ:٣٦]، مضافا إلى (رب) لما في الربوبيّة من رعاية ورحمة، و لـ"لإيماء إلى أن جزاء المتقين بذلك يشتمل على إكرام النبي– صلى الله عليه وسلم–، لأن إسداء هذه النعم إلى المتقين كان لأجل إيمانهم به، وعملهم بما هداهم إليه"(٤)، وقد عضد ذلك

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله "المتوفى: ٥٣٨هـ": (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)،دار الكتاب العربي – بيروت، ط:٣، ١٤٠٧ هـ، ص:٤/ ٦٨٩.

(٢) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/ ٣٨٩.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٠/٤٥-٤٦.

(٤) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى "المتوفى: ٩٨٢هـ": (تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت)، ص:٩/٩٢، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٠/٤٧

مجيء(من) التي " تفيد الابتدائية، أي: صادرا من لدن الله، وذلك تنويه بكرم هذا الجزاء وعظم شأنه"[(١)].

في حين غاب هذا الضمير مع مصير أهل جهنم فلم تذكر كلمة (ربك) كما ذكرت في الآيات المقابلة لها في الفريق الآخر؛ حيث قال -تعالى-:﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦)﴾[سورة النبأ:٢١-٢٦]، كما وصف جزاؤهم بالوفاق، ووصف جزاء المتقين بالعطاء وهو: "اسم لما يعطى، أي: يتفضل به بدون عوض، للإشارة إلى أن ما جوزوا به أوفر مما عملوه، ولكرامة هذه الأمة إذ جعل ثوابها أضعافا"[(٢)]، أما الوفاق فهو: "مصدر وافق وهو مؤول بالوصف، أي: موافقا للعمل الذي جوزوا عليه، وهو التكذيب بالبعث وتكذيب القرآن كما دل عليه التعليل بعده بقوله: ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا(٢٧) وكذبوا بآياتنا كذابا(٢٨)﴾ [سورة النبأ: ٢٧-٢٨]،فإن ذلك أصل إصرارهم على الكفر، وهما أصلان: أحدهما: عدمي وهو إنكار البعث، والآخر: وجودي وهو نسبتهم الرسول – صلى الله عليه وسلم- والقرآن للكذب، فعوقبوا على الأصل العدمي بعقاب عدمي وهو حرمانهم من البرد والشراب، وعلى الأصل الوجودي بجزاء وجودي، وهو الحميم يراق على أجسادهم والغساق يمر على جراحهم".[(٣)]

ويتضح من هذا أن القرآن يتأنق في اختيار الألفاظ، ويستخدم كلا حيث يؤدى معناه في دقة فائقة، تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها[(٤)]، ولا يخفى ما للإحالات هنا من دور بارز في إظهار الدلالة؛ خصوصا في تصرفها الموقعي، وضمائرها البارزة والمستترة، حتى بدت المغزل الذي نسج به التركيب، والوسيلة لتلوين معارضه .

ومن تعدد الإحالات – أيضا- قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٤٧/٣٠.

(٢) أبو السعود: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٩٢/٩، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٤٧/٣٠.

(٣) أبو السعود: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٩١/٩، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٣٨/٣٠.

(٤) ينظر: المطعني: (خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)، ص:٢٤٢/١.

يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١)﴾ [سورة المدثر: ٣١]، ويمكن تحديد الإحالات فيه على النحو التالي:

﴿ وَمَا جَعَلْ(نَا) أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْ(نَا) عِدَّتَ(هُمْ) إِلَّا فِتْنَةً لِّ(لَّذِينَ) كَفَرُ(و)ا لِيَسْتَيْقِنَ (الَّذِينَ) أُوتُ(و)ا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ (الَّذِينَ) آمَنُ(و)ا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ (الَّذِينَ) أُوتُ(و)ا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ (هم) ۙ وَلِيَقُولَ (الَّذِينَ) فِي قُلُوبِ(هِم) مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ(هم) مَا(ذَا) أَرَادَ اللَّهُ بِ(هَٰذَا) مَثَلًا ۚ كَ(ذَٰلِكَ) يُضِلُّ اللَّهُ (مَن) يَشَاءُ(هو) وَيَهْدِي(هو) (مَن) يَشَاءُ(هو) (هَّ) وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّ(كَ) إِلَّا (هُوَ) ۚ وَمَا (هِيَ) إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذا المقطع بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية وبعدية، بلغ ورودها (٢٧) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٧) مرة بارزة ومستترة، (١٠) منها متصلة و(٧) منفصلة، و(١٠) منها بصيغة الجمع و(٧) منها مفردة، (مرتان) بصيغة المتكلم، و(مرة واحدة) بصيغة المخاطب، و(١٤) مرة بصيغة الغائب، كما وردت الأسماء الموصولة (٨) مرات، منها (٥) خاصة، و(٣) عامة، و(مرتين) لاسم الإشارة، (واحدة) منها للمفرد المذكر القريب، و(واحدة) للمفرد المذكر البعيد.

كما جاءت الإحالات الضميرية في النص قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، داخلية وخارجية، كلها تشير لعنصر إشاري واحد، عدا ضمير الغائب المفرد المؤنث (هي) حيث يحيل إلى عناصر إشارية متعددة، يحتملها السياق النصي والمعنى الدلالي، يجوز فيها أن يحيل الضمير(هي) الواقع في محل الرفع على الابتداء إلى: {سقر} وإنما تكون ذكرى باعتبار الوعيد بها وذكر أهوالها، أو يحيل إلى {عدة أصحاب النار} وما عدتهم إلا ذكرى للناس؛ ليعلموا غنى الله عن الأعوان والجند، فلا يظلوا في استقلال تسعة عشر تجاه كثرة أهل النار، أو يحيل إلى {جنود ربك}، أو أن يرجع الضمير إلى {الكلام السابق قبله(إحالة موسعة)}، وتأنيث ضميره لتأويله بالقصة أو الصفة أو الآيات القرآنية، فما هي الدلائل والحجج والقرآن إلا تذكرة للبشر، وقيل: بل يعود على {نار الدنيا} لأنها تذكرة لنار الآخرة[1].

(١) القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي "المتوفى: ١٣٠٧هـ": (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص:١٤/ ٤١٦.

وإنما "حملت الآية هذه المعاني بحسن موقعها في هذا الموضع وهذا من بلاغة نظم القرآن، ولو وقعت إثر قوله:﴿لواحة للبشر﴾[سورة المدثر: ٢٩] لتمحض ضمير و(ما هي إلا ذكرى) للعود إلى: سقر"(١).

ولهذا التركيب دور أساس في تصوير المعنى الرئيس في هذه الآية التي تهدف إلى بيان معنى واحد، أو عدة معان سريعة التصور والإدراك، لذا احتوت على ضمائر كثيرة بلغ ورودها (١٧) مرة، جاءت فيها متواترة متتابعة يحيل فيها اللاحق على السابق، حتى ختمت بجملة الفاصلة التي جاءت مشتملة على الضمير(هي) في إحالة موسعة إلى كل ما سبق ذكره للمحافظة على سرعة إيقاع الفاصلة وقصرها واختصارها، إذ ليس من شأنها "أن تتيح مجالا لذكر الأفكار الطويلة التي تحتاج إلى إطالة بناء الجملة أو الآية التي تصورها، بل تنتظم جميع الألفاظ فيها لتأدية تلك الفكرة الخاطفة الموجزة"(٢)، فليس المقصود بالعدة الكم من حيث هو، بل المقصود "أن النافع لكم أن تعلموا أن الخبر عن خزنة النار بأنهم تسعة عشر ليكون (ذكرى للبشر)، ليتذكروا دار العقاب بتوصيف بعض صفاتها، لأن في ذكر الصفة عونا على زيادة استحضار الموصوف، فغرض القرآن الذكرى، وقد اتخذه الضالون ومرضى القلوب لهوا وسخرية ومراء بالسؤال عن جعلهم تسعة عشر ولم يكونوا عشرين أو مئات أو آلافا"(٣)، وهذا دليل بين على جودة السبك، وحسن الربط الإحالي في آيات القرآن الكريم.

تحولات الضمائر والمخالفة في الإحالة (العدول):

تصور آيات (مشاهد القيامة) شخوصا تغدو وتروح، وحركات تتوالى، وأحداث تتداعى، يحكمها عنصر المفاجأة، ولغة الذهول والشتات والبهوت، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات، المنبثقة من الموقف، والمتساوقة مع الحوادث، يتربع الحوار فيها على قائمة المشهد، إضافة إلى أسلوب الحكاية والقصص التي تتسم به هذه الآيات لمشاهد القيامة لذا كان التحول بين الضمائر سمة تلك المشاهد، التي ينتقل فيها الحوار ويتحول بين الغائب والمخاطب والمتكلم، وبين المفرد والمثنى والجمع، بل حتى بين صيغ الماضي و المضارع والأمر، وكذا الأسماء والمصادر.

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/ ٣٢٠.

(٢) المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني "المتوفى: ١٤٢٩هـ": (خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)، مكتبة وهبة، ط:١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢ م، ص:٢٤٢/١.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/ ٣٢٠.

وهذا التحول أو ما اصطلح على تسميته بـ(الالتفات) ليس عاريا من اطراد المعنى مع اتساق الدلالة، وهو بلا ريب يساهم أيضا في تماسك النص و ترابطه، مشكِّلا جسورا تواصلية في فضاء النص، وبنيته الإحالية الرصينة.

والتحول أو الالتفات هو: "نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه،..... وذلك لأن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأول، فهو نقل معنوي لا لفظي، وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه ليخرج نحو: (أكرم زيدا وأحسن إليه) فضمير (أنت) الذي هو في أكرم غير الضمير في إليه"(١).

ولا يختلف المعنى اللغوي عن الاصطلاحي جاء في لسان العرب: " واللَّفْتُ: اللَّيُّ. ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتا: لَوَاهُ عَلَى غَيْرِ جِهَتِهِ، ولَفَتَه عَنِ الشَّيْءِ يَلْفِتُه لَفْتا: صَرفه. واللَّفْتُ: الصَّرْفُ؛ يُقَالُ: مَا لَفَتَك عَنْ فلانٍ؟ أَي: مَا صَرَفَك عَنْهُ"(٢).

إذًا فحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة لصيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك.(٣)

وأقسام الالتفات كثيرة ليس من وَكْد هذه الدراسة حصرها(٤)، وإنما تُشِير إلى ما يتعلق بالضمائر

(١) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي "المتوفى: ٧٩٤هـ" :(البرهان في علوم القرآن)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ودار المعرفة، بيروت- لبنان، ط:١٣٧٦، ١ هـ - ١٩٥٧م، ص:٣/٣١٤.

(٢) ابن منظور: (لسان العرب)، مادة (ل ف ت)، ص:٢/ ٨٤.

(٣) ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد "المتوفى: ٦٣٧هـ": (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، (د.ت)، ص:٢/ ١٣٥.

(٤) عدّ بعض البلاغيين كل تحول في الأسلوب ضمن نطاق الالتفات، وهذا ما دعته الدراسات الأسلوبية الحديثة (انحرافا)، والنتيجة الطبيعية التي ترتبت على ذلك هي النظر إلى الأسلوب الأدبي باعتباره انحرافا عن الأسلوب المعياري، من حيث أنه منبه متميز يحدث استجابة متميزة، ولقد شاعت عبارة "فاليري" التي قال فيها: إن الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما، وشاركه في ذلك الرأي كثير من النقاد...، وقسم بعضهم مجالات الالتفات في القرآن الكريم إلى ستة مجالات لا يخرج

فيها ودورها الإحالي وما يتصل به في فضاء النص[١]، وعليه فينقسم إلى ما يلي:

١- **التحول من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة:** وفيه "يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجّه، فيكون في المضمر ونحوه ذا لونين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب من قرعه في الوجه بسهام الهجر، فالغيبة أروح له وأبقى على ماء وجهه أن يفوت"[٢]، وقد ورد هذا الأسلوب في آيات مشاهد القيامة (ثلاث مرات) منها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (٨٥)﴾[سورة النمل:٨٣-٨٥]، ويمكن تحديد الإحالات في هذا المقطع على النحو التالي: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ(نحن) مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّ(مَّن) يُكَذِّبُ (هو) بِآيَاتِ(نَا) فَ(هُمْ) يُوزَعُ(و)نَ- حَتَّىٰ إِذَا جَاءُ(و)ا قَالَ(هو) أَكَذَّبْ(تُم) بِآيَاتِ(ي) وَلَمْ تُحِيطُ(و)ا بِ(هَا) عِلْمًا أَمّا(ذَا) كُنـ(تُمْ) تَعْمَلُ(و)نَ - وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْ(هِم) بِمَا ظَلَمُ(و)ا فَ(هُمْ) لَا يَنطِقُ(و)نَ﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذا المقطع بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، والأسماء الموصولة في إحالات قبلية وبعدية، بلغ ورودها (١٩) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٧) مرة بارزة ومستترة، (١٢) منها متصلة و(٥) منفصلة، و(١٣) منها بصيغة الجمع و(٤) منها مفردة، (٣) مرات بصيغة المتكلم، و(٤) مرات بصيغة المخاطب، و(٩) مرات بصيغة الغائب، كما وردت الأسماء الموصولة(مرتين)، كلها عامة، وقد جاءت الإحالات الضميرية في هذا النص قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، داخلية وخارجية، بدأت بصيغة ضمير المتكلم الجمعي المستتر (نحن) الذي يحيل "لله" تعالى في (إحالة خارجية)، ثم ضمائر "المكذبين" الغائبة في (إحالة داخلية)، تلى ذلك تحول ضمير المتكلم المحيل (لله) إلى ضمير الغائب، من ["نحشر (نحن)" إلى "قال (هو)"]، وتحول ضمائر الغائب

عنها وهي: (الصيغ، والعدد، والضمائر، والأدوات، والبناء النحوي، والمعجم)، وكل مجال من هذه المجالات يتضمن فروعا تندرج تحته، ينظر: حسن طبل: (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية)، ص:٤١، ٥٥، (بتصرف).

(١) اعتمد البحث في حصر مواضع الالتفات في آيات (مشاهد القيامة) على ما اتُفِقَ فيه بوقوع الالتفات وتحول الضمائر عند المفسرين والبلاغيين واللغويين، مستثنيا ما جاء فيه الخلاف، أو ما خُرّج وأُوّل، أو ما في تخريجه ضعف بسبب التأويل، لذا استُغْنِيَ عن ذكر بعض المواضع التي تفسر بوجوه كثيرة يعد الالتفات أبعدها معنى واحتمالا.

(٢) الزركشي: (البرهان في علوم القرآن)، ص٣/ ٣١٦-٣١٧.

المحيلة (للمكذبين) كذلك إلى ضمائر المخاطب، ثم ضمائر الغائب من ["فـ(هم) يوزعـ(و)ن" إلى "أكذبـ(تم)" ثم إلى "ووقع القول عليـ(هم)"]

ونكتة هذه المخالفة أو التحول عن ضمير المتكلم في (نحشر "نحن") إلى ضمير الغائب في (قال "هو") هي ملائمة طريق التكلم، وهو (قرين الحضور والمشاهدة) لحسية الاستدلال على عظمة البعث يوم الحشر، والمراد بهذا الحشر "الحشر للتوبيخ والعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق،.... يحبس فيه أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة، وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ما لا يخفى، بدلالة قوله تعالى:﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾"[1]، فناسب ذلك ضمير التكلم الجمعي(نحن)، وملائمة طريق الغيبة وهو (قرين التواري والخفاء) لعقلانية هذا الاستدلال؛ حيث إن القول ليس كالحشر الذي يجمع فيه سائر الخلائق من كل أمم الدنيا، وما يستلزم ذلك من بعث الأجساد بعد موتها وبث الحياة فيها، وهي العقيدة ذاتها التي ينكرها المكذبون ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ﴾ [سورة الإسراء:٤٩]، وقيل إنما كان الالتفات "لتربية المهابة ﴿حتى إذا جاؤوا﴾ إلى موقفِ السُّؤالِ والجَوَاب والمناقشةِ والحسابِ {قَالَ} أي: الله عزَّ وجلَّ موبِّخا لهم على التَّكذيبِ {أكذبتم بآياتي} النَّاطقةِ بلقاءِ يومِكم هذا؟!"[2] وهذا لا يتعارض مع ما بُيِّنَ ذلك لأن "قبول ظاهرة الالتفات لأكثر من توجيه، واحتمالها في الموطن الواحد لغير تفسير، هو ما يعني حفول بنيتها بخصوبة الإيحاء وثراء الدلالة"[3].

كما واكب هذا العدول عدول آخر في مخاطبة المكذبين من (غائب إلى مخاطب ثم غائب)، كان التحول فيه من الغياب إلى الخطاب لتقريعهم وتوبيخهم وبيان شناعة فعلهم، فقولُه تعالى: {وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْما} "جملةٌ حاليَّةٌ مفيدةٌ لزيادةِ شَنَاعة التَّكذيبِ وغايةِ قُبْحهِ، ومؤكدةٌ للإنكارِ والتَّوبيخِ أي: أكذَّبتُم بها بادئ الرَّأي غيرَ ناظرينَ فيها نظرا يُؤدِّي إلى العلمِ بكُنهِها، وأنَّها حقيقةٌ بالتَّصديقِ حَتما، أو هي معطوفة على جملة {كذَّبتم...} أي: أجمعتُم بين التكذيب وعدم التَّدبرِ بها!! {أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أمْ أيُّ شيءٍ كنتم تعملون بها، أو أمْ أيُّ شيءٍ كنتُم تعملون غيرَ ذلكَ بمعنى أنَّه لم يكُن لهم عملٌ غيرُ ذلكَ ، كأنَّهم لم يُخلقوا إلا للكفر والمِعَاصي مع أنَّهم ما خُلقوا إلا للإيمانِ

(١) الألوسي: (روح المعاني)،ص:١٠/ ٢٣٦.

(٢) أبو السعود:(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٦/ ٣٠٢.

(٣) حسن طبل: (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية)،ص:١٠٧.

والطَّاعةِ"[1]، ثم يتحول الخطاب إلى الغياب ليدل على تواريهم في العذاب، وانكبابهم فيه، وذلك قولُه تعالى:{وَوَقَعَ القول عَلَيْهِم} أي: "حلَّ بهم العذابُ الذي هو مدلولُ القولِ النَّاطقِ بحلولِه ونزولِه {بِمَا ظَلَمُواْ} بسببِ ظُلمِهم الذي هو تكذيبُهم بآياتِ الله {فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ} لانقطاعِهم عن الجوابِ بالكُلِّية وابتلائِهم بشغلٍ شاغلٍ من العذابِ الأليمِ"[2].

والتحوُّلَ من ضمير الخطاب قبلها إلى الغياب هنا، فضلا عما حققه الضمير بالخطاب من تبكيت وتقريع، وما حققه الضمير بالغيبة عن تجاهلهم ودخولهم في العذاب ونزوله بهم وغيابهم فيه؛ فإن ذلك أيضا يحرِّك ذهن القارئ ويوقظ انتباهه، ويدفع السآمة ويتآزر مع غيره من وسائل تقوية المعنى وترابطه النصي.

٢- **التحول من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم:** وقد ورد هذا الأسلوب في آيات مشاهد القيامة (ثماني مرات) منها قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) ﴾ [سورة الحاقة:١٠-١١]، وتحدد الإحالات في هاتين الآيتين على النحو التالي: ﴿ فَعَصَ(وْ)ا رَسُولَ رَبّـِ(هِمْ) فَأَخَذَ(هو)(هُمْ) أَخْذَةً رَّابِيَةً (هي)- إنـ(نا) لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْـ(نَا)(كُمْ) فِي الْجَارِيَةِ (هي)﴾، ويلاحظ تنوع الإحالات في هذا المقطع بين ضمائر الغائب والمتكلم والمخاطب، في إحالات قبلية لمرجع مذكور في النص، بلغ ورودها (٩) مرات، جاءت الضمائر فيها مستترة ومنفصلة ومفردة (٣) مرات، و(٦) مرات بارزة ومتصلة ومجموعة، (٦) مرات بصيغة الغائب، و(مرتين) بصيغة المتكلم، و(مرة) بصيغة المخاطب، وقد جاءت الإحالات الضميرية في هذا النص قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بدأت بصيغة ضمير الغائب الجمعي الذي يحيل إلى فرعون والمؤتفكات في الآية السابقة لهذه الآية ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩)﴾ [سورة الحاقة:٩]، ثم جاء ضمير الغائب المفرد المستتر (هو) الذي يحيل "لربهم" في (إحالة داخلية)، ثم يتحول ضمير الغائب المحيل (للرب) إلى ضمير المتكلم، من ["أخذ (هو)" إلى "إنـ (نا)" "حملـ(نا)"]، ونكتة هذه المخالفة أو التحول عن ضمير الغائب المفرد إلى ضمير المتكلم الجمعي هي: "الاشعار بالارتقاء في المنّة، وذلك لأن

(١) أبو السعود: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٦/ ٣٠٢.

(٢) المرجع السابق نفسه.

ضمير المتكلم أدخل في الامتنان من ضمير الغائب"[(١)]، فقوله تعالى: ﴿وَمَن قَبْلَهُ﴾ [سورة الحاقة: ٩] لما شمل قوم نوح وهم أول الأمم الذين كذبوا الرسل، حسن اقتضاب التذكير بأخذهم لما فيه من إدماج امتنان على جميع الناس الذين تناسلوا من الفئة التي نجاها الله من الغرق، ليتخلص من كونه عظة وعبرة إلى التذكير بأنه نعمة، وهذا من قبيل الإدماج الذي بُنِيَ على شهرة مهلك قوم نوح بـ(الغرق) من باب اعتباره كالمذكور في الكلام..[(٢)]، وفي "إسناد الحمل إلى اسم الجلالة مجاز عقلي؛ المرادُ به لا مجردُ رفعِهم إلى السفينةِ كما يُعربُ عنهُ كلمةُ (في) فإنَّها ليستْ بصلةٍ للحملِ بلْ متعلقةٌ بمحذوفٍ هو حالٌ من مفعولِهِ أي: رفعناكُم فوقَ الماءِ، وحفظناكُم حالَ كونِكُم في السفينةِ الجاريةِ بأمرِنَا وحفظِنَا، وفيه تنبيهٌ على أنَّ مدارَ نجاتِهِم محضُ عصمتِهِ تعالى إنَّما السفينةُ سببٌ صُوريٌّ" [(٣)]، فلائم ذلك استخدام ضمير التكلم الجمعي لحسية الاستدلال على عظمة المنة والنعمة، وقد عضد ذلك التأكيد بـ(إن) والتعبير بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والقدم، ومن هنا فقد وظّف القرآن ذلك في إبراز المعنى، كلٌّ في سياقه.

٣- **التحول من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب:** وقد ورد هذا الأسلوب في آيات مشاهد القيامة (ثماني مرات) منها قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ [سورة التوبة:٣٤-٣٥]، ويمكن تقدير الضمائر فيها على النحو التالي:﴿ وَ(الَّذِينَ) يَكْنِزُ(و)نَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُ(و)نَـ(هَا) فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْ(أنت)(هُم) بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(هو)- يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْـ(هَا) فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِـ(هَا) جِبَاهُـ(هُمْ) وَجُنُوبُـ(هُمْ) وَظُهُورُ(هُمْ) (هَٰذَا) (مَا) كَنَزْ(تُمْ) لِأَنفُسِـ(كُمْ)

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٩/ ٤٢.

(٢) ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري "المتوفى: ٤٦٥هـ" : (لطائف الإشارات = تفسير القشيري)،تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط:٣،(د.ت)،ص:٣/ ٦٢٥، والزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٦٠٠، وكذا أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/ ٢٥٦، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٢٣/٩، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/ ٤٩، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٢٢/٣٠-١٢٣.

(٣) أبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٢٣/٩، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٤٩/١٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٢٢/٣٠-١٢٣.

فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، ويلاحظ تنوع الإحالات في هذا المقطع بين ضمائر الغائب والمخاطب، والأسماء الموصولة واسم الإشارة في إحالات قبلية وبعدية، بلغ ورودها (٢٠) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٦) مرة بارزة ومستترة، (١٤) منها متصلة و(٢) منفصلة، و(١١) منها بصيغة الجمع و(٥) منها مفردة،(١٠) مرات بصيغة الغائب، و(٦) مرات بصيغة المخاطب، كما وردت الأسماء الموصولة (٣) مرات، (واحدة) خاصة، و(اثنتين) عامة، كما جاء اسم الإشارة مفردا(مرة) واحدة، وقد جاءت الإحالات الضميرية في هذا النص قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، داخلية وخارجية، بدأت بالاسم الموصول ثم صلته التي ضمت ضمير الغائب الجمعي الذي يحيل إلى الاسم الموصول الذي يحيل بدوره إلى الأحبار والرهبان الوارد ذكرهم في الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ.....﴾ [سورة التوبة:٣٤]، في (إحالة داخلية)، "للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم: أخذ البراطيل وكنز الأموال، والضنّ بها عن الإنفاق في سبيل الخير"[(١)]، وقيل بل يحيل إلى "المسلمين الكانزين غير المنفقين"[(٢)] في (إحالة خارجية)، وقيل بل تشمل الإحالة الفريقين فهو يحتمل الاستئناف والعموم "والظاهر فيه العموم فيقرن بين الكانزين من المسلمين، وبين المرتشين من الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى، تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت، ومن لا يعطى طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم"[(٣)]،ثم توالت ضمائر الغياب (واو الجماعة- ها- هم-هو-ها-ها-هم-هم-هم) في (إحالة داخلية) ضمن سلسلة متتالية تشير("واو" الجماعة -وضمير الغائب الجمعي المتصل "هم") إلى (الكانزين لأموالهم المانعين لإنفاقها في سبيل الله)، كما تحيل (ها) في جميع مواضعها إلى(الذهب والفضة) المذكورة في النص، وإنما جاء الضمير العائد عليهما مؤنثا "ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ؛ لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم"[(٤)]، يقول

(١) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٢٦٦، وكذا أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٥/ ٤١١، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٤/ ٦٢، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/ ١٧٦.

(٢) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٢٦٦، وكذا أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٥/ ٤١١، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٤/ ٦٢، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/ ١٧٦..

(٣) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٢٦٦، وكذا أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٥/ ٤١١.

(٤) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/٢٦٨-٢٦٩ "بتصرف".

أبوحيان: " والضمير في: (ولا ينفقونها)، عائد على الذهب، لأن تأنيثه أشهر، أو على الفضة، وحُذِف المعطوف في هذين القولين، أو هو عائد عليهما باعتبار أن تحتهما أنواعا، فَرُوعي المعنى، أو لأنهما محتويان على جمع دنانير ودراهم، أو على المكنوزات، لدلالة (يكنزون)، أو على الأموال، أو على النفقة وهي المصدر الدال عليه (ولا ينفقونها)، أو على الزكاة أي: ولا ينفقون زكاة الأموال. وقال كثير من المفسرين: عاد على أحدهما كقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ..... (١١)﴾ [سورة الجمعة:١١] وليس مثله، لأن هذا عطف بـ(أو)، فحكمهما أن الضمير يعود على أحد المتعاطفين بخلاف الواو، إلا إن ادعى أن الواو في والفضة بمعنى أو ليمكن، وهو خلاف الظاهر"[(١)].

والذي يظهر أن الضمير (ها) عائد إلى أموال الناس والذهب والفضة، بدلالة عود الضمير في قوله: "(فبشرهم) إلى الأحبار والرهبان والذين يكنزون"[(٢)]، ولا تعارض لأنهما أي: الذهب والفضة "قانون التمول وأثمان الأشياء، ولا يكنزهما إلا من فَضُلا عن حاجته، ومن كَثُرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال، فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما" [(٣)].

ويلاحظ في هذا المقطع سيطرة ضمائر الغياب التي تشتدُّ الإحالاتُ بها في هذا المشهدِ لتشكِّلَ شبكة إحالية رصينة، في متواليات تقريرية تهكمية موجهة للكانزين لأموالهم الضّانين بها عن الإنفاق في سبيل الله، ولذا جاء استعمال لفظ التبشير بمعنى الوعيد إذ "الأَصْلَ فِي الْبِشَارَةِ الْخَبَرُ الْمُؤَثِّرُ يَظْهَرُ تَأْثِيرُهُ فِي بَشْرَةِ الْوَجْهِ بِالسُّرُورِ، أَوِ الْكَآبَةِ وَلَكِنْه غَلَبَ فِي الْأَوَّل"[(٤)] ، ليعقب التبشير تحمية الكنوز وكي الأجساد، ليلتفت بعدها من الغياب إلى الخطاب، وإنما كان هذا العدول لـ"لارتقاء في المواجهة بالتهديد حتى لا يبقى مجال للالتباس المراد من ضمير الغيبة، فإن ضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة"[(٥)]، فبعد أن بشرهم بالعذاب تهكما بهم، شرع في وصف هذا العذاب فقال: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ فجاء بالفعل(يُحْمَى) مبني للمفعول لـ"عدم تعلق الغرض بالفاعل، فكأنه قيل: (يوم يحمي

(١) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٥/٤١٢.

(٢) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/ ١٧٧.

(٣) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/٢٦٨-٢٦٩"بتصرف" وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٥/٤١٢.

(٤) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني "المتوفى: ١٣٥٤هـ": (تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار")، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ص:١٠/ ٣٥٤.

(٥) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٦/ ١٤٩.

الحامون عليها)"[1]، وذكر الفعل المبني للمفعول لـ"إسناده للمجرور، ولعدم تعلق الغرض بذكر المفعول المحمي لظهوره إذ هو: النار التي تحمى، ولذلك لم يقرن بعلامة التأنيث، وعُدِّي بعلى الدالة على الاستعلاء المجازي لإفادة أن الحمي تمكن من الأموال بحيث تكتسب حرارة المحمي كلها، ثم أكد معنى التمكن بمعنى الظرفية التي في قوله: ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فصارت الأموال محمية عليها النار وموضوعة في النار، وبإضافة النار إلى جهنم علم أن المحمي هو نار جهنم التي هي أشد نار في الحرارة فجاء تركيبا بديعا من البلاغة والمبالغة في إيجاز"[2].

ثم لم يقل: (فتكوى بها أجسادهم) وإنما سلك في التعبير عن التعميم مسلك الإطناب بالتعداد فقال: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾؛ لاستحضار حالة ذلك العقاب الأليم، تهويلا لشأنه، خصت هذه الأعضاء[3] فيكون العذاب على الجهات الأربع: مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم، لتعميم جهات الأجساد بالكي فإن تلك الجهات متفاوتة ومختلفة في الإحساس بألم الكي، فيحصل مع تعميم الكي إذاقة لأصناف من الآلام[4].

ثم تحوُّلَ من ضمير الغيْبةِ إلى المخاطب فقال: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ للتوبيخ والتقريع، عضد ذلك زيادة قوله: ﴿لأنفسكم﴾ للتنديم والتغليظ؛ فـ"لام التعليل مؤذنة بقصد الانتفاع لأن الفعل الذي علل بها هو من فعل المخاطب، وهو لا يفعل شيئا لأجل نفسه إلا لأنه يريد به راحتها ونفعها، فلما آل بهم الكنز إلى العذاب الأليم كانوا قد خابوا وخسروا

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/١٧٨.

(٢) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ /٢٦٨-٢٦٩، وكذا أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٥/ ٤١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٤/ ٦٢، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/ ١٧٨-١٧٩.

(٣) قيل إنما خصت هذه الأعضاء بالذكر "لأنهم لم يطلبوا بأموالهم- حيث لم ينفقوها في سبيل الله- إلا الأغراضَ الدنيوية، من وجاهة عند الناس، وتقدّم، وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم، يتلقون بالجميل، ويحيون بالإكرام، ويبجلون ويحتشمون، ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم، ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم، وقيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس زَوَّرُوا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم" ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص: ٢/ ٢٦٨.

(٤) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ /٢٦٨-٢٦٩، وكذا أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٥/ ٤١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٤/ ٦٢، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/ ١٧٨-١٧٩.

فيما انتفعوا به من الذهب والفضة، بما كان أضعافا مضاعفة من ألم العذاب"[(١)]، والذوق مجاز في الحس بعلاقة الإطلاق، و﴿ ما كنتم تكنزون ﴾ مفعول لفعل الذوق على تقدير مضاف يعلم من المقام: أي: (ذوقوا عذاب ما كنتم تكنزون)، أو(وبال المال الذي كنتم تكنزونه)، أو (وبال كونكم كانزين)، وقد عبر بالموصولية في قوله: ﴿ ما كنتم تكنزون ﴾؛ للتنبيه على غلطهم فيما كنزوا لقصد التنديم[(٢)].

ولاشك أن هذا التحول يتآزر مع غيره من وسائل لتقوية المعنى وترابطه النصي، ولعل في التعبير بالجملة المنسوخة الماضوية لفتة موحية تمنح شعورا بأن الدنيا قد انتهت، وأنهم الآن في الآخرة، حتى لكأن العذاب هو الحاضر، والدنيا هي الماضي الذي يُذْكَرُ للترذيلِ والتقبيحِ، ترذيلِ حالهم في الدنيا، وتقبيح ما كانوا عليه من بخل وأكل للأموال وكنزها، وإعراض عن إنفاقها في سبيل الله بغية الانتفاع بها، هي ذاتها كانت وبال عليهم فيا للحسرة والندامة! .

٤- **التحول من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة:** وقد ورد هذا الأسلوب في آيات مشاهد القيامة (ست مرات) منها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)﴾ [سورة الجاثية:٣٥]، ويمكن تقدير الضمائر فيها على النحو التالي:﴿ (ذَٰلِكُم) بِأَنَّـ(كُمُ) اتَّخَذْ(تُمْ) آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْـ(كُمُ) الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُـ(و)نَ مِنْـ(هَا) وَلَا (هُمْ) يُسْتَعْتَبُـ(و)نَ﴾.

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذه الآية بين ضمائر المخاطب والغائب، واسم الإشارة في إحالات قبلية تعود إلى مذكور سابق في النص، بلغ ورودها (٨) مرات، جاءت الضمائر فيها (٧) مرات كلها بارزة، (٦)، منها متصلة و(واحدة) منفصلة، كلها بصيغة الجمع،(٣) مرات بصيغة المخاطب، و(٤) مرات بصيغة الغائب، كما جاء اسم الإشارة بصيغة المفرد "ذا" البعيد المقرون بميم الجمع (مرة) واحدة في صدر الآية الكريمة، وقد جاءت الإحالات الضميرية في هذا النص قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بدأت باسم الإشارة المفرد المذكر المشار به للبعيد والمقترن بميم الجمع (ذلكم) في إشارة إلى العذاب المفهوم من قوله – تعالى– في الآية السابقة عليه:﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤)﴾ [سورة الجاثية:٣٤]، أو الإشارة إلى "(مأواكم) والباء

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/١٧٩-١٨٠.

(٢) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/٢٦٨-٢٦٩، وكذا ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٠/١٧٩-١٨٠.

للسببية أي: ذلكم المأوى بسبب اتخاذكم آيات الله وهي: (آيات القرآن) هزؤا أي: مستهزأ بها، وهزوا مصدر مراد به اسم المفعول مثل: خلق"[١].

ثم تلى اسم الإشارة ضمير الخطاب الجمعي(كم- تم- كم) في إحالة قبلية بعيدة للكفار الوارد ذكرهم في النص في الآيات السابقة ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) ﴾ [سورة الجاثية:٣١]، ثم تتحول ضمائر الخطاب المحيلة (للذين كفروا) إلى ضمائر الغياب، من ["بأنـ(كم)" و "اتخذ(تم)" و"غرتـ(كم)"] إلى ["لا يُخْرَجُـ(و)نَ" و "لَا (هُمْ)" و "يُسْتَعْتَبُـ(و)نَ"] ونكتة هذه المخالفة أو التحول عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب هي: " للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم، أو بنقلهم من مقام الخطابة إلى غيابه النار"[٢]، وقد كان مقتضى الظاهر أن يقال: " (لا تخرجون) بأسلوب الخطاب مثل سابقه ولكن عدل عن طريقة الخطاب إلى الغيبة على وجه الالتفات، ويحسنه هنا أنه تخييل للإعراض عنهم بعد توبيخهم وتأييسهم وصرف بقية الإخبار عنهم إلى مخاطب آخر ينبأ ببقية أمرهم تحقيرا لهم"[٣]، كما يفيد تلبسهم بالفعل وغيابهم في النار، والإعراض حتى عن عتابهم أو النظر إليهم.

كما جاء (يستعتبون)[٤] بالسين والتاء للمبالغة؛ إذ الأصل (يعتبون) مثل: (أجاب واستجاب)، ومعناه: "إعطاء العتبى وهي الرضا، فلا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم سبحانه، فيزيلوا عتبه جلّ وعلا، وهو كناية عن إرضائه تعالى أي: لا يطلب منهم إرضاؤه عز وجل لفوات أوانه"[٥]، وقد جاء الفعل مضارعا مبنيا للمفعول والمبني منه للفاعل (استَعتَب): "إذا سأل العتبى- بضم العين

(١) أبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٨/ ٧٥، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٣/١٦٠، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٥/ ٣٧٦.

(٢) الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٣/١٦٠.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٥/٣٧٥-٣٧٦-٣٧٧.

(٤) والاستعتاب: أصله طلب العتبى، والعتبى: الرضى بعد الغضب، يقال: استعتب فلان فلانا فأعتبه، إذا أرضاه، وإذا بني للمجهول فالأصل أن يكون نائب فاعله هو المطلوب منه الرضى، تقول: اسْتَعْتَبَ فُلَانٌ فَلَمْ يَعْتِبْ. وأما ما وقع في القرآن منه مبنيا للمجهول فقد وقع نائب فاعله ضمير المستعتبين، وقد فُسِر الاستعتاب فيه: بأن يطلب من الإنسان طلب العتبى. وعليه فيقال: اسْتَعْتَبَ فَلَمْ يُسْتَعْتَبْ، وَيُقَالُ: عَلَى الْأَصْلِ اسْتَعْتَبَ فُلَانٌ فَلَمْ يُعْتَبْ، وَهَذَا اسْتِعْمَالٌ نَشَأَ عَنِ الْحَذْفِ وَأَصْلُهُ: اسْتَعْتَبَ لَهُ، أَيْ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ، ثم كَثُرَ فِي الِاسْتِعْمَالِ حَتَّى قَلَّ اسْتِعْمَالُ اسْتَعْتَبَ مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى. ينظر: ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٤/٢٤٤-٢٤٥.

(٥) الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٣/١٦٠.

وبالقصر- وهي اسم للإعتاب، أي: إزالة العتب، فهمزة الإعتاب للإزالة، قال-تعالى-: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)﴾ [سورة فصلت: ٢٤] ، فصار استُعتِب المبني للمجهول جاريا على استَعتَب المبني للمعلوم، فلما قيل: استَعتَب بمعنى طلب العتبى صار استُعتِب المبني للمجهول بمعنى أعتب"(١)، أي: لا يستعتبهم أحد، ولا يرضون بما يسألون.

وفي تقديم (هم) على (يستعتبون) وهو مسند فعلي بعد حرف النفي هنا "تعريض بأن الله يعتب غيرهم، أي: يرضي المؤمنين، فيغفر لهم"(٢). وقد أوثر التعبير في المعطوف(ولاهم يستعتبون) بالاسمية لبيان ثبوت صفة اليأس في الرضى عنهم عند سائر أهل الموقف بحيث يعلمون أن لا طائل في استعتابهم، فلذلك لا يشير أحد عليهم بأن يستعتبوا، بينما تتجدد محاولتهم في الخروج من النار، فيسألون من يخرجهم، فلا يخرجهم أحد، كما في قوله - تعالى-: ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها...﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٧] وقوله:﴿فهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [سورة غَافِر: ١١]، فهم يفزعون إلى الخروج فلا يستطيعون لقوله تعالى: ﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها﴾ [سورة الْحَج: ٢٢]، ومع تجدد محاولتهم بالخروج من النار واستمرارها، تستمر إعادتهم فيها، وإخراسهم فهي مطبقة عليهم أبدا، لا سبيل للخروج منها، يتجدد عذابها حينا بعد حين، ومن هنا فإن السياق جمع بين ثبات عدم إعتابهم واليأس من الرضى عنهم، وبين تجدد رغبتهم في الخروج، وما يتبع ذلك من تجدد العذاب عليهم، مقتصرا في ذلك على المزاوجة بين الجملة الاسمية والفعلية، ودلالة كل منها في سياقها المنطوية تحته، فناسب كل حالة بتعبيرها المناسب، فسبحان من هذا كلامه.

٥- **التحول من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب:** ووجهه "حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة"(٣)، ولم يرد هذا الأسلوب في آيات مشاهد القيامة، ولعل ذلك يرجع إلى أن الالتفات في هذه الصورة مما يندر تحققه في بنية لغة الكلام، ولا يتصور أن يكون الشخص الواحد متكلما أو مخاطبا، أو مرسلا ومستقبلا في آن واحد في ذات الموقف أو السياق الواحد إلا على نحو من أنحاء التجوز، وذلك للتوازي

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٣٣/٢١.

(٢) المرجع السابق، ص:٣٧٥/٢٥-٣٧٦-٣٧٧.

(٣) الزركشي: (البرهان في علوم القرآن)، ص٣/ ٣١٥.

والتباين التام بين موقفي التكلم والخطاب[١]، وحيث إنه معلوم أن صيغة الالتفات لا تتحقق إلا إذا كان المراد بالملتفت إليه هو عين المراد بالملتفت عنه، فقد مُثِلَت لهذا النوع من الالتفات أو التحول صورا مختلفة من آيات القرآن الكريم[٢] يتَضح من خلال التأمل فيها عدم تحقق صورة الالتفات لأن المخاطب فيها غير المتكلم، والمتكلم غير المخاطب لذا ردها كثير من اللغويين والمفسرين والبلاغيين؛ لانتفاء تحقق شرط الالتفات فيها.

(١) حسن طبل: (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية)، ص:١١٦.

(٢) قيل بأن هذا الأسلوب لم يرد في القرآن كله لعدم تحقق عود الضمير على ذات المتكلم وتحوله إلى مخاطب أو العكس، وعدم سبق النصوص في غالبها على سياق جارٍ على طريق التكلم يتسنى معه القول بأن ثمة التفاتا عنه، ولعل أشهر مثال لهذه الظاهرة هو قوله تعالى:﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢٢)﴾ [سورة يس: ٢٢]، إذ "الأصل: (وإليه أرجع) حيث التفت من التكلم إلى الخطاب، وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما أنه يريده لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله، فلما أنكر قومه عليه عبادته لله أخرج الكلام معهم بحسب حالهم فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه ثم حذرهم بقوله: {وإليه ترجعون}، لذا جعلوه من الالتفات وفيه نظر لأنه إنما يكون منه إذا كان القصد الإخبار عن نفسه في كلتا الجملتين، وهاهنا ليس كذلك لجواز أن يكون أراد بقوله: {وإليه ترجعون} الخاطبين ولم يرد نفسه ويؤيده ضمير الجمع ولو أراد نفسه لقال: [نرجع]" ينظر: الزركشي: (البرهان في علوم القرآن)، ص٣/ ٣١٥، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي "المتوفى: ٩١١هـ": (الإتقان في علوم القرآن)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، ص:٢٨٩/٣، وحسن طبل: (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية)، ص:١١٦، ١١٩.

"التحول من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة"

السورة	الموضع	الآية	نـــوع التحـــول (الالتفات)
النمل	﴿وَيَـوْمَ **نَحْشُـرُ** مِـن كُـلِّ أُمَّـةٍ فَوْجًـا مِّمَّـن يُكَـذِّبُ بِآيَاتِنَـا فَهُـمْ يُوزَعُـونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا **قَـالَ أَكَـذَّبْتُم** بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)﴾	(٨٣-٨٤)	تكلم – غيبة
القصص	﴿**وَنَزَعْنَا** مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ **الْحَقَّ لِلَّهِ** وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)﴾	(٧٥)	تكلم – غيبة
الجاثية	﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ **إِنَّا كُنَّا** نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ **فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ** فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)﴾	(٢٩-٣٠)	تكلم – غيبة

"التحول من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم"

السورة	الموضع	الآية	نوع التحول (الالتفات)
الأعراف	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ **مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ** كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا** يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧)﴾ (١)	(٣٧)	غيبة-تكلم
الكهف	﴿وَيَوْمَ **يَقُولُ** نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ **وَجَعَلْنَا** بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢)﴾	(٥٢)	غيبة-تكلم
مريم	﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ **رَبِّكَ** حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ **نُنَجِّي** الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾	(٧١-٧٢)	غيبة-تكلم
فصلت	﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ **أَعْدَاءِ اللَّهِ** النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا **بِآيَاتِنَا** يَجْحَدُونَ (٢٨)﴾	(٢٨)	غيبة-تكلم
الزخرف	﴿ وَمَن يَعْشُ عَن **ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ** شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)﴾	(٣٦)	غيبة-تكلم

(١) الاسم الظاهر من باب الغيبة لأنه يدل عليها، والغيبة تارة تكون بالظاهر، وتارة بالمضمر، وشرطه أن يكون المدلول واحدا. ينظر: أبو حيان: (البحر المحيط)، ص: ٤٢/١، وحسن طبل: (أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية)، ص:١٠٤.

الحاقة	﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ **فَأَخَذَهُمْ** أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ** فِي الْجَارِيَةِ (١١)﴾	(١٠-١١)	غيبة-تكلم
النبأ	﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَن شَاءَ **اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ** مَآبًا (٣٩) **إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ** عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠) ﴾	(٣٩-٤٠)	غيبة-تكلم
الفجر	﴿ارْجِعِي إِلَىٰ **رَبِّكِ** رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** (٢٩)﴾	(٢٨-٢٩)	غيبة-تكلم

"التحول من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب"

السورة	الموضع	الآية	نوع التحول (الالتفات)
التوبة	﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ **فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ** وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا **مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا** مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾	(٣٥)	غيبة–خطاب
مريم	﴿ فَوَرَبِّكَ **لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ** ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)..... (٦٩) .....(٧٠) وَإِن **مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١)﴾	(٦٨–٧١)	غيبة–خطاب
الفرقان	﴿ وَيَوْمَ **يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ** مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) ..... (١٨) فَقَدْ **كَذَّبُوكُم** بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩) ﴾	(١٧–١٩)	غيبة–خطاب
النمل	﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ **فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ** فِي النَّارِ **هَلْ تُجْزَوْنَ** إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)﴾	(٩٠)	غيبة–خطاب
يس	﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً **فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ** لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا **وَلَا تُجْزَوْنَ** إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) ﴾	(٥٣–٥٤)	غيبة–خطاب
الزخرف	﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم** بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ **وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٧١) ﴾	(٧١)	غيبة–خطاب

الطور	﴿ **فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ** رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) **كُلُوا وَاشْرَبُوا** هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) ﴾	(١٨-١٩)	غيبة-خطاب
الإنسان	﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ** شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا **كَانَ لَكُمْ** جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾	(٢١-٢٢)	غيبة-خطاب

"التحول من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة"

السورة	الموضع	الآية	نوع التحول (الالتفات)
النمل	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ **أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي** وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) **وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم** بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (٨٥)﴾	(٨٤-٨٥)	خطاب-غيبة
الزخرف	﴿ **يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ** الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) **الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا** مُسْلِمِينَ (٦٩)﴾	(٦٨-٦٩)	خطاب-غيبة
الجاثية	﴿ **ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ** آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ **لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ** (٣٥)﴾	(٣٥)	خطاب-غيبة
ق	﴿ **ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ** ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) **لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا** وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾	(٣٤-٣٥)	خطاب-غيبة
الطور	﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ** تَعْمَلُونَ (١٩) **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ** ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾	(١٩-٢٠)	خطاب-غيبة
الواقعة	﴿ **فَشَارِبُونَ** شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) **هَٰذَا نُزُلُهُمْ** يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) ﴾	(٥٥-٥٦)	خطاب-غيبة

نماذج تحليلية
(سورة "ق" من ١٩-٣٥)

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾

هذا المقطع من سورة "ق" ، وفيه يتصدر الموت المشهد بحقيقة وقوعه، وقيل بـ"الحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان، وقيل بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة"[(١)]، وهو مطلع يحمل شحنة مكتنزة من التهويل، بما فيه من دلالة على الوقوع الفعلي، وقوعًا غير مردود، وانتهاء الأمر بلا شك، فطريقة القرآن في استحضار اليوم الآخر تأتي غالبا بلفظ الماضي؛ لـ"لتنبيه على اقترابه، كأنه اليوم الحاضر فيكون فيه التعبير بالماضي قد وضع موضع المستقبل مجازا لتحقق وقوعه" [(٢)]، حتى تأتي صوره دلالية قوية مثبطة من عزيمة المشركين في انكارهم لقضية البعث والجزاء.

وقد تضمن المقطع الإحالة بالإشارة في (ذلك) أي: الموت الذي سيعقبه الجزاء، في قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴿١٩﴾،ثم الإحالة بضمير المخاطب، ثم الغائب ثم المخاطب المحذوف، فقد جاء الأمر الذي كنت منه تهرب، ثم تنتقل الصورة إلى مشهد آخر من مشاهد البعث والجزاء، هو النفخ في الصور؛ لتستمر الإحالة باسم الإشارة﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴿٢٠﴾ ثم تنتقل الإحالة إلى

(١) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن "المتوفى: ٧٤١هـ": (لباب التأويل في معاني التنزيل)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ص:٤/ ١٨٨.

(٢) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١/٢١٢.

ضمائر الغياب في وصف دقيق للمشهد الأخروي، وتقسيم الخلق فيه وبيان الجزاء لكل قسم، فتأتي الإحالة بضمائر الخطاب ثم الغياب ثم التكلم، ثم الأسماء الموصولة، موظفة لربط الحركة الحية في هذه المشاهد المصورة شديدة الانفعال، في شبكة من الروابط الاتساقية الشديدة التماسك.

وقد قسم المقطع على أربعة مشاهد:

١- الموت وهو الحقيقة الثابتة، فلا ينفع معه المهرب ولا ينجي فيه الفرار.

٢- النفخ في الصور، وقيام القيامة، وصور الحساب والجزاء.

٣- تقريع الكافر ولومه، وبيان مصيره وحسابه، وتخلي قرينه عنه، واستحضار عمله أمام عينه إمعانا في إذلاله.

٤- جزاء المؤمن الحافظ الصابر، وترحيب الجنة به، واقترابها منه، ثم تشريف الله وتكريمه له.

ومن هنا فإن الإحالات الواردة في هذا المقطع يمكن حصرها كالتالي :

١- (ذَٰلِكَ) (مَا) كُنتَ(تَ) مِنْهُ(هُ) تَحِيدُ(أنت). ﴿١٩﴾

٢- (ذَٰلِكَ) (يوم) الوعيد(هو). ﴿٢٠﴾

٣- مَّعَ(هَا)سائق(هو)وشهيد(هو). ﴿٢١﴾

٤- لَّقَدْ كُنتَ(تَ) فِي غَفْلَةٍ مِّنْ (هَٰذَا) فَكَشَفْنَا(نَا) عَنكَ(كَ) غِطَاءَكَ(كَ) فَبَصَرُكَ(كَ) (اليوم)حديد(هو). ﴿٢٢﴾

٥- وقال قرينه(هـ) (هَٰذَا) (مَا) لَدَيَّ(يَّ)عتيد(هو). ﴿٢٣﴾

٦- أَلْقِيَا(ا)في جهنم كل كفار(هو)عنيد(هو). ﴿٢٤﴾

٧- مناع(هو)للخير معتد(هو)مريب(هو). ﴿٢٥﴾

٨- (الَّذِي) جَعَلَ(هو) مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَا(ا)(هُ) فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ(هو).﴿٢٦﴾

٩- قال قرينه(هـ) رَبَّنَا(نَا) مَا أَطْغَيْتُهُ(تُ)(هُ) وَلَٰكِن كَانَ(هو) في ضلال بعيد(هو). ﴿٢٧﴾

١٠- قَالَ(هو) لَا تَخْتَصِمُوا(وا) لَدَيَّ(يَّ) وَقَدْ قَدَّمْتُ(تُ) إِلَيْكُم(كُم) بالوعيد(هو). ﴿٢٨﴾

١١- لَدَيَّ(يَّ) وَمَا (أَنَا) بظلام(أنا). ﴿٢٩﴾

١٢- (يَوْمَ) نَقُولُ(نحن) لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ(تِ) وَتَقُولُ(هي) هَلْ مِن مَّزِيدٍ. ﴿٣٠﴾

١٣- وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ(هم) غَيْرَ بَعِيدٍ(هو) ﴿٣١﴾

١٤- (هَٰذَا) (مَا) تُوعَدُونَ(هـ) لِكُلِّ أَوَّابٍ (هو)حَفِيظٍ(هو).﴿٣٢﴾

١٥- (مَّنْ) خَشِيَ(هو) الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ(هو)بقلب منيب(هو). ﴿٣٣﴾

١٦- ادْخُلُ(و)(هَا) بِسَلَامٍ (ذَٰلِكَ) (يَوْمُ) الْخُلُودِ. ﴿٣٤﴾

١٧- (لَهُم) (مَّا) يَشَاءُ(و)نَ(ه) فِيه(هَا) وَلَدَيْنَا) مَزِيد. ﴿٣٥﴾

– دلالات التحليل الإحالي ونتائجه:

العناصر المحال إليها : (سكرة الموت، الإنسان، يوم القيامة، النفس، الله، القرين، ملائكة العذاب، الكافر "الكفّار"، جهنم، المتقين، الجنة) .

١- وردت العناصرُ الإحاليَّةُ بكثرة في المقطع السابق، بلغ ورودها (٧٧) مرة، تنوعت بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، وحتى الأسماء الظاهرة فيما يسمى (الإظهار في موضع الإضمار).

٢- كانت للضمائر القسم الأكبر من حيث ورود العناصر الإحالية، حيث ترددت في المقطع (٦٠) مرة، على اعتبار الضمير في (أَلْقِيَا) "خطاب من الله تعالى للملكين: السائق والشهيد : ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين : أحدهما قول المبرد : أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما ،كأنه قيل : ألق ألق : للتأكيد . والثاني : أنّ العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان ، فكثر على ألسنتهم أن يقولوا : خليليّ وصاحبيّ ، وقفا وأسعدا ، حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين. وقرأ الحسن (ألقين) بالنون الخفيفة . ويجوز أن تكون الألف في (أَلْقِيَا) (بدلا من النون : إجراء للوصل مجرى الوقف)"[(١)]،بينما وردت الإحالة بالإشارة (٧) مرات، إحداها مقدر، فيما وردت الإحالة بالاسم الموصول (٦) مرات، وبالاسم الظاهر "يوم" (٤) مرات، وهنا يلاحظ أنَّ ثمة تركيزا على الضمائر أكثر من أي عناصر إحاليَّة أخرى؛ لما فيها من الاختصار والاقتصاد، والثبات المعنوي، والدقة الدلاليَّة في النص؛ حيث تشير إلى العنصر المحال دون الحاجة لتكراره، فتمنع بذلك اللبس والغموض، و تنقل النص من الرتابة الأسلوبية إلى الإحكام النصي والاتساق والتماسك اللفظي والمعنوي جميعا.

٣- أما عن طبقية الضمائر؛ فإن ضمائر الغياب وردت (٣٦) مرة، و(١٣) مرة للخطاب، و(١١) مرة للمتكلم، وقد تردّد ضمير الغياب أكثرَ من غيره من الضمائر؛ لأنه يتضمن

(١) الزمخشري: (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)،ص:٤/ ٣٩٠.

وظيفتين، هما: الدلالة على الغياب عن دائرة الخطاب، والاستجابة إلى الإسناد[١]،فالآيات تصف حال المنكر لقضية البعث والجزاء، غير المقر بها، لذا كان اللوم موجها له على سبيل التقريع للكافر المنكر الجاحد، وإشادة بالمؤمن الصادق الصابر في مقارنة مصيرية يخسر فيها الكافر حتى يختصم ويجادل فيها بالباطل، ويربح فيها المتقي الصادق فلا يسع نعيم وجزاء الله له وصف، وهنا تحدث جديلة ترابطية دون معاظلة أو صعوبة في الفهم .

٤- وردت أغلب الضمائر ظاهرة بارزة عدا (٢٩) ضميرا منها جاءت مستترة، معظمها كامنة في مشتقات (أسماء الفاعلين والمفعولين وصيغ المبالغة)، كما جاءت معظم الضمائر متصلة عدا (٢٨) ضميرا منفصلا فقط، وهذا أقوى في التعبير وأبلغ في الاختصار والاقتصاد؛ إذ إن الموقف موقف حساب وجزاء واختصام وعدل مطلق.

٥- أما من ناحية الموقع الإعرابي فإن الرفع كان سمة أغلب العناصر الإحالية؛ فقد جاءت في محل رفع أكثر من (٥٣) مرة، وفي محل جر(١٦) مرة، وفي محل نصب (٧) مرات فقط.

٦- سيطرة الرفع على المقطعِ تشِي بمدَى التغيير والفاعلية عند وقوع اليوم الموعود؛ أي: يوم القيامة، والبعث والجزاء، وقد سار البيانُ القرآنيُّ على تحقيقِ موسيقى اللفظ في جملته؛ فاختار لكل حال مقصود ألفاظَه المعنيّة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظٍ متناسبًا مع صورته الذهنية من وجه، و مع دلالته السمعية من وجه آخر، ومن ثمَّ فقد اختار (وعيد، شهيد، عتيد، عنيد، مريب، شديد، مزيد، بعيد، حفيظ، منيب) متخذا صورة صيغ المبالغة (فعيل)، ليتناسب مع صفة كل قوم وأعمالهم التي بالغوا فيها في حياتهم الماضية –الدنيا– التي خرجوا منها، فاستحق الكافر العذاب لمبالغته في العناد، واستحق المتقي الجنان لكثرة خشيته ورجوعه وإنابته لربه مع علمه بواسع رحمته ومغفرته.

٧- كانت أغلب العناصر الإحالية تعود إلى عنصر إشاري (محال إليه) واحد، هو (يوم العبث)، فبان أنه هو المرتكز الرئيس، سواء كانت الإحالات تعود إليه مباشرة بعد عدد قليل من الجمل مثل (ذلك) في: " ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد"، أو بعيدة تعود إليه بعد عدد

(١) ينظر: جيزيل فالانسي: (النقد النصي)، ترجمة: رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشنوفي، مقال بمجلة عالم المعرفة، عنوان العدد: (مدخل إلى مناهج النقد الأدبي)، تأليف مجموعة من الكتاب، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٢١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٧م، ص:٢٤٧-٢٤٨.

كبير من المتواليات الجملية مثل:" ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد .... ادخلوها بسلام (ذلك) يوم الخلود.

٨- لقد بان أن الإحالات ومنها الضمائر في تصرفها الموقعي لعبت دورا بارزا في إظهار الدلالة؛ ولا ريب فوجود العنصر الإحالي مرهون بالوجود الدلالي، ووجوده -أيضا- مرهون بوجود العنصر الإشاري.

٩- إن التحوُّلَ من ضمير المخاطب إلى الغائب في قوله - تعالى-: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾ فضلا عما حققه الضمير بالمخاطب من كمال إكرامهم وتشريفهم؛ إذ إن "جملة (ادخلوها بسلام) من تمام مقول القول المحذوف، وهذا الإذن من كمال إكرام الضيف أنه إن دعي إلى الوليمة أو جيء به؛ فإنه إذا بلغ المنزل قيل له: ادخل بسلام"[(١)]، يحقق الضمير بالغياب في (لهم ما يشاءون فيها) تلبسهم بالفعل وغيابهم في نعيم الجنان، كأنهم قد دخلوها وذاقوا صنوف إكرامها، فالجملة من "بقية ما يقال للمتقين ابتداء من قوله: (هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ) فيكون ضمير الغيبة التفاتا وأصله: (لكم ما تشاؤون)، ويجوز أن تكون مما خوطب به الفريقان في الدنيا، وعلى الاحتمالين فهي مستأنفة استئنافا بيانيا"[(٢)]، والعدول عن طريقة الخطاب إلى الغيبة فيها على وجه الالتفات، ويحسنه هنا أنه تخييل لدخولهم الجنة بعد ذكر إكرامهم بقوله: (وأزلفت الجنة للمتقين)، ثم بذكر أن الجنة جزاؤهم الذي وعدوا به فهي حق لهم، لتومئ الآيات بعد ذلك بأنّ هذا الجزاء لأجل أعمالهم لقوله - تعالى-: (لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن.....) ثم تذكر المبالغة في إكرامهم بعد ذلك كله بقوله - تعالى-: (ادخلوها بسلام)، ثم طمأنتهم بأن ذلك نعيم خالد، وزيد في إكرامهم تلبسهم بالفعل بأن (لهم ما يشاؤون) مما لم يروه حين الدخول، وبأن الله وعدهم بالمزيد من لدنه[(٣)]، فجاء ترتيب الآيات وتنويع الضمائر

(١) القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن)، ص:٢١/١٧، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٢٠.

(٢) أبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:١٣٣/٨، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٢١.

(٣) ينظر: ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٢١-٣٢٢.

والإحالات في منتهى الدقة لتحقيق دلالات بعينها، إضافة إلى تحريك ذهن القارئ وإيقاظ انتباهه، ودفع السآمة متآزرا مع غيره من وسائل تقوية المعنى وترابطه النصي.

١٠- لم يكن ثمة صعوبة أو غموض في اكتشاف العناصر المحال إليها رغم كثرتها؛ حيث جاءت العناصر المحال إليها هنا كلها صريحة، لا تحتاج إلى تأويل، كما كان النص القرآني في هذا المقطع مفتوح؛ فهو يرسل الإحالات خارج النص، ويستقبلها أيضا.

(الفصل الثاني)

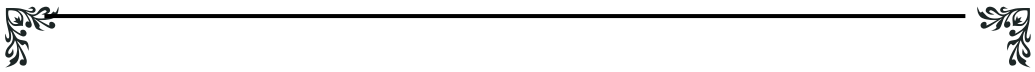

الإحالة الإشارية، ودورها في مشاهد القيامة، ويشتمل على:

- أسماء الإشارة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).
- أسماء الإشارة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

(المبحث الأول)

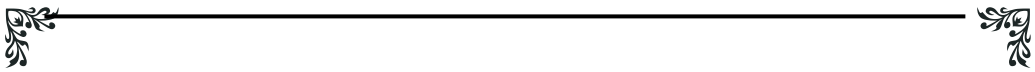

أسماء الإشارة، ودورها الإحاليّ في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).

فاتحة ومهاد:

البنية النصية العميقة نوع من الكشف والارتياد، لا يمكن فهم تراكيبها وسبر أغوارها دون النظر والتطلع إلى ألفاظها المفردة التي تشغل هذه البنية، والتفاعل القائم بين هذه المفردات ووظيفتها النحوية من خلال سياقها النصي المكتنز بالطاقات الإيحائية التي تحقق تفاعلا ناميا متداعيا، وأجواء نفسية رحبة تفيد مالا تفيد في أصلها الوضعي بتفاعلها في مواقعها والقرائن المحيطة بها، ولا يتضح هذا إلا من خلال دراسة شبكة العلاقات بين عناصر النص بتراكيبه المختلفة نحويا وصرفيا ودلاليا وصوتيا، بل وحتى سياقيا ومقاميا "انطلاقا من أن كل مكوّن لابد أن يكون له رصيد من الدلالة، حيث تشكل كل دلالة جزئية لبنة من الدلالة الكلية للنص" [(١)]، وعليه فلكل كلمة مفردة دور أساس في تصوير المعنى الرئيس في النص أو المعاني الرئيسة المتعددة، كما لو كانت وحدات مستقلة قائمة بذاتها، يربطها نسق خاص ترتهن دلالته بالسياق الواردة فيه.

وحيث إن القرآن يتأنق في اختيار ألفاظ بعينها، ويستخدم كلا حيث تؤدى معناها في دقة فائقة يُجْزَم معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها، بل تحمل كل كلمة فيه معنى جديدا، لا تؤديه غيرها، فالألفاظ فيه قوية عنيفة في مقام التهديد والوعيد، رقيقة عذبة في مجال الترغيب والتهذيب، وهادئة حسنة في مقام التشريع والتفريع[(٢)].

وحين كانت أغلب مشاهد القيامة في القرآن الكريم ترد في السور القصيرة التي تشتمل على آيات قصيرة كذلك، "تهدف إلى بيان معنى واحد أو عدة معان سريعة التصور والإدراك، بفواصل قصيرة ذات إيقاع سريع كثيف، وهي بذلك ليست مجالا لذكر الأفكار الطويلة التي تحتاج إلى إطالة بناء الجملة أو الآية التي تصورها"[(٣)]، إذ الفكرة الأساسية (الموت والبعث) تتطلب انتظام جميع الألفاظ لتأدية تلك الفكرة بصورة خاطفة موجزة، "حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهذا الأسلوب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام"[(٤)]؛ إذ إن "للكلام غاية، ولنشاط السامعين

(١) محمد حماسة عبد اللطيف: (الإبداع الموازي)، ص:٤٥، وحمادة عبد الإله حامد:(النحو الدلالي)، ص:٢١٩.

(٢) ينظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: (خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)، مكتبة وهبة، ط:١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص:٢٤٢/١.

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٤٢/١.

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي "المتوفى: ٤٦٦هـ": (سر الفصاحة)، دار الكتب العلمية، (ط:١)، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص:٢٠٥.

نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه"[١].

لذا تستخدم الألفاظ استخداما فنيا خاصا في مشاهد القيامة أو في كامل نص القرآن الكريم فتربط السابق باللاحق، وكأنها خيط من نسيج خاص يربط بين أواصر النص من أجل صياغته كقطعة متينة محكمة السبك والنسق، فتجد بعض تلك الألفاظ فارغة الدلالة في نفسها، والتي لا تحدد معناها دون العودة إلى ما تشير إليه، سواء كانت إشارات بعيدة أو قريبة "تقوم من خلالها بوظيفة تحديد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه-كما في الضمائر- أو بوظيفة تحديد مواقع هذه الشخوص في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري-كما في أسماء الإشارة- التي تحيل دائما إلى ما هو داخل النص"[٢]، فتكتسب من خلال هذا الاستخدام قيما جمالية تحقق نوعا من التفاعل النامي بين إيحاء الكلمات، وهي بذلك تختزل المعاني ذات النصوص الطويلة بالإشارة إليها بألفاظ مفردة، تكتسب دلالتها من خلال سياقها النصي الواردة فيه، كاسم الإشارة المفرد الذي "لا يحيل إلى سابق أو لاحق فقط، بل قد يحيل إلى جملة بأكملها أو متتالية جمل وقطع من النص طويلة فيما يسمى بـ(الإحالة الموسعة)"[٣]، ليمنح التعبير طاقات مكتنزة من المشاعر والأحاسيس التي تتداعى في حرية في عقد من نظم خاص، يعود به في النهاية إلى كيان النص-المشهد- المتماسك.

وتعد أسماء الإشارة الوسيلةَ الثانيةَ من وسائل الإحالة، وهي تتساوي مع ضمير الغياب في الضمائر؛ إذ إنها تحيل إلى عنصر إشاري داخل النص فـ"هي مقيدة بدلالتها الإشارية التي تتضمنها وتحتاج لما يساندها من علاقات نحوية داخلية، تمنحها قوة الضمير الإحالية، وتضيف إليها قوة أخرى إشارية يحتاجها السياق"[٤].

والأصل فيها "ألا تشير إلا إلى مُشَاهَد محسوس، قريب أو بعيد، فإن أشير بها إلى محسوس غير مشاهد نحو: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ [سورة مريم:٦٣]فلتصييره كالمشاهد، وكذلك إن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته نحو: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾[سورة يونس: ٣]، و ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ "المتوفى: ٢٥٥هـ": (البيان والتبيين)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ص:١/١٠١.

(٢) الأزهر الزناد: (نسيج النص)، ص:١١٧-١١٨.

(٣) محمد خطابي: (لسانيات النص)، ص:١٩.

(٤) المرجع السابق نفسه.

رَبِّي ﴾[سورة يوسف:٣٧]"[١]، وعليه فالإشارة-إذن- وسيلة مهمة من وسائل الربط التي تحكم بالنصية لنحو النص مع مجموعة المعايير النصية الأخرى، لذا كان الاهتمام بها في علم اللغة النصي من خلال الربط بالإحالات على مستوى سطح النص تمحيصا وتفصيلا وتأملا، شأنها في هذا شأن الضمائر في خلق الترابط والتماسك والسبك والحبك لجذور النص وأركانه الواردة في أثنائه.

هذا، ولا يخفى اهتمام القدماء بها؛ فقد اهتموا بدلالتها ومرجعيتها داخل السياق من أجل خلق الترابط وتحقيق التماسك وإزالة اللبس عن هذه المبهمات، ومن ذلك ما قاله العكبري[٢] في شرحه لديوان المتنبي[٣] إبان شرحه لهذا البيت:

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ[٤]

على أن "ذان: إشارة إلى العيب والنقصان"[٥]، وفي هذا إحالة نصية لاحقة لمذكور سابق.

---

(١) الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي، نجم الدين "المتوفى: ٦٨٦هـ": (شرح الرضي على كافية ابن الحاجب)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط:١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص:٢/٢٢١.

(٢) العكبري هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محب الدين: عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، أصله من عكبرا (بليدة على دجلة) ولد (٥٣٨ - ٦١٦ هـ وتوفي ١١٤٣ - ١٢١٩ م) ومولده ووفاته ببغداد. من كتبه: شرح ديوان المتنبي و اللباب في علل البناء والاعراب وشرح اللمع لابن جني و التبيان في إعراب القرآن ويسمى إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن و الترصيف في الترصيف و المحصل في شرح المفصل للزمخشري و التلقين وغيرها الكثير. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي "المتوفى: ٦٨١هـ" :(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠م، ص:٣/١٠٠.

(٣) المتنبي هو: أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك القبيلة في الكوفة لانتمائه لهم، ولد (٣٠٣هـ -٩١٥م وتوفي ٣٥٤هـ- ٩٦٥م) تنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون. وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الإخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. وأفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، إذ جاء بصياغة قوية محكمة، له ديوان مطبوع يضم (٣٢٦) قصيدة تدور معظمها حول مدح الملوك في عصره. ينظر: ابن خلكان:(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، ص:١/١٢٠-١٢٣"بتصرف".

(٤) البيت من بحر البسيط، ينظر: الجعفي، أحمد بن الحسين الجعفي: (ديوان المتنبي)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص:٣٣٣.

(٥) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين "المتوفى: ٦١٦هـ": (شرح ديوان المتنبي)، تحقيق: المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة،(د.ط)،١٣٥٥هـ-١٩٣٦م، ص:٣/٣٧١.

ومن هنا يتضح إدراكهم للكثير من الجوانب المتعلقة بمسألة الربط الإحالي، كالعلاقات الكائنة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، ومستويات الإحالة من داخلية أو خارجية، والاهتمام -أيضا- بمرجعية تلك العناصر التي قد تكون قبلية أو بعدية، وفي هذا دليل على حيوية النحو القديم فيما لا يدع مجالا للشك بأنه يزخر بالكثير من معطيات الدراسات النصية الحديثة، وأهم أساسياتها وركائزها على الرغم من شيوع النظرة الجزئية في الدراسات القديمة التي دارت في إطار نحو الجملة.

- اسم الإشارة بين اللغة والاصطلاح:

الإشارة مصدر الفعل (أشار) وهو مستعمل لغةً في عدة معان، منها: [عَرْضُ الشيء، وإظهارُه، والإيماء إليه]، يقال: "رجل حسن الشارة حلو الإشارة، وفلان صير شير: حسن الصورة والشارة"(١)، و أشار الرجلُ "يشير إشارةً: إذا أومأَ بيديه وَيُقَالُ: شَوَّرْت إِليه بِيَدِي وأَشرت إِليه أَي: لَوَّحْت إِليه وأَلَحْتُ أَيضا، وأشار عليه بالرأي، وأشار يشير إذا ما وجه الرأي، وأشار النار وأَشارَ بِها وأَشْوَرَ بِهَا وشَوَّرَ بِهَا: رفعَها."(٢) وأَشار إِليه وشَوَّر: أَومَأَ، "ويَكُونُ ذَلِكَ بالكفِّ وَالْعَيْنِ وَالْحَاجِبِ"(٣).

أما في الاصطلاح فقد وردت فيه تعريفات كثيرة، كلها تشير إلى معنى واحد تقريبا، وإنما تختلف في الطول والإيجاز منها:

- الإشارة من الأسماء المبهمة، التي تقع لتشير لمدلولها، ولا تخص شيئا دون شيء، وهي: هذا ، وهذاك، وأُولئك وهؤلاء ونحوه (٤).
- أو "ما وضع لمشار إليه"(٥).

(١) الزمخشري:(أساس البلاغة)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١٤١٩،١ هـ - ١٩٩٨ م، مادة (ش.و.ر) ص:١/ ٥٢٦.

(٢) ابن منظور: (لسان العرب)، فصل الشين المعجمة، مادة [ش.و.ر]، ص:٤/٤٣٧.

(٣) المرجع السابق، فصل الشين المعجمة، مادة[ش.و.ر]، ص:٤/٤٣٧، والفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي "المتوفى: ٨١٧هـ": (القاموس المحيط)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (ط:٨)،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ م، ص:١/ ٥١٩، وكذا أحمد رضا: (معجم متن اللغة "موسوعة لغوية حديثة")، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٧ م - ١٣٨٠ هـ، ص:٣/٣٩٣.

(٤) ينظر: المبرد: (المقتضب)، ص:٣/١٨٦.

(٥) ابن الحاجب: (الكافية)،ص:٢/٢٩، والرضي:(شرح الكافية)، ص:٣/٢١٩، والصبان:(حاشية الصبان)، ص:١/٢٠٢.

- أو "ما دلّ على مُسَمّى بالوضع وأشار إلى ذَلِك الْمُسَمّى" [(١)].
- أو "ما وضع ليدل على معين بواسطة إشارة حسية أو معنوية، وله ألفاظ معينة".[(٢)]وغالبا ما يكون المشار إليه (وهو: المدلول) شيئًا محسوسًا كأن تشير إلى كتاب، أو قلم، أو غيرها، فتقول: (ذا كتاب – ذا قلم). وقد يكون المشار إليه شيئًا معنويًّا، كأن تتحدث عن رأي، أو: مسألة في نفسك، وتقول: (ذي مسألة تتطلب التفكير، ذا رأي أبادر بتحقيقه)[(٣)].

– أسماء الإشارة معارف مبهمة:

واسم الإشارة هو أحد المعارف الستة، وهو في المرتبة الثالثة في التعريف[(٤)]، بعد الضمير والعلم، وأعرفه ما للقريب ثم ما للمتوسط ثم ما للبعيد، وقد عده النحاة من الأسماء المبهمة[(٥)]، وذلك لوجهين:

---

(١) ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٢،و الأندلسي، أبو حيان: (التذييل والتكميل)، ص: ١٨١/٣، وابن هشام: (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب)،ص:١٨١/١.

(٢) محمد عبد العزيز النجار:(ضياء السالك إلى أوضح المسالك)،مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص:١٣٩/١، وعباس حسن: (النحو الوافي)، ص:٣٢١/١، و إميل بديع يعقوب: (موسوعة النحو و الصرف و الإعراب)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط:١)،١٩٨٨م،ص:٥٤.

(٣) عباس حسن: (النحو الوافي)، ص:٣٢١/١.

(٤) "واسم الإشارة عند الكوفيين أعرف من العلم، ولهم في ذلك شبهتان: إحداهما: أن اسم الإشارة ملازم للتعريف غير قابل للتنكير، والعلم بخلاف ذلك، فكان تعريفه دون تعريف اسم الإشارة، والثانية: أن تعريف اسم الإشارة حسي وعقلي، وتعريف العلم عقلي لا غير، وتعريفٌ من جهتين أقوى من تعريف من جهة" وقد رد على حججهم ابن مالك في كتابه شرح التسهيل وليس هنا مجال لذكره. ينظر: ابن مالك:(شرح التسهيل)،ص:١١٧/١– ١١٨ وما بعدها، وكذا أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٩٠٨/٢، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٤٤٣.

(٥) ينظر: سيبويه:(الكتاب)،ص:٢/ ٥، والمبرد: (المقتضب)،ص:٢٧٧/٤، والزمخشري:(المفصل في صنعة الإعراب)،ص:٢٤٥/١،، وابن يعيش: (شرح المفصل)،ص:٣/ ٣٤٨، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١١٦، وأبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٩٠٨/٢، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:٩٩/١، و(شذور الذهب)،ص: ١٨١، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ٩٩، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٤٣٤، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:٨٦/١، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١٥٩/١، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:٩٦/١.

الوجه الأول: عمومُ اسم الإشارة وصلاحيته للإشارة به إلى كل جنس، وإلى كل نوع، وإلى كل شخص، فيشار به إلى العاقل وغير العاقل، ويقعُ على كلّ شيء من حَيَوان وجَماد وغيرِهما، ولا يختص بمسمّى دون مسمّى، ويُفسَّر بما بعده[1]، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [سورة طه: ٦٣]، وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ [القصص: ٢٧] فأشار بـ(هذا وهذان وهاتين) للعاقل.

ومثال الإشارة بهذه الأسماء إلى غير العاقل: قولُ الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ﴾ [سورة المائدة: ٣١]، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة البقرة: ٥٨].

والوجه الثاني: أن أسماء الإشارة تفتقر في بيان مسماها وتعيينه إلى الإشارة الحسية أو المعنوية[2].

– أقسام الإشارة:

ينقسم اسم الإشارة بحسب عدد المشار إليه ونوعه ودلالة الإشارة على القرب والبعد، وهذا الأخير فـ"للنحويين فيه مذهبان:

أحدهما: أن لها مرتبتين: قريبة وبعيدة كالمنادى.

والثاني: أن لها ثلاث مراتب: قريبة وبعيدة ومتوسطة، وهذا هو المشهور"[3].

---

(١) ينظر: سيبويه:(الكتاب)،ص:٢/ ٥، والمبرد:(المقتضب)،ص:٣/ ١٨٦- ١٩٧، و الهروي، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي"المتوفى:٤٣٣هـ": (إسفار الفصيح)، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،(ط:١)، ١٤٢٠هـ، ص:١/ ٢١٤، والزمخشري:(المفصل في صنعة الإعراب)،ص:١/٢٤٥، وابن يعيش: (شرح المفصل)،ص:٣/ ٣٤٨.

(٢) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١١٨،الرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٠-٢٢١، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٢/ ١٢٢، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٤٤٤، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/٢٠٢.

(٣) ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/٢٣٩.

أما تقسيمه بحسب عدد المشار إليه ونوعه؛ فهو على ثلاثة أقسام هي: "ما يشار به للمفرد وما يشار به للمثنى، وما يشار به للجماعة، وكل من هذه الثلاثة ينقسم إلى مذكر ومؤنث"[(١)]، وفيما يلي تفصيل ذلك:

(أ) ما يشار به للمفرد بنوعيه:

١- يشار إلى المفرد المذكر القريب بـ"ذا[(٢)]" [(٣)] نحو قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَـدًا آمِنًـا﴾ [سورة البقرة: ١٢٦]، وشرطه أن يكون مفردا حقيقة أو حكما، فالمفرد الحقيقي نحو: "هذا زيد، وهذا خالد"، والمفرد حكما نحو: "هذا الرهط، وهذا الفريق"، وقد

(١) ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، "المتوفى: ٧٦١هـ": (شرح قطر الندى وبل الصدى) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط:١١،١٣٨٣هـ، ص:٩٩.

(٢) وقد اخْتُلِفَ في ألف (ذا) على ثلاثة مذاهب، فقال البصريون: "ألفه أصلية لا زائدة؛ وهي منقلبة عن أصل واختلفوا في أصل هذه الألف فقال بعضهم: هي منقلبة عن ياء، فالعين واللام المحذوفة ياءان، وهو ثلاثي الوضع في الأصل، وقال بعضهم: الألف منقلبة عن واو وجعلوه من باب طويت، وزعم الكوفيون أن الألف زائدة، و وافقهم السهيلي على ذلك، واحتجوا بقولهم في التثنية "ذان"، فالألف والنون هي للتثنية، فلم يبق سوى الذال، وأجيبوا عن هذا بأنها ليست تثنية، بل هي صيغة موضوعة للتثنية، والدليل على ذلك عدم تنكيرها، ورُدّ مذهب الكوفيين بأنه ليس في الأسماء الظاهرة القائمة بنفسها ما هو على حرف واحد، واحتج البصريون على أنها منقلبة عن أصل بقولهم في التصغير (ذيا)، وأصله عندهم: (ذييا)، فقد انقلبت الألف ياء، و أعيدت لام الكلمة ياء، وأدغم فيها ياء التصغير على ما قرر في باب التصغير. وهناك من ذهب إلى أن "ذا" ثنائي الوضع نحو "ما"، وأن الألف أصل بنفسها، وليست منقلبة عن شيء؛ إذ أصل الأسماء المبنية أن توضع على حرف واحد أو على حرفين، كما قال السيرافي: ذا على حرفين كـ "ما"، فلما صغروا ألحقوا ياء ليتم التصغير، وكانت ياء لأنها أكثر ما تلحق". ينظر: الرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٢-٢٢٣، وأبو حيان:(التذييل والتكميل)، ص:٣/ ١٨١-١٨٣،وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٠، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/٧٩٦-٧٩٧، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/٢٠٢، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)،ص:١/١٤٢.

(٣) ينظر: ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/٢٣٩، و الرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٢، أبو حيان:(التذييل والتكميل)، ص:٣/١٨١، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)،ص:١/١٣٩، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٠، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/٧٩٥.

يكون لمن لا يوصف بذكورة ولا أنوثة، كقوله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣]،[١] غير أن غالبه يستخدم للمفرد المذكر.

وقد يستعمل " ذا " في الاشارة إلى الجمع، كما في قول الشاعر:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس: كيف لبيد؟[٢]

و الأصل في " ذا " أن يشار به إلى المذكر حقيقة، وقد يشار به إلى المؤنث إذا نزل منزلة المذكر، كما في قول الله تعالى: (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي)[سورة الأنعام:٧٨] أشار إلى الشمس وهي مؤنثة بدليل قوله (بازغة) – بقوله: (هذا ربي)؛ لأنه نزلها منزلة المذكر، ويقال: بل لأنه أخبر عنها بمذكر، ويقال: بل لأن لغة إبراهيم – عليه السلام – الذي ذكر هذا الكلام على لسانه لا تفرق بين المذكر والمؤنث[٣].

وقد ذكر النحاة أن للواحد المذكّر القريب ألفاظا أخرى يشار إليه بها، وهي: (ذاء) بهمزة مكسورة بعد الألف، و(ذائه) بهمزة بعد الألف وهاء تليها مكسورة و(ذاؤه) بهمزة مضمومة وبعدها هاء مضمومة، و(آلك) بهمزة ممدودة بعدها لام ثم كاف[٤].

ولا شك أن هذه الكلمات في غاية الندرة، فلذلك لم تدرج في الاستعمال الغالب.

---

(١) ابن الحاج، تاج أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن حمدون السُّلَمي"المتوفى١٣١٦هـ":(العقد الجوهري من فتح الحي القيوم في حل شرح الأزهري على مقدمة ابن آجروم أو حاشيةُ ابن الحاج على شرح خالد الأزهري للمقدمة الآجرومية)، دار الفكر، بيروت،(د.ت)، ص:٧١.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو من بحر الكامل، ينظر: لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري "المتوفى: ٤١هـ" : (ديوان لبيد بن ربيعة العامري)، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، (ط.١)، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م، ص: ٣٢.

(٣) ينظر: ابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وحاشية منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل)،بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص:١/ ١٣٠.

(٤) ينظر: أبو حيان: (التذييل والتكميل)،ص:١٨٤/٣، وخالد الأزهري:(شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١٤٢/١، والصبان: (حاشية الصبان)، ص:٢٠٣/١.

٢- يشار إلى المفردة المؤنثة القريبة بعشرة أسماء هي "ذي- ذهْ- ذِهِ بكسر الهاء مع اختلاس كسرتها -تي-تا-تِهْ-تِهِ بكسر الهاء مع إشباع كسرتها - ذات[١]"[٢] ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

(ب) ما يشار به للمثنى بنوعيه[٣]:

١- يشار إلى المثنى المذكر بـ "ذان"، ويكون بالألف في حالة الرفع، و"ذين" بالياء في حالتي النصب والجر، وذلك نحو قول الله عز وجل: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الحج: ١٩].

٢- ويشار إلى المثنى المؤنث بـ"تان" ، وهو كـ(ذان)، يكون بالألف في حالة الرفع، و"تين" بالياء في حالتَي النصب والجر،وذلك نحو قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [سورة القصص: ٢٧].

ويجوز أن تأتي "ذان وتان" بتشديد النون وكذلك مع الياء في "ذين وتين" والمقصود بالتشديد أن يكون عوضا عن الألف المحذوفة[٤].

---

(١) "وذات أغرب أسماء الإشارة للمفردة المؤنثة وإنما المشهور استعمال ذات بمعنى صاحبة نحو:(ذات جمال) أو بمعنى التي في لغة بعض طيء حكى الفراء:(بالفضل ذو فضلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بها) أي: التي أكرمكم الله بها فلها حينئذ ثلاثة استعمالات مع الإشارة". ينظر: ابن هشام: (شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ٩٩.

(٢) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:٢٣٩/١، أبو حيان:(الكتاب: ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٩٧٥/٢، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٣٩/١، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ٩٨-١٠٠"بتصرف"، ابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١٣١/١، الأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١١٩/١، الصبان:(الكتاب: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:٢٠٣/١.

(٣) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:٢٣٩/١، أبو حيان:(الكتاب: ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٩٧٥/٢، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٣٩/١، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ٩٨-١٠٠"بتصرف"، ابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١٣١/١، الأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١١٩/١، الصبان:(الكتاب: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:٢٠٣/١.

(٤) "جمهور العرب يخفف النون فيهما، (وتميم وقيس) تشدد النون فيهما تعويضا من المحذوف منهما وهو: الألف في "ذا" و"تا"، أو تأكيدا للفرق بين تثنية المبني والمعرب الحاصل بحذف الألف، ولا يختص ذلك التشديد بحالة الرفع عند الكوفيين، بل يكون فيها وفي حالتي الجر والنصب، خلافا للبصريين في زعمهم أن التشديد مختص بحالة الرفع؛ لأنه قد قرئ في السبع: "إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِّ" [سورة القصص: ٢٧] ، بالتشديد في حالة الجر في "هاتين"، كما قرئ في حالة الرفع: "فَذَانِّكَ بُرْهَانَانِ" [سورة القصص: ٣٢] بالتشديد فيهما". ينظر: الرضي: (شرح الكافية)،ص:٢٣٢/٣، وأبو حيان:(التذييل والتكميل)،

(ج) ما يشار به للجمع مطلقا:

يشار إلى الجمع مطلقا مذكرًا كان أو مؤنثًا بـ"أولى"[(١)]، وذلك نحو قولُ الله -عز وجل-: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَـؤُلَاءِ قَـوْمٌ مُجْرِمُـونَ ﴾ [سورة الدخان: ٢٢]، بالإشارة إلى جماعة الذكور، وقولُ الله عز وجل:﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [سورة هود: ٧٨]، بالإشارة إلى جماعة الإناث، وقد ورد في اسم الإشارة (أولى) عن العرب لغتان[(٢)]:

- **اللغة الأولى**: أُولاءِ، بالمد – أي: بالهمزة في آخره – وهي لغة أهل الحجاز، وبها جاء التنزيل، فلم تَرِد (أُولاءِ) في القرآن إلا ممدودةً، ولهذا كان المد أفصح اللغات فيه، ومن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩].
- **واللغة الثانية**: أولى، بالقصر-أي: بحذف الهمزة من آخر الاسم- وهي لغة بني تَميم، وقيس، وربيعة، وأسد، وتقول بِناء على هذه اللغة: (جاءني أُولَى، أو: هؤُولَى)، بإضافة هاء التنبيه في أول الاسم، مع فتحها، وضم الهمزة، وفتح اللام، أو (هولى) بفتح الهاء وسكون الواو وفتح اللام.

ص:١٨٦/٣، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٥- ١٤٦، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١٤١/١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٩٩، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٢٨، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥١.

(١) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤١،الرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٢٥/٣-٢٢٦، وأبوحيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٩٧٥/٢، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٣٩/١-١٤٠، و(شذور الذهب)،ص: ١٨٢، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١٠٠، ابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١٣٢/١-١٣٣، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٩٨، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١٢٠/١، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:٢٠٣/١، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٣-١٤٤.

(٢) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤١،الرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٢٥/٣-٢٢٦، وأبوحيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٩٧٥/٢، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٣٩/١-١٤٠، و(شذور الذهب)،ص: ١٨٢، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١٠٠، ابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١٣٢/١-١٣٣، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٩٨، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١٢٠/١، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:٢٠٣/١، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٣-١٤٤.

وتجوز الإشارة بـ(أولاءِ، وأُولَى) بالمد والقصر، للجمع العاقل وغير العاقل كقوله -تعالى- للعقلاء: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٥]،وفي غير العقلاء يقول تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]، إلا أن الأكثر في هذا الاسم أن يشار به إلى العقلاء، بينما يستعمل لغيرهم اسم الإشارة (تلك)، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٠]، وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٠١]، أو اسم الإشارة (هذه) نحو: قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٩].

- مراتب المشار إليه من حيث قربه وبعده:

وللمشار إليه من حيث قربه وبعده مراتب ثلاث[(١)]: قريبة، ومتوسطة بين القرب والبعد، وبعيدة[(٢)]، فقد يكون المشار إليه قريبًا، وحينئذٍ يشار إليه باسم إشارة ليس فيه كاف، ولا لام كـ: (أكرم هذا الرجل، أو: هذه المرأة)، ومن ذلك قول الله – تعالى-: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

---

(١) يرى ابن مالك بأنه ليس للمشار إليه إلا رتبتان: (قربى وبعدى) فإذا أريد الإشارة إلى البعيد أتي بالكاف وحدها فتقول:(ذاك) أو الكاف واللام نحو: (ذلك) وهذه الكاف حرف خطاب فلا موضع لها من الإعراب، وهذا لا خلاف فيه، فإن تقدم حرف التنبيه الذي هو:(ها) على اسم الإشارة، أتيت بالكاف وحدها، فتقول:(هذاك) ولا يجوز الإتيان بالكاف واللام، فلا تقول: (هذالك) وهو بهذا يخالف جمهور النحاة على أن للمشار إليه ثلاث مراتب:(قربى ووسطى وبعدى)، فيشار إلى من في القربى بما ليس فيه كاف ولا لام: كـ(ذا) وإلى المتوسطة بالكاف وحدها كـ(ذاك) وإلى البعيدة بالكاف واللام كـ(ذلك). ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ٢٣٩، أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/٩٧٦، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) ص:١/١٣٤- ١٣٥، و ناظر الجيش : (تمهيد القواعد)،ص:٢/ ٧٩٥-٧٩٨ "بتصرف".

(٢) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٣٩-٢٤١، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٧-٢٢٨، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/٩٧٥-٩٧٦، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤١، و(شذور الذهب)،ص: ١٨٢، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١٠٠، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٤- ١٣٥، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٩٥- ٧٩٨ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٢٠-١٢١، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/٢٠٥-٢٠٦، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥-١٤٦.

وقد يكون المشار إليه متوسطًا بين القرب والبعد، وحينئذٍ يشار إليه باسم إشارة فيه كاف الخطاب وحدها، كـ: (اركَبْ ذاك الحصان، أو: تيك الناقة).

وقد يكون المشار إليه بعيدًا، وحينئذٍ يشار إليه باسم إشارة فيه الكاف واللام معًا، كـ: (خُذْ ذلك القلم، أو: تلك الدَّواة)[1].

- **لواحق أسماء الإشارة:**

يلحق أسماءَ الإشارة ثلاثةُ أحرف؛ هي:

١. ها التنبيه وهي: حرف يفيد تنبيه السامع إلى ما يشار إليه، ويكون له الصدارة عند نطق اسم الإشارة أو كتابته، ويدل على قرب هذا المشار إليه، وليس من أصل اسم الإشارة، ولا محل له من الإعراب، وتلحق (ها التنبيه) كلَّ أسماء الإشارة، وتكون في أولها، فتقول: هذا، وهذه، وهذان، وهاتان، وهؤلاء، وقد وردت هذه الأسماء مجردة عن (ها التنبيه) في أكثر من آية في كتاب الله سبحانه، ومن ذلك قول الله – تعالى-: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢]، وقوله – سبحانه-: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [سورة يوسف: ٣٢]، وقوله -عزوجل-: ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي ﴾ [سورة طه: ٨٤]؛ ففي هذه الآيات ورد اسما الإشارة (ذا، وأولاءِ) على أصلهما، مجردينِ من (ها التنبيه)[2].

---

(١) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٣٩-٢٤١، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٧-٢٢٨، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/٩٧٥-٩٧٦، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤١، و(شذور الذهب)،ص: ١٨٢، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١٠٠، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٤- ١٣٥، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٩٥- ٧٩٨ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٢٠-١٢١، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/٢٠٥-٢٠٦، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥-١٤٦.

(٢) ينظر: الزمخشري:(المفصل في صنعة الإعراب)،ص:١/ ١٨١،وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤٤-٢٤٥، و أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٧٦- ٩٧٧، و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ١٩٨-٢٠٠"بتصرف"، و المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي "المتوفى : ٧٤٩هـ":(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط:١٤٢٨،١هـ - ٢٠٠٨م، ص:١/ ٤١٢، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨٠٤- ٨٠٦ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٢٢و ١٢٤، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٠٨.

كما يجوز الفصل بين (ها التنبيه) واسم الإشارة بضمير المشار إليه، وفصل هاء التنبيه من اسم الإشارة المجرد من كاف الخطاب بأنا وأخواته من ضمائر الرفع المنفصلة -كثير ليس بالقليل، بخلاف الفصل بغيرها؛ فإنه قليل، وذلك نحو قوله- تعالى-: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩]، فقد أتى بها قبل الضمير ابتداء بقصد التنبيه كما يؤتى بها قبل اسم الإشارة، و يجوز كذلك ذكر هذه الهاء بعد الضمير مع ذكرها قبله، نحو قوله -تعالى-: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ [سورة آل عمران: ٦٦] فتعاد بعد الفصل توكيدا[١].

٢. كاف الخطاب وهي: حرف خطاب باتفاق النحاة، وقد جِيءَ بها للدلالة على توسط بُعد المشار إليه، وهي كـ: (هاء التنبيه) تلحق بجميع أسماء الإشارة، ولا يكون لها محل من الإعراب، ولكنها تختلف عن هاء التنبيه في أنها تكون في آخر اسم الإشارة، لا في أوله كالهاء، وتلحق آخر أسماء الإشارة التي للمفرد المذكر، والتي للمثنى والجمع بنوعيه، كما تلحق ثلاثة من أسماء الإشارة الخاصة بالمفردة المؤنثة وهي:(ذي –تي- تا)،ولا تلحق بقية أسماء الإشارة الخاصة بالمفردة المؤنثة[٢]، تقول على سبيل المثال: (ذاك، تِيك، ذانِك[٣]، تانِك[٤]، أولئك)، وهذه الكاف وإن كانت حرفًا[٥]، ولم تكن ضميرًا اسمًا كالضمير البارز المتصل

(١) ينظر: الزمخشري:(المفصل في صنعة الإعراب)،ص:١/ ١٨١،وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤٤-٢٤٥، و أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٧٦- ٩٧٧، و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ١٩٨-٢٠٠"بتصرف"، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١٢.

(٢) ينظر: الزمخشري:(المفصل في صنعة الإعراب)،ص:١/ ١٨١، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤٤-٢٤٧"بتصرف"، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٧-٢٢٨، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٧٨،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/٢٠٠، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١١، وابن هشام: (شذور الذهب)،ص: ١٨١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨٠٧- ٨٠٨ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/١٢١-١٢٢، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٠٤و٢٠٨، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥.

(٣) سواء كانا بالألف أم بالياء؛ يعني، سواء كانا مرفوعين، أم منصوبين، أم مجرورين.

(٤) سواء كانا بالألف أم بالياء؛ يعني، سواء كانا مرفوعين، أم منصوبين، أم مجرورين.

(٥) ووجه كونِها حرف خطاب، وليست ضميرًا ككاف المخاطَب وذلك لأن أسماء الإشارة لا تضاف لأنها ملازمة للتعريف. ينظر: الزمخشري:(المفصل في صنعة الإعراب)،ص:١/ ١٨١، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤٤-٢٤٧"بتصرف"، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٧-٢٢٨، و أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)،

(كاف المخاطب)، إلا أنها تتصرَّف تصرُّف هذه الكاف الاسمية غالبًا، فتكون بحسب المخاطب؛ ليدل على حالته من حيث العدد (الإفراد والتثنية والجمع)، ومن حيث النوع (التذكير والتأنيث)[1]، فيؤتى باسم الإشارة وَفقًا للمشار إليه، ويؤتى بكاف المخاطب وَفقًا للمخاطب، فتقول: ذلكَ، بفتح الكاف، إذا كان المخاطب مفردًا مذكَّرًا، ومن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ٢]، وتقول: ذلكِ، بكسر الكاف، إذا كان المخاطب مفردة مؤنثة، ومِن ذلك قولُ الله – تعالى–: ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ [سورة مريم: ٢١]، وتقول: ذلكُما، فتقرن بالكاف الميم والألف، إذا كان الخطاب للمثنى بنوعَيْه؛ نحو قول الله – تعالى–: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [سورة يوسف: ٣٧]،

ص:٢/٩٧٨، و(التذييل والتكميل)،ص:٣/٢٠٠، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١١، وابن هشام: (شذور الذهب)،ص: ١٨١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨٠٧–٨٠٨ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/١٢١–١٢٢، الصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٠٤و٢٠٨، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥.

(١) إن تصرُّف الكاف بحسب المخاطب تذكيرًا وتأنيثًا، وإفرادًا وتثنية وجمعًا، هو حكمٌ أغلبي، وإلا فإن هذه– الكاف – يجوز أن تفتح في التذكير، وتكسر في التأنيث، ولا يلحقها دليل تثنية ولا جمع، وإن كان المخاطب مثنى أو مجموعًا، وإن لم يكن ذلك غالبًا فيها، فتقول على سبيل المثال: ذلك الرجل، تخاطب واحدًا، وتقول: ذلك الرجل، تخاطب اثنين، وتقول: ذلك الرجل، تخاطب جماعة ذكور، ومن ذلك قول الله – تعالى–: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [سورة المجادلة: ١٢]، ووجه الدلالة من هذه الآية: أن الخطاب لجمع الذكور، بدليل قوله – سبحانه–: ﴿ لَكُمْ ﴾، وقد اقتصر في اسم الإشارة على كاف الخطاب مفتوحة، من غير أن يضم إليها ميم الجمع، وهذا هو التصرف الناقص، وهو في درجته أقل من الأول، ويلي هذه اللغةَ عدمُ تصرف كاف الخطاب مطلقًا، فتُبنَى على الفتح في جميع أحوال الخطاب، ولا تلحقها لا علامة تثنية، ولا علامة جمع؛ سواء في ذلك أكان المخاطب واحدًا أم اثنين أم جماعة، مذكرًا أم مؤنثًا، وهذا في درجته أقل اللغات الثلاث، واللغة الأولى التي هي تصرُّف هذه الكاف تصرُّف الكاف الاسمية الضمير بحسب المخاطب، هي أشهر اللغات، وأسماها، وأفصحها، وهي التي ورد بها كتاب الله سبحانه. ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤٤– ٢٤٧"بتصرف"، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٧–٢٢٨، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٧٨،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/٢٠٠–٢٠١، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١١، وابن هشام: (شذور الذهب)،ص: ١٨١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨٠٧– ٨٠٨ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/١٢١–١٢٢، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٠٤و٢٠٨، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥–١٤٦.

وتقول: ذلكم، فتقرن بالكاف الميم، إذا كان الخطاب لجماعة الذكور، ومن ذلك قولُ الله – تعالى–: ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [سورة البقرة:٢٣٢]، وتقول (ذلكنَّ)، فتقرن بالكاف النون المشددة، إذا كان الخطاب لجماعة الإناث؛ نحو قول الله – تعالى–: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [سورة يوسف:٣].

٣. لام البعد وهي: حرف يتوسط بين اسم الإشارة وكاف الخطاب، ليدل على شدة البعد، ولا توجد هذه اللام في أسماء الإشارة بدون كاف الخطاب، وتلحق أسماء الإشارة المفردة شريطة تجردها من حرف التنبيه (ها) وهي: (ذا) للمفرد المذكر، مع الكاف، فيقال: ذلك؛ نحو قول الله – تعالى–: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [سورة الإسراء: ٣٩]، و(تي) للمفردة المؤنثة مع الكاف كذلك، فيقال: تلك؛ نحو قول الله – تعالى–: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، كما تدخل على لفظي (تا– و ذي) من ألفاظ المفردة المؤنثة كذلك، ولا تأتي في آخر أسماء الإشارة السبعة الباقية للمفردة المؤنثة، كما لا تدخل لام البعد في أسماء الإشارة إذا كانت على صورة المثنى مطلقًا، فلا يقال: (ذانلكما، ولا تانلكما)، ولا تلحق كذلك اسم الإشارة الجمعي في لغة مَن مَدّهُ، فلا يقال على لغتهم: (أولاء لك)، وأما مَن قصره، فمنهم مَن لا يأتي باللام أيضًا، ومنهم مَن يأتي بها، والذي يدخل في المثنى والجمع في لغة مَن مدّه حالة البعد: الكافُ وحدَها؛ نحو: (ذانِكما، تانِكما، أولئك)[(١)].

والأصل في هذه اللام أن تسكن كما في: (تلْك)، وإنما كسرت في: (ذلِك)لالتقاء الساكنين[(٢)].

– الوجه في اجتماع اللواحق بأسماء الإشارة:

وقد نصَّ النحاة على أنه يجوز أن يجتمع في اسم الإشارة الكاف مع الهاء، فيقال: (هاذاك، هاتيك، هاذانِك...)، كما يجوز أن يجتمع في اسم الإشارة كاف الخطاب مع لام البعد، وذلك في اسمي الإشارة: (ذلك، وتلك)، بيد أنه لا يمكن أن تجتمع هذه الأحرف الثلاثة معًا، وفي آن واحد،

(١) ينظر: أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٧٦، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١١–٤١٢، وابن هشام: (شذور الذهب)،ص: ١٨٢–١٨٣، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١٠٠، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/١٢١–١٢٢، و السيوطي: (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، ص:١/ ٢٩٩، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٠٨و٢١٠، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥– ١٤٦.

(٢) ينظر: خالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥.

في اسم من أسماء الإشارة وذلك لما يلي[1]:

١- كراهة كثرة الزوائد؛ لأنه إذا جاءت اللام والكاف و(ها) التنبيه، صارت ثلاث زوائد.

٢- عدم المناسبة بين (ها) التنبيه ولام البعد؛ لأن اللام تدل على بُعد المشار إليه، و(ها) التنبيه تدل على قربه، فيكون فيه جمع بين الأضداد التي تتعارض، فتتساقط.

٣- وحتى لا يلتبس في مجيء اللام مع (ها) التنبيه، أن يكون ما بعد اللام خبرًا، بأن تكون اللام جارَّة، والكاف اسمًا مجرورًا، فيكون الجار والمجرور متعلقينِ بمحذوف خبر مقدَّم، وهذا يظهر جليًّا إذا لم تُشكل اللامُ، فأصلُ لام البعد أن تكون مكسورة، ولام الجر إذا دخلت على الكاف تكون مفتوحةً، فإذا لم تُشكل اللام حصل اللبس.

- أسماء الإشارة الخاصة بالمكان:

تشير أسماء الإشارة للعاقل وغير العاقل للإنسان والحيوان والنبات والجماد والمكان، ومع ذلك استخدم العرب أسماء خاصة بالمكان، وهي على اسمها يشار بها إلى المكان، وتأتي على أنواع ثلاثة[2] هي[3]:

---

(١) ينظر: أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٧٦، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١١-٤١٢، وابن هشام: (شذور الذهب)،ص: ١٨٢-١٨٣، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١٠٠، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/١٢١-١٢٢، و السيوطي: (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، ص:١/ ٢٩٩، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٠٨و٢١٠، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٥- ١٤٦.

(٢) "يرى ابن مالك أنه يشار للمكان بـ(هنا) بتقدم ها التنبيه قبلها فيقال: (ههنا)، ويشار للبعيد بـ(هناك وهنالك وهِنّا) بفتح الهاء وكسرها مع تشديد النون وبـ(ثَمَّ وهنَّتْ)، ويخالفه الجمهور في ذلك بأنه على ثلاثة أنواع للقريب(هنا أو ههنا) وللمتوسط(هناك) وللبعيد (هنالك)".ينظر: ابن مالك:(شرح التسهيل)،ص:١/٢٥٠.

(٣) ينظر: الزمخشري:(المفصل في صنعة الإعراب)،ص:١/ ١٨١، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٠- ٢٥١، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٣٥-٢٣٦، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٢-٩٨٣،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٠و٢١٢، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١٣-٤١٥، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤٢، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣٦، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨١٤- ٨١٦ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٢٣- ١٢٤، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٠-٢١١، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٧.

١- ما يشار به إلى المكان القريب، وهو اسم الإشارة (هنا أو هاهنا)؛ نحو قول الله - تعالى-: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤].

٢- ما يشار به إلى المكان المتوسط، وهو اسم الإشارة (هناك) بإضافة كاف الخطاب إليه؛ نحو قول النبي - صلى الله عليه وسلم-: ((هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان))[(١)] رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

٣- ما يشار به إلى المكان البعيد، وهو اسما الإشارة (هنالك)، و(ثَمَّ) بفتح الثاء، ومثال (هنالك) في كتاب الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [سورة الفرقان:١٣]، ومثال (ثَمَّ) قولُ الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإنسان:٢٠].

وكل أسماء الإشارة الخاصة بالمكان، سواء أكانت مما يشار به إلى المكان القريب؛ كـ(هنا)، أم إلى المكان المتوسط؛ كـ(هناك)، أم إلى المكان البعيد؛ كـ(هنالك، وثَمَّ)، تعد من الظروف لدلالتها على المكان، أي تتضمن الأمرين معا فيقال في إعرابها: اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية[(٢)]، والكاف حرف خطاب، لا محل له من الإعراب، واللام حرف يدل على البعد، لا محل له من الإعراب كذلك.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي"المتوفى:٢٥٦هـ": (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:١٤٢٢،١هـ ، باب ما قيل في الزلازل والآيات، الحديث رقم: (١٠٣٧)،ص:٣٣/٢، و مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري "المتوفى: ٢٦١هـ": (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، "د.ت"، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، الحديث رقم: (٢٩٠٥) مروي بلفظ مختلف موافق للمعنى،ص:٢٢٢٩/٤.

(٢) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٠- ٢٥١، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٣٥/٣-٢٣٦، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٢- ٩٨٣،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٠و٢١٢، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١٣-٤١٥، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٤٢/١، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣٦، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨١٤- ٨١٦ "بتصرف"، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٢٣-١٢٤، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٠-٢١١، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٧.

وقد تكون بعض أسماء الإشارة الخاصة بالمكان دالة على الزمان، فتنصب على الظرفية الزمانية[1] نحو قوله -تعالى-: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ [سورة يونس: ٣٠]، أي: في يوم حشرهم.

- موقع اسم الإشارة من الإعراب:

- إن أسماء الإشارة كغيرها من المعارف الستة تُعرب حسب موقعها في الجملة رفعًا ونصبًا وجرًّا، وهي إما أن تكون:

- مبنية على السكون أو غيره، فتُعرب إعرابًا محليًّا؛ أي أن تكون مبنية في: محل رفع، أو نصب، أو جر، وهذا يشمل كلَّ أسماء الإشارة ما عدا المثنى منها (هذان، وهاتان)[2]، ومن أمثلة بناء أسماء الإشارة مع كونها في محل رفع، أو نصب، أو جر، من كتاب الله تعالى:

١- مثال بنائها مع كونها في محل رفع: قولُ الله - تعالى-: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الجاثية:٢٩].

٢- ومثال بنائها مع كونها في محل نصب: قول الله - عز وجل-: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٥٤].

٣- ومثال بنائها مع كونها في محل جر: قولُ الله -عز وجل-: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [سورة النساء: ٧٥].

- وإما أن تكون معربة، وهذا يشمل المثنى منها فقط (ذان، وتان)، فكلٌّ مِن اسمَي الإشارة

(١) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٠- ٢٥١، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٣٥-٢٣٦، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٢- ٩٨٣،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٠و٢١٢، و المرادي:(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤١٣-٤١٥.

(٢) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٢، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢١٩، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٤،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٥، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٥٦، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٣٤، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨١٧، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ٤٣، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٨٠، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ٤٣-٤٤.

(ذان، وتان) معربانِ، وهما يعربان إعراب المثنى[1]؛ بالألف رفعًا، وبالياء نصبًا وجرًّا[2]، ومع أنهما معربان إلا أنهما لا يضافان شأنهما في ذلك شأن بقية أسماء الإشارة المبنية التي لا يجوز إضافتها مطلقا.

ومثال ذلك قول الله – تعالى-: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [سورةالحج:١٩]، برفع اسم الإشارة (هذان) بالألف، و قول الله تعالى – في قراءة من قرأ بالتشديد والنصب[3]- ﴿إِنَّ هذينِ لساحرانِ﴾ [سورة طه: ٦٣] بنصب (هذين) بالياء على أنه اسم (إن) مشددة النون، و قولُه – تعالى-: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ [سورة القصص: ٢٧] بجر (هاتين) بالياء لأنه ملحق بالمثنى.

– سبب البناء في أسماء الإشارة:

وأسماء الإشارة مبنية لمشابهتها الحروف في تضمنها معنى من المعاني الحرفية، فهي تتضمن معنى الحرف الذي يستغنى عنه بها، كما تشابه الحروف في الافتقار بإبانة مسماها إلى مواجهة أو ما يقوم مقامها مما يتنزل منها منزلة الصلة من الموصول، أي: تفتقر في بيان مسماها وتعيينه إلى الإشارة الحسية أو المعنوية، كما تشابه الحروف في أصل وضعها ومن ذلك "ذا" و"ذي" وأخواتها الموضوعة

(١) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٢، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٢١٩/٣، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٤،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٥، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٥٦.

(٢) وهناك رأي آخر لبعض النحاة في اسمي الإشارة (ذان وتان) وأنهما ليسا معربين بالألف رفعا وبالياء نصبا وجرا، كالمثنى، لأن أسماء الإشارة مبنية لا معربة وقد جيء بـ(ذان وتان) على صورة المثنى، وليسا مثنيين حقيقة؛ لأن من شرط التثنية قبول التنكير، وأسماء الإشارة ملازمة للتعريف ففي حالة الرفع وضعا على صيغة المثنى المرفوع، وفي حالتي الجر والنصب وضعا على صيغة المثنى المجرور والمنصوب لذا فهما في حالة الرفع مبنيان على الألف، وفي حالتي النصب والجر مبنيان على الياءِ. ينظر: الرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٢٣/٣، خالد الأزهري:(شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)،ص:١/٤٤.

(٣) وهي قراءة سبعية متواترة لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة المشهورين، ينظر: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله "المتوفى: ٣٧٠هـ":(الحجة في القراءات السبع)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط:٤، ١٤٠١ هـ، ص: ٢٤٢.

على حرفين، وذلك من وضع الحروف، فاستحقت البناء لهذا[١]، وحملت البواقي عليها؛ لأنها فروع أو كالفروع[٢].

ولهذا السبب يقتضي بناء كل أسماء الإشارة، بيد أنه عورض في "ذين وتين" لشبههما بمثنيات الأسماء المتمكنة، فأعربا[٣].

– التناوب بين أسماء الإشارة:

وقد يحصل التناوب بين أسماء الإشارة لدلالات بعينها فـ"ينوب ذو البعد عن ذي القرب لعظمة المشير أو المشار إليه، وذو القرب عن ذي البعد لحكاية الحال، وقد يتعاقبان مُشارا بهما إلى ما قد ولِياه، وقد يشار بما للواحد إلى الاثنين وإلى الجمع"[٤].

ومن ذلك قول الله – تعالى–: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [سورة طه: ١٧]، فقد ناب اسم الإشارة (تلك) الذي للبعد عن (تي)التي للقرب وذلك لعظمة المشير، ومنه أيضا قوله – تعالى–: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص: ١٥]، فقد ناب اسم

(١) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٢، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢١٩، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٤،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٥، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٥٦، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ٣٤، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨١٧، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٤٣، الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٨٠، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ٤٣–٤٤.

(٢) "يعني القول بأنها كالفروع لأن منها "هنا" وأخواتها، وهي ليست فروعا "لذا" و "ذي" ولكنها كالفروع، ولإمكان الاستغناء عنها "بذا" أو "ذي" والمستغنى به أصل للمستغنى عنه". ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٢، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢١٩، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٤،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٥.

(٣) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٥٢، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢١٩، و أبو حيان:(ارتشاف الضرب من لسان العرب)،ص:٢/ ٩٨٤،و(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢١٥.

(٤) ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤٨، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٩–٢٣٠، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)، ص:٣/٢٠٦–٢٠٧، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨١٢، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٦.

الإشارة القريب (هذا) عن اسم الإشارة البعيد (ذاك) أو (ذلك) لحكاية الحال، وقد يشار بما للواحد إلى الاثنين كقوله – تعالى–: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [سورة البقرة: ٦٨] أي: بين الفارض والبكر(١).

(١) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٤٨، والرضي:(شرح الكافية)،ص:٣/٢٢٩-٢٣٠، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)، ص:٣/٢٠٦-٢٠٧، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٨١٢، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٦.

(المبحث الثاني)

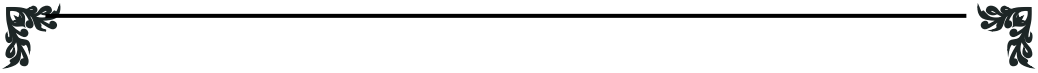

أسماء الإشارة، ودورها الإحاليّ
في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

البنية الإحالية لأسماء الإشارة:

شهدت آيات مشاهد القيامة في القرآن الكريم عددا لا بأس به من أسماء الإشارة، وهي برغم قلَّتِها إلا أنها لا تخطؤها النظرة العجلى، وقد وردت بجميع أقسامها المفردة والمثناة والمجموعة والمذكرة والمؤنثة القريبة والمتوسطة والبعيدة، وإن لم تبلغ في عددها كثرة الضمائر أو الأسماء الموصولة التي حفلت بها الآيات بصورة مكثفة واسعة، ولعل من أسباب ذلك خصوصية اسم الإشارة الذي يمتاز بخاصية (الإحالة الموسعة) التي تحيل إلى جملة أو فقرة أو نص كامل، فتربط سابقه بلاحقه في تواشج وتعاضد مع نظيراتها من أدوات الإحالة لتسبك النص في حلة جلية لا خلل فيها ولا عيب، ولا شك أن النص القرآني هو أكمل النصوص معنى ومبنى، سبكا وحبكا، فلاريب إذن في أن هذا التواجد المكثف للإحالات في سياقه له دلالته ودوره ووظيفته في تحقيق الربط النصي على مستوى البنية الكلية والجزئية لنص القرآن الكريم.

والمتبصِّر آيات مشاهد القيامة يرى أنَّها تفصِّل القول في مصائر أهل الجحيم وأهل النعيم، في موازنة بين أهل الإيمان وأهل الكفر جزاء وحسابا، مرتهنة بأدلةٌ من الواقع المعهود والمأنوس التي تبدو في ظاهرها أحداثا صغيرة، لكنها ضخمة تناقش أضخم عقيدة دينية، عقيدة البعث، وترسخ العقيدة لدى المؤمنين بها بأسلوب يخلو من الفلسفة المجردة والتعقيد، لذا تختلف هذه المشاهد طولا وقصرا بحسب الموقف والسياق الوارد فيه، على نحو من التناسق الجلي الذي يظهر في جزئيات المشهد الذي يعضده نوع من التماثل أو التداعي أو التقابل بين مصائر أهل الحشر، في تآلف للألفاظ وتماسك يشترك فيه حتى جرس الأصوات التي تنتجها الألفاظ المركبة في النص وفق نظام خاص[1]، تكثر فيه الإحالات لتشكل نوعا من التكثيف الدلالي والاختصار المقامي وتشترك فيه كل عناصرها لتحقيق مفاهيم النص الواردة فيه، و"تختلف الإحالة بالإشارة فيه عن غيرها من الإحالات لأنها تساهم في استحضار الصور ماثلة للناظر، لتمكنه من متابعة المشهد، ومعايشة المعنى، وكأنه يتمثل و يعاين هول ذلك اليوم العظيم أمامه"[2].

وبالمجمل فقد وردت أسماء الإشارة في سائر مشاهد القيامة (١٥٤) مرة، منها

(١) ينظر: حمادة حامد: (التماسك النصي بالإحالة دراسة تطبيقية في سورة الواقعة)، ص:٣٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق نفسه.

- (٩٧) مرة للمفرد المذكر (٤٧) مرة للقريب، و(٥٠) مرة للبعيد منها(٣) مرات مقرونة بميم الجمع.
- و(١٤) مرة للمفردة المؤنثة (٨) مرات للقريبة و(٦) مرات للبعيدة منها (مرة) واحدة مقرونة بميم الجمع.
- و(مرة) واحدة للمثنى المذكر القريب.
- و(٣٧) مرة للجمع منه(١١) مرة للقريب و(٢٦) مرة للبعيد.
- كما ورد اسم الإشارة المكاني (٥) مرات منه (مرة) واحدة لإشارة المكان القريب.

فيما سُبِق اسم الإشارة بالفعل الماضي (٦) مرات، وبالاسم مالا يعدو (١٥) مرة كانت أغلبها أسماء استفهام وأسماء موصولة وظروف وأسماء موصوفة، كما سبقت أسماء الإشارة بالحروف (٦١) مرة، أغلبها لحروف المعاني التي طبعت السياق النصي للآيات بدلالات خاصة، تليها أدوات النصب والتوكيد التي ربطت المشهد النصي والسياق اللغوي للآيات، وعضدته في تماسكه وتلاحمه، وتواشجه النحوي والدلالي في آن واحد.

كما جاءت أسماء الإشارة في رؤوس الآيات غير مسبوقة بشيء من الأسماء أو الأفعال أو الحروف (٧٢) مرة، ومسبوقة بالأسماء أو الأفعال أو الحروف (٨٢)مرة، ووقعت في محل الرفع (١٠١) واحدة، وفي محل النصب (١٤) مرة، وفي محل الجر (٣٩) مرة. وهذا دليل على سيطرة الرفع وخصوصا الرفع في محل (الابتداء) الذي جاء حوالي (٩٦) مرة، وفي محل رفع اسم ليس (مرتين) وفي محل رفع اسم كان (مرة) واحدة، وفي محل رفع الخبر (مرة) واحدة، وفي محل رفع فاعل لفعل ماض (مرة) واحدة، كما فاقت مسبوقية أسماء الإشارة بالحروف مسبوقيتها بالأسماء والأفعال، ولعل ذلك لمناسبة خصوصية اسم الإشارة لجو النص العام في حكاية تلك المشاهد التي تتسم بسرعة الإيقاع والحركة، ولا ريب أن مثل هذه المعاني المتشابكة حري بأن يعقب بجملة مختزلة أو أكثر تؤكد تلك المعاني أو تحثُّ عليها، أو توبخ المخالفين لها، واسم الإشارة هو أقدر العناصر الإحالية في تجسيد الصور الحية لحركة المشاهد الرهيبة باختزال يستحضر فيه الصور ماثلة للناظر، لتمكينه من متابعة المشهد، في لفظة واحدة تشير إلى سياقات نصية ذات تفصيلات طويلة في ربط دلالي محكم بعيدا عن المعاظلة والتأبيد.

وقد كان أكثر أسماء الإشارة ورودا في المرتبة الأولى هو: اسم الإشارة المفرد المذكر البعيد: [ذلك] الذي ورد (٥٠) مرة، منها(٣) مرات مقرونة بميم الجمع، وقد جاء في محل الرفع (٢٦) مرة، وفي محل الجر(٢٣) مرة، و(مرة) واحدة في محل النصب، يليه على التوالي في المرتبة الثانية: اسم الإشارة المفرد المذكر القريب: [هذا] الذي ورد (٤٧) مرة، منها(٣١) مرة في محل الرفع، و(١١) مرة في محل الجر، و(٥) مرات في محل النصب، وقد جاء في المرتبة الثالثة: اسم الإشارة الجمعي البعيد: [أولئك] حيث ورد (٢٦) مرة، كلها في محل الرفع، تلاه في المرتبة الرابعة: اسم الإشارة الجمعي القريب: [هؤلاء] حيث ورد (١١) مرة، منها(٧) مرات في محل الرفع، و(٣) مرات في محل النصب، و(مرة) واحدة في محل الجر، وفي المرتبة الخامسة: جاء اسم الإشارة المفرد المؤنث القريب: [هذه] حيث ورد(٨) مرات، منها (٣) مرات في محل الرفع، و(٤) مرات في محل الجر، و(مرة) واحدة في محل النصب، ثم وليه في المرتبة الخامسة: اسم الإشارة المفرد المؤنث البعيد: [تلك] الذي ورد (٦) مرات، منها (مرة) واحدة مقرونة بميم الجمع، وقد جاءت كلها في محل الرفع، هذا وقد جاء اسم الإشارة المكاني البعيد: [هنالك] في المرتبة السادسة: حيث ورد (٣) مرات، كلها في محل نصب على الظرفية المكانية، وفي المرتبة الأخيرة: جاء كل من اسم الإشارة للمثنى المذكر القريب: [هذان] (مرة واحدة) في محل رفع، واسم الإشارة المكاني القريب: [ههنا] (مرة واحدة) أيضا في محل نصب، واسم الإشارة المكاني البعيد: [ثَمَّ] (مرة واحدة) أيضا في محل نصب.

وقد جاءت معظم أسماء الإشارة في السور المكية القصيرة حيث وردت (١٣٣) مرة، بينما جاءت في السور المدنية الطويلة (٢١) مرة فقط، ولعل ذلك يعود إلى كثرة مشاهد القيامة في السور المكية التي قد تحتوي السورة الواحدة فيها على أكثر من مشهد يطول أو يقصر، تبعا للغرض الديني في السياق، بخلاف السور المدنية التي تقل فيها مشاهد القيامة "لأن غالبها تأصيل لأصول التشريع وتعالج مشكلة كثيرا ما تحدث للناس، فلا تترك فيها ثغرة أو تهمل جانبا"[(١)]، لذا قلت فيها أسماء الإشارة نظرا لقصر المشهد أو عدمه.

أسماء الإشارة من حيث العلاقة الإحالية بالنص:

تنوعت الإحالات الإشارية في آيات مشاهد القيامة وتغايرت من داخلية وخارجية، سابقة ولاحقة، بحسب موضوعات هذه المشاهد وتوزيعها في سور القرآن الكريم، تقاربت عناصرها أحيانا،

(١) المطعني: (خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)، مكتبة وهبة، ص:٢٤٢/١.

وتوسطت في بعضها، وجاءت شاسعة البعد في أحايين أخرى، وإن كانت بعيدة إلا أنها لم تشذ عن نظام تسلسلي، وردت فيه كل عناصر الإحالة متلاحقة يحيل بعضها على الآخر من بداية النص، وحتى نهايته.

وبالمجمل فقد انقسمت الإحالات الإشارية في مشاهد القيامة إلى: ما يحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة، وما يحقق التماسك على مستوى أكثر من آية، أي؛ ما يحيل إلى مفرد وما يحيل إلى جملة أو أكثر، وما يحقق التماسك بين آيتين وما يحقق التماسك بين أكثر من آيتين، إذ توزعت العناصر الإحالية الإشارية حسب أهمية العنصر المحال إليه، أو حسب مدى التركيز عليه، ومدار الكلام المتجه إليه، وفق نظام خاص يحيل في أحايين كثيرة إلى مقاطع طويلة في اختزال دلالي عميق، ينحصرُ فيه كلُّ الضوءِ؛ ليحدث ذلك أثره في النفس، ويخرج البيانُ من مجردِ التقريرِ والإخبارِ إلى التحريك والإيحاء.

(أ) التماسك على مستوى الآية الواحدة:

ومن الأمثلة الجليَّةِ في هذا قول الله – تعالى–: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[سورة النحل: ٣٠]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ وَقِيلَ لِـ(لَّذِينَ) اتَّقَـ(وْ)ا مَا(ذَا) أَنزَلَ رَبُّـ(كُمْ) قَالُـ(و)ا خَيْرًا لِـ(لَّذِينَ) أَحْسَنُـ(و)ا فِي (هَٰذِهِ) الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (هم)﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية وبعدية، داخلية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٩) مرات، جاءت الضمائر فيها (٥) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، كلها بصيغة الجمع، (٤) مرات منها بصيغة الغائب، و(مرة) واحدة بصيغة المخاطب، كما ورد الاسم الموصول الخاص (مرتين)، والعام (مرة) واحدة، فيما جاءت الإشارة كذلك (مرة) واحدة باسم الإشارة المفرد المؤنث القريب.

وقد أحيل باسم الإشارة (هذا) إحالة نصية قريبة المدى بعدية لمذكور **مفرد** لاحق، هو: (الدار الدنيا) أي: "هذه المثوبة الحسنة مكافأة للذِينَ أَحْسَنُواْ أعمالَهم أو فعلوا الإحسانَ في هذه الدار الدنيا ولمثوبتهم في الدار الاخرة خَيْر مما أوتوا في الدنيا من المثوبة أو خيرٌ على الإطلاق"[(١)] و قد جاء

(١) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٥/١١٠.

اسم الإشارة لتمييز المشار إليه وإحضاره في الأذهان، وهنا أظهر في مقام الإضمار، فالذين أحسنوا هم المتقون، وإنما جاء ذلك "توصلا بالإتيان بالموصول إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر، أي: جزاؤهم حسنة لأنهم أحسنوا، وتقديم المسند في(للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) للاهتمام بالمحسن إليهم وأنهم أحرياء بالإحسان"(١).

ثم إن الجر إن كان موضوعا لتأدية معنى وظيفي عام هو:(التعليق) فإن كل حرف من حروفه ينفرد في تأدية هذا المعنى بخصوصية لا يشركه فيها الآخر، وحرف الجر (في) يفيد التعليق على معنى الظرفية(٢)، ولهذا أوثر في موضعه في سياق الآية الكريمة، فجاز أن يتعلق قوله: {فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا} أي: الجار والمجرور بـ"الفعل (أحسنوا) على أنه ظرف لغوي، أي: فعلوا الحسنات في الدنيا فيكون المقصود التنبيه على المبادرة بالحسنات في الحياة الدنيا قبل الفوات والتنبيه على عدم التقصير في ذلك، ويجوز أن يكون ظرفا مستقرا حالا من (حسنة) قدم على صاحب الحال للتنبيه من أول الكلام على أنها جزاؤهم في الدنيا، لقلة خطور ذلك في بالهم".(٣)

وفي توسيط قوله – تعالى-: {فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا} بين {للذين أحسنوا} وبين {حسنة} نظم مما اختص به القرآن في مواقع الكلم لإكثار المعاني التي يسمح بها النظم(٤)، وفي هذا نوع من إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة مما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر والأسلوب يبرز(٥)، وهذا من طرق إعجاز القرآن الكريم في التركيز اللافت على دوره التأثيري لدى المتلقي .

ومن ذلك أيضا قوله – تعالى-:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾[سورة البروج:١١]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿إِنَّ (الَّذِينَ) آمَنُ(وا) وَعَمِلُ(وا) الصَّالِحَاتِ(هي) لَ(هُمْ) جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِ(هَا) الْأَنْهَارُ(ذَٰلِكَ) الْفَوْزُ الْكَبِيرُ(هو)﴾

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٤٢/١٤.

(٢) تمام حسان:(اللغة العربية معناها ومبناها)،ص:١٢٥.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ٣٥٣/٢٣-٣٥٤.

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) عبد السلام المسدي:(الأسلوبية والأسلوب)،الدار العربية للكتاب، ليبيا،(ط:٢)،١٩٨٢م، ص:٨٣.

وقد تنوعت الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٨) مرات، جاءت الضمائر فيها (٦) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (٣) مرات منها بصيغة الجمع و(٣) مرات بصيغة المفرد، كلها بصيغة الغائب، كما ورد الاسم الموصول الخاص (مرة) واحدة في صدر الآية، وجاءت الإشارة كذلك (مرة) واحدة باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد.

وقد أحيل باسم الإشارة (ذلك) إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق يحوي أكثر من جملة، هو: (المذكور من اختصاصهم بالجنات والأنهار وحيازتهم له) أي: ما تقدم ذكره مما أعده الله لهم، وقيل: بل لـ(الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر)، و "اسمَ الإشارةِ متعرضٌ لذاتِ المشارِ إليهِ منْ حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير"[(١)]، والفوز الكبير هو الذي لا يعدله فوز ولا يقاربه ولا يدانيه، وفي اسم الإشارة المفرد المذكر(ذلك) معنى البعد، وذلك "لـلإيذان بعلو درجتهم وبُعدِ منزلتِهم في الفضل والشرف، ومحله الرفعُ على الابتداءِ خبرُه ما بعدُه أي: ذلكَ المذكورُ العظيمُ الشأن" [(٢)].

ب/ التماسك على مستوى أكثر من آية واحدة:

وكما تحقق الإحالة بالإشارة التماسك على مستوى الآية الواحدة، فإنها تساهم أيضا في تحقيق التماسك والترابط بين أكثر من آية، ومن ذلك قول الله – تعالى-: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ(٧)﴾[سورة العاديات:٦-٧]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّـ(هِ) لَكَنُودٌ (هو)- وَإِنَّـ(هُ) عَلَىٰ (ذَٰلِكَ) لَشَهِيدٌ (هو)﴾

وقد تنوعت الإحالات في هاتين الآيتين بين الضمائر وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٥) مرات، جاءت الضمائر فيها (٤) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، بصيغة المفرد الغائب، وجاءت الإشارة (مرة) واحدة باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد.

---

(١) أبو السعود:(تفسير أبي السعود)، ص:٩/ ١٣٨، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/٣٠١.

(٢) أبو السعود:(تفسير أبي السعود)، ص:٩/ ١٣٨، والقِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي "المتوفى: ١٣٠٧هـ":(فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، مراجعة: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص:١٥/ ١٦٨.

وقد أحيل باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد (ذلك) إحالة نصية سابقة إلى (الكَنُود) المأخوذ من صفة (كنود) في الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)﴾، أي: وإن الإنسان على ذلك (على كنوده) لشهيد يشهد على نفسه، ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره، من باب الإلزام بالحجة والتأكيد على فداحة الذنب والاعتراف به، في موقف الزجر والوعيد، حيث لا سبيل بعد مثل هذه الشهادة الدامغة، إلى تنصل من الذنب أو ادعاء البراءة منه، والجار والمجرور (على ذلك) في موضع الحال وذلك زيادة في التعجيب من كنود الإنسان، وقُدم (على ذلك) على (شهيد) للاهتمام والتعجيب ومراعاة الفاصلة[١].

وفي عود الضمير في ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أقوال منها: أنه عائد على الإنسان في الآية السابقة عليه ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي: يشهد على كنوده، ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره، وقيل بل هو عائد على الله – تعالى–، في ذات الآية ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي: وربه شاهد عليه، وهو على سبيل الوعيد، وعُلِلَ ذلك بأن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورين، ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي، ورُد على ذلك بأنه لا يترجح عود الضمير بالقرب إلا إذا تساويا من حيث المعنى، والإنسان هنا هو المحدث عنه والمسند إليه الكنود، أضف إلى ذلك تناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى أولى من جعلهما لمختلفين، ولا سيما إذا توسط الضمير بين ضميرين عائدين على واحد، وذلك لأن الضمير في الآية التالية: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(٨)﴾ عائد على الإنسان أي: وإن الإنسان لحب الخير: أي المال، لشديد: أي قوي في حبه[٢]، وهذا الرأي الأخير هو ما اعتمده البحث.

---

(١) ويجوز أن يكون «شهيد» بمعنى (عليم) ومتعلق «شهيد» محذوف دل عليه المقام، أي: عليم بأن الله ربه، بدلائل الربوبية، ويكون قوله: (على ذلك) بمعنى: (مع ذلك)، أي: مع ذلك الكنود هو عليم بأنه ربه مستحق للشكر والطاعة لا للكنود، فحرف الجر (على) بمعنى (مع) كقوله تعالى: (وآتى المال على حبه) [البقرة: ١٧٧] و (ويطعمون الطعام على حبه)[الإنسان: ٨]. ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٧٨٨، وابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي "المتوفى: ٥٤٢هـ": (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، (ط:١)، ١٤٢٢ هـ، ص:٥/٥١٤-٥١٥، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/٥٢٩-٥٣٠، و الألوسي:(روح المعاني)، ص:١٥/٤٤٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)،ص:٣٠/٥٠٤-٥٠٥، وبنت الشاطئ: (التفسير البياني للقرآن الكريم)، ص:١/١١٢.

(٢) ينظر: ابن عطية: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ص:٥/٥١٤-٥١٥، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/٥٢٩-٥٣٠، والألوسي:(روح المعاني)، ص:١٥/٤٤٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)،ص:٣٠/٥٠٥.

ومن ذلك أيضا قوله – تعالى–: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(٩)﴾[سورة المدثر:٨–٩]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿فَإِذَا نُقِرَ(هو) فِي النَّاقُورِ – فَ(ذَٰلِكَ) يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (هو) ﴾

وقد جاءت الإحالات في هاتين الآيتين بين الضمائر وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٣) مرات، جاءت الضمائر فيها (مرتين) مستترة، منفصلة بصيغة المفرد الغائب، وجاءت الإشارة (مرة) واحدة باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد.

وقد أحيل باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد (ذلك) إحالة نصية سابقة إلى (وقت النقر) المفهوم من (فَإِذا نُقِرَ) في الآية السابقة، وهي قوله –تعالى–: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨)﴾، أي: فذلك الوقت يوم عسير[١]، وقد جاءت الإشارة بـ(ذلك) المفرد المذكر البعيد مع قرب العهد لفظا بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة[٢]، فناب (ذلك) عن (هذا) لدلالة ذلك المعنى.

والفاء في (فذلك) للجزاء، و(ذلك) محله الرفع على الابتداء، و(يومئذ) بدل من اسم الإشارة وقع لبيانه على نحو ما يبين بالاسم المعروف بـ(أل)، كقوله –تعالى–: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:٢]، وهو بدل[٣] مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن، وهو (إذا)

(١) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٦٤٧، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/٣٢٧– ٣٢٨، وأبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/٥٥، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/ ١٣٤– ١٣٥، وابن عاشور:(التحرير والتنوير)،ص:٢٩/٣٠١.

(٢) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/٥٥، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/ ١٣٤.

(٣) و"يجوز أن يكون [يَوْمَئِذٍ] ظرفا مستقرا لـ[يَوْمٌ عَسِيرٌ] أي: صفة له، فلما تقدم عليه صار حالا منه ويكون المعنى فـ(ذلك وقت النقر وقوع يوم عسير) لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور، أو أن يكون [يَوْمَئِذٍ] معمول ما دل عليه الجزاء أيضا، كأنه قيل: (فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين يومئذ)، و[عَلَى الْكَافِرِينَ] متعلق بـ[عَسِيرٌ] وقيل: بل بمحذوف وهو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وأُجيز تعلقه بـ[يَسِيرٍ] في قوله تعالى: [غَيْرُيَسِيرٍ] وعقب عليه بأنه لا يجوز لأن فيه تقديم معمول المضاف إليه على المضاف وهو ممنوع على الصحيح وقد أجازه بعضهم فيقول: (أنا بزيد غير راض)، وزعم بعضهم أن (إذا) متعلقة بـ(أنذر) والفاء زائدة، وأراد أنها مفعول به لأنذر كأنه قيل: (قم فأنذرهم وقت النقر في الناقور)، وقوله تعالى: [فَذَلِكَ.....] جملة مستأنفة في موضع التعليل، ورأى الأخفش أن «إذا» مبتدأ والخبر (فَذَلِكَ) والفاء زائدة وجعل [يَوْمَئِذٍ] ظرفا لذلك، وقيل بل إن (ذلك) مبتدأ وهو إشارة إلى المصدر أي: (فذلك النقر وهو العامل في يَوْمَئِذٍ) و[يَوْمٌ عَسِيرٌ] خبر المبتدأ والمضاف مقدر أي: (فذلك النقر في ذلك اليوم نقر يوم) وفيه عدول عن الظاهر مع أن عسر اليوم غير مقصود بالإفادة عليه، وظاهر السياق قصده بالإفادة، وجعل العلامة الطيبي هذه الآية من قبيل ما اتحد فيه الشرط

وتنوينها عوض عن الجملة أي: (يوم إذ نفخ في الصور)، والخبر [يَوْمٌ عَسِيرٌ] فكأنه قيل: فـ(يوم النقر يوم عسير)[1].

وفي هذا نوع من الإيجاز والاختصار الذي قامت الإشارة فيه بدور وظيفي هام في تحقيق التماسك والربط على مستوى الآية الواحدة وعلى مستوى أكثر من آية، ليكون الربط أقوى وأحكم من خلال إحالات نصية في غالبها تعود إلى مرجوع سابق، وفي هذا ما يسهل على متلقي النص عملية إيجاد المرجعيات، لأن علاقات النص تقوم على روابط تركيبية أبعد مدى من روابط الجملة بنوعيها، ومع تحقق الربط النحوي عن طريق الإحالة الإشارية تحقق التماسك الدلالي للمعاني في آيات مشاهد القيامة.

- **دلالة التناوب بين أسماء الإشارة:**

وكثيرا ما يحصل التناوب بين أسماء الإشارة لدلالات بعينها، فينوب القريب عن البعيد والبعيد عن القريب والمفرد عن الجمع والجمع عن المفرد، في صورة موجزة تسبك فيها العبارات لفظيا أو معنويا دون إهدار لترابط المعلومات الكامنة تحتها، مع صراحة معظم العناصر المحال إليها بحيث لا تحتاج إلى تأويل، ويكشفها القارئ من خلال السياق النصي للآيات.

ومن ذلك قول الله -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[سورة الزخرف: ٧٢]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿وَ(تِلْكَ) الْجَنَّةُ (الَّتِي) أُورِثْـ(تُمُـ)ـو(هَا) بِـ(مَا) كُنـ(تُمْ) تَعْمَلُـ(و)نَـ(ـه)﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (٨) مرات، جاءت الضمائر فيها (٥) مرات بارزة ومستترة، كلها متصلة، (٣) مرات منها بصيغة الجمع و(مرتين) منها بصيغة

والجزاء، نحو: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» إذ جعل الإشارة إلى (وقت النقر) وقال: إن في ذلك مع ضم التكرير دلالة على التنبيه على الخطب الجليل والأمر العظيم". ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٦٤٦- ٦٤٧، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/٣٢٧- ٣٢٨، وأبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/٥٦، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/ ١٣٤- ١٣٥، وابن عاشور:(التحرير والتنوير)،ص:٢٩/ ٣٠١.

(١) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٦٤٦-٦٤٧، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/٣٢٧- ٣٢٨، وأبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/٥٦، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/ ١٣٤- ١٣٥، وابن عاشور:(التحرير والتنوير)،ص:٢٩/ ٣٠١.

المفرد، (٣) مرات بصيغة المخاطب، و(مرتين) بصيغة الغائب، كما جاء الاسم الموصول(مرتين)، (مرة) بصيغة الموصول الخاص، و(مرة) بصيغة الموصول العام، كما ورد اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المفردة المؤنثة البعيدة.

وقد أحيل باسم الإشارة المفرد المؤنث البعيد (تلك) إحالة نصية سابقة إلى مذكور نصي بعيد وهو: (الجنة) في الآية السابقة عليها، وهي قوله – تعالى-: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)﴾، أي: "يقال لهم يوم القيامة تلك التي ترونها هي الجنة التي سمعتم بها ووعِدْتم بدخولها، أي: صارت إليكم كما يصير الميراث إلى الوارث"[(١)] .

و(تلك): مبتدأ، و(الجنة): خبر، و(التي أورثتموها): صفة للجنة، أو (الجنة): صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة، و(التي أورثتموها): خبر المبتدأ، أو (التي أورثتموها): صفة للجنة، و(بما كنتم تعملون): الخبر، والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبار، وفي الوجه الأول تتعلق بـ(أورثتموها)، وفي سياق الآية عدول عن الغيبة إلى الخطاب للتشريف[(٢)].

حيث كان التعبير بصيغة الغائب في الآية السابقة عليها في قوله – تعالى-: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾،[سورة الزخرف:٧١]، ثم عدل بعد ذلك إلى الخطاب في آخر الآية (وأنتم فيها خالدون) وفي قوله –تعالى-: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) ﴾،[سورة الزخرف:٧٢].

وقد أشير إلى الجنة باسم إشارة البعيد (تلك) تعظيما لشأنها، وإلا فإنها حاضرة نصب أعينهم، والمخاطب كل واحد من أهل الجنة، فلذلك أفرد الكاف، ولم يقل و(تلكم) الذي هو مقتضى أورثتموها إيذانا بأن كل واحد مقصود بذاته[(٣)]، فناب ذو البعد عن ذي القرب، وناب المفرد عن الجمع لمقتضى تلك الدلالة يقول الرضي: "وضع اسم الإشارة للحضور والقرب؛ لأنه للمشار إليه حسا ثم يصح أن يشار به إلى الغائب فيصح الإتيان بلفظ البعد؛ لأن المحكي عنه غائب، ويقل أن

(١) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٢٦٣، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٣٨٨، وأبو الطيب القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٣٧٤، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٥/ ٢٥٦.

(٢) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٢٦٣، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٣٨٨، وأبو الطيب القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٣٧٤، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٥/ ٢٥٦.

(٣) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٢٦٣، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٣٨٨، وأبو الطيب القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٣٧٤، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٥/ ٢٥٦.

يذكر بلفظ الحاضر القريب نحو: (جاءني رجل فقلت لذلك الرجل، وقلت لهذا الرجل)، وكذا يجوز لك في الكلام المسموع عن قريب أن تشير إليه بلفظ الغيبة والبعد كما تقول: (والله وذلك قسم عظيم) لأن اللفظ زال سماعه فصار كالغائب"[1]، فعد النيابة دالة على غياب المحكي عنه.

والجنة هنا غائبة لما ذكرت في مقام الجزاء للمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، و"الباء فيه للسببية وهي سببية بجعل الله ووعده، ودل قوله: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، على أن عملهم الذي استحقوا به الجنة أمر كائن متقرر، وأن عملهم ذلك متكرر متجدد، أي غير منقطع إلى وفاتهم"[2]، كان الجزاء كالشيء العزيز المنال العظيم الشأن؛ لذا جاء اسم الإشارة البعيد مصورا تلك الدلالة بأوجز لفظ حمل ذلك المعنى، مؤديا فيه دوره الوظيفي في سبك النص وحبكه من خلال الربط بين آيتين سابقتين عليه دونما لبس أو غموض.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[سورة التغابن:٩]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ(هو) (كُمْ) لِيَوْمِ الْجَمْعِ (ذَٰلِكَ) يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن (هو) بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ (هو) صَالِحًا(هو) يُكَفِّرْ (هو) عَنْ(هُ) سَيِّئَاتِ(هِ) وَيُدْخِلْ(هو)(هُ) جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِ(هَا) الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ(هم) فِي(هَا) أَبَدًا (ذَٰلِكَ) الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(هو)﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذا المقطع بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية ، داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (١٦) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٤) مرة بارزة ومستترة، (٦) منها متصلة و(٨) منفصلة، و(مرتين) منها بصيغة الجمع و(١٢) مرة منها بصيغة المفرد، (مرة) واحدة بصيغة المخاطب، و(١٣) مرة بصيغة الغائب، كما وردت أسماء الإشارة (مرتين) بصيغة المفرد المذكر البعيد.

(١) الرضي: (شرح الكافية)، ص:٣/٢٢٨-٢٢٩.

(٢) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٥/ ٢٥٦.

وقد جاءت الإحالة باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد (ذلك) مرتين؛ الأولى: إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق، وهو: (يوم الجمع) في ذات الآية، أي: أن يوم القيامة هو (يوم التغابن)[١]، والثانية: إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق يحوي أكثر من جملة هو:(ما ذكر من تكفيرِ السيئاتِ وإدخالِ الجناتِ)، وهو "الفوز العظيم الذِي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاةِ من أعظمِ الهلكاتِ والظفرِ بأجلِّ الطلباتِ"[٢].

وقد أفاد تعريف جزأي جملة (ذلك يوم التغابن) قصر المسند على المسند إليه أي: "قصر جنس يوم التغابن على يوم الجمعة المشار إليه باسم الإشارة الأول، وهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف قصرا ادعائيا، أي: ذلك يوم الغبن لا أيام أسواقكم ولا غيرها، فإن عدم أهمية غبن الناس في الدنيا جعل غبن الدنيا كالعدم وجعل يوم القيامة منحصرا فيه جنس الغبن"[٣].

والإتيان باسم الإشارة في (ذلك يوم التغابن) في مقام الضمير لقصد الاهتمام بهذا اليوم بتمييزه أكمل تمييز مع ما يفيده اسم إشارة البعيد من علو المرتبة، ورفعة شأن هذا اليوم، وعظمه، فهو يوم غَبْن يغبن فيه بعض الناسِ بعضا بنزولِ السعداءِ منازلَ الأشقياءِ لو كانوا سعداءَ وبالعكسِ[٤]، فيكون في الآية "مجاز وتشبيه وتمثيل، فالمجاز في مادة الغبن، والتمثيل في صيغة التغابن، وهو تشبيه مركب

(١) التغابن: "مصدر غابنه من باب المفاعلة الدالة على حصول الفعل من جانبين أو أكثر، وحقيقة صيغة المفاعلة أن تدل على حصول الفعل الواحد من فاعلين فأكثر على وجه المشاركة في ذلك الفعل، والغبن: أن يعطى البائع ثمنا لمبيعه دون حق قيمته التي يعوض بها مثله. فالغبن يؤول إلى خسارة البائع في بيعه، فلذلك يطلق الغبن على مطلق الخسران مجازا مرسلا، وهو مستعمل مجازا في كثرة حصول الغبن تشبيها للكثرة بفعل من يحصل من متعدد، وليست (اللفظة) مستعملة في الآية على حقيقتها بل هي مستعملة في معنى الخسران على وجه المجاز المرسل، إذ الكلام تهديد للمشركين بسوء حالتهم في يوم الجمع، والمعنى: ذلك يوم غبنكم الكثير الشديد بقرينة قوله تعالى قبله: (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) [سورة التغابن: ٨]، والغابن لهم هو الله تعالى". ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص: ٤/ ٥٤٨، وابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي "المتوفى: ٥٤٢هـ": (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط:١)،١٤٢٢ هـ، ص:٥/ ٣١٩، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/ ١٩٠، وأبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي "المتوفى: ٧٥٦هـ": (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،(د.ت)، ص:١٠/ ٣٤٩، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٨/ ٢٧٥.

(٢) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٢٥٧/٨، والقِنَّوجي:(فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٥/ ١٦٨.

(٣) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٨/ ٢٧٧.

(٤) ينظر: أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٢٥٧/٨.

بمنزلة التشبيه البليغ إذ التقدير: (ذلك يوم مثل التغابن)، إضافة إلى ما تفيده صيغة التفاعل من معنى الكثرة وشدة الفعل، فتكون استعارة، أي: خسارة للكافرين إذ هم مناط الإنذار، و لام التعريف في قوله: التغابن للجنس"[1].

في حين أفاد اسم الإشارة المفرد المذكر (ذلك) الثاني في قوله: (ذلك الفوز العظيم) معنى البعد وذلك "للإيذان بعلو درجة المؤمنين وبُعدِ منزلتِهم في الفضل والشرف، ومحله الرفعُ على الابتداءِ خبرُه ما بعدُه أي: ذلكَ المذكورُ العظيمُ الشأن ظفر لا يساويه ظفر"[2].

وهنا يتضح الدور الدلالي لاسم الإشارة إلى جانب دوره الإحالي في ربط النص وتماسك أجزاءه، من حيث لا مزيد على الحاجة، ولا إخلال يفضي إلى الفاقة.

- **تعدد الإحالات:**

لاشك أن تعدد المحال إليه في الإحالة النصية، عائد إلى اختلاف النحاة في التفسير التركيبي والدلالي لعنصر الإحالة، نتيجة غموض العلاقة بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري، مما يشكل صعوبة كبيرة في تحليل النص وسبر أغواره، خاصة إذا كانت الإحالة تحتمل السياق المقامي، أو الدلالة النصية، أي:(خارجية أو داخلية)، فقد تعود الإشارة إلى محال مذكور في النص بقرينة سياقية، يحددها المقام النصي، وتعود في حين آخر إلى مذكور خارجي غير مذكور في النص بقرينة سياق الموقف وشواهده في تفاعل متبادل بين اللغة والموقف، ولكل وجه نوع من الدلالة تحتمل الجدة والصواب.

ومن ذلك قوله – تعالى–: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[سورة الحج: ١٩]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ (هَٰذَانِ) خَصْمَانِ اخْتَصَمُ(وا) فِي رَبّ(هِمْ) فَ(الَّذِينَ)كَفَرُ(وا) قُطِّعَتْ لَ(هُمْ) ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِ(هِمُ) الْحَمِيمُ(هو) ﴾

وقد تنوعت الإحالات في هذا المقطع بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية، داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (٨) مرات، جاءت الضمائر فيها (٦) مرات بارزة ومستترة، (٥) منها متصلة، و(مرة) واحدة منفصلة، و(٥) مرات منها بصيغة

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٨/ ٢٧٧.

(٢) أبو السعود:(تفسير أبي السعود)، ص:٩/ ١٣٨، والقِنَّوجي:(فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٥/ ١٦٩.

الجمع و(مرة) واحدة منها بصيغة المفرد، وقد جاءت كلها بصيغة الغائب، كما وردت اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المثنى المذكر القريب، وورد الاسم الموصول (مرة) واحد بصيغته الخاصة.

في حين جاءت الإحالة باسم الإشارة المثنى المذكر القريب (هذان) إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق وهو: ما يفيده قوله – تعالى-: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [سورة الحج: ١٨]، من انقسام المذكورين إلى فريقين: أهل توحيد وأهل شرك كما يقتضيه قوله: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [سورة الحج:١٨]، من كون أولئك فريقين: فريق يسجد لله تعالى، وفريق يسجد لغيره، فالإشارة إلى ما يستفاد من الكلام بتنزيله منزلة ما يشاهد بالعين، ومثلها كثير في الكلام(١).

وقيل بل الإشارة إلى "المؤمنين وأهل الكتاب وقع بينهم تخاصم، قالت اليهود: نحن أقدم دينا منكم فنزلت. وقيل بل للجنة والنار، قالت الجنة خلقني الله لرحمته، وقالت النار: خلقني لعقوبته وهو ضعيف، وقيل بل المراد هم الذين برزوا يوم بدر من المؤمنين حمزة وعلي وعبيدة، ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، وقال بمثل هذا جماعة من الصحابة والتابعين وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول" (٢).

وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره –أيضا– عن علي –رضي الله عنه– أنه قال فينا نزلت هذه الآية: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾[سورة الحج: ١٩] و «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»(٣)رواه البخاري.

فتكون على ذلك الإحالة سياقية (خارجية) لمذكور خارج النص، دلت عليه كتب التفاسير ونصوص التراث.

---

(١) ينظر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى "المتوفى: ١٥٠هـ": (تفسير مقاتل بن سليمان)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، (ط:١)، ١٤٢٣ هـ، ص:٣/ ١٢٠، والزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ١٥٠، وابن عطية:(المحرر الوجيز)، ص:٤/١١٤، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٤٩٥/٧، وأبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:١٠١/٦، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٢٧/٩– ١٢٨، والقنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٢٨/٩، وابن عاشور:(التحرير والتنوير)،ص: ٢٢٨/١٧.

(٢) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ١٥٠، وابن عطية:(المحرر الوجيز)، ص:٤/١١٤، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٤٩٥/٧، وأبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:١٠١/٦، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٢٧/٩– ١٢٨، والقنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٢٨/٩، وابن عاشور:(التحرير والتنوير)،ص: ٢٢٨/١٧.

(٣) البخاري: (صحيح البخاري)، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، الحديث رقم: (٣٩٦٧)، و(٣٩٦٥)، ص:٧٥/٥.

وهذه الآية مدنية فتكون (هذان) إشارة إلى فريقين حاضرين في أذهان المخاطبين فنزل حضور قصتهما العجيبة في الأذهان منزلة المشاهدة حتى أعيد عليها اسم الإشارة الموضوع للمشاهد، أو تكون الإشارة إلى ما يعم جميع المؤمنين وجميع مخالفيهم في الدين؛ فهما كالفريقين المتخاصمين في الدين، و"الاختصام على الوجه الأول أطلق على المبارزة مجازا مرسلا؛ لأن الاختصام في الدين هو سبب تلك المبارزة، وعلى الوجه الثاني يكون الاختصام حقيقي بين الفئتين المؤمنة والكافرة أو المشركة"(١).

والاختصام: "افتعال من الخصومة، وهي الجدل والاختلاف بالقول يقال: خاصمه واختصما، وهو من الأفعال المقتضية جانبين فلذلك لم يسمع منه فعل مجرد إلا إذا أريد منه معنى الغلب في الخصومة؛ لأنه بذلك يصير فاعله واحدا، والخصم في الأصل: مصدر؛ ولذلك يوحد ويذكر غالبا، ويجوز أن يثنى ويجمع ويؤنث، ولما كان كل خصم فريقا يجمع طائفة قال: «اختصموا» بصيغة الجمع كقوله – تعالى–: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [سورة الحجرات: ٩] فالجمع مراعاة للمعنى؛ لأن كل خصم [فريق] تحته أشخاص فلمراعاة تثنية اللفظ أتي باسم الإشارة الموضوع للمثنى ولمراعاة العدد أتي بضمير الجماعة في قوله – تعالى–: ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، ومعنى {في ربهم} أي: في دين ربهم، فلابد من حذف مضاف يفهم من سياق الآية، وعلى هذا فيكون {هذان خصمان} معترضا، والجملة من {اختصموا} حالية، وليست مؤكدة؛ لأنها أخص من مطلق الخصومة المفهومة من {خصمان}"(٢).

وبالرغم من تعدد الإحالات في هذه الآية بين داخلية وخارجية، وبين أكثر من عنصر إشاري، فإنها لم تخرج من عموم فريقين يختصمان أحدهما كافر والآخر مؤمن، إذ المعنى هو أن الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب، لذا لا تعارض بين كل تلك الإحالات؛ لأنها تعود في النهاية إلى دلالة واحدة، تتفق فيها كل العناصر الإشارية المحتملة، وهذا أدعى في تماسك النص وربطه وسبكه وحبكه.

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢٩/١٧.

(٢) ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص: ١١٤/٤، والسمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:٢٤٧/٨-٢٤٩، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢٨/١٧.

- **الاكتفاء بالإشارة:**

وقد لا تعود الإشارة إلى مذكور سابق في النص، وإنما تفهم من السياق الواردة فيه، ولاشك أن في الاكتفاء بمجرد الإشارة دلالة بعينها من التهويل للمشار إليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى، كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه، وقد جاء في آيات مشاهد القيامة ما يدل على ذلك، ومنه قوله -تعالى-:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[سورة الأحقاف: ٣٤]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ (الَّذِينَ) كَفَرُ(و)ا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ (هَٰذَا) بِالْحَقِّ قَالُ(و)ا بَلَىٰ وَرَبِّـ(نَا) قَالَ (هو) فَذُوقُـ(و)ا الْعَذَابَ بِـمَا كُنـ(تُمْ) تَكْفُرُ(و)نَ﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (٩) مرات، جاءت الضمائر فيها (٧) مرات بارزة ومستترة، (٦) مرات منها متصلة، و(مرة) واحدة منها منفصلة، (٦) مرات منها بصيغة الجمع و(مرة) واحدة منها بصيغة المفرد، (٣) مرات بصيغة المخاطب، و(٣) مرات بصيغة الغائب، و(مرة) واحدة بصيغة المتكلم، كما جاء الاسم الموصول (مرة) واحدة بصيغة الموصول الخاص، كما ورد اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المفرد المذكر القريب.

وقد أحيل باسم الإشارة المفرد المذكر القريب (هذا) إحالة نصية إلى غير مذكور يفهم من السياق وهو: (الإشارة إلى ما يشاهدونه حين العرض من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه) فضلا عن تذكيره وتأنيثه؛ إذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه، كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه، و ﴿الْحَقِّ﴾: الثابت، وقيل هو إشارة إلى: (العذاب) بقرينة التصريح به بعدها في ذات الآية وهي قوله -تعالى-: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، والمعنى: التهكم بهم، والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده، وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٣٨، وسورة سبأ: ٣٥، وسورة الصافات: ٥٩].(١)

(١) ينظر: مقاتل بن سليمان: (تفسير مقاتل)، ص:٤/ ٣١، والزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٣١٣، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٤٥١، و الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٣/ ١٩٠، وأبو الطيب القِنَّوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٣/ ٤١، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٦٦.

والاستفهام للتقرير والتنديم، وتقديم الظرف (يوم) على عامله للاهتمام بذكر ذلك اليوم لزيادة تقريره في الأذهان، وأظهر في مقام الإضمار فذكر (الذين كفروا) للإيماء بالموصول إلى علة بناء الخبر، أي: يقال لهم ذلك لأنهم كفروا.(١)

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: أقسموا على كلامهم بقسم (وربنا) قسما مستعملا في الندامة والتغليظ لأنفسهم وجعلوا المقسم به بعنوان: (الرب) مع إضافته لضمير المتكلم المحيل إليهم (الذين كفروا) تحننا وتخضعا، "فقد اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف، وأكدوا هذا الاعتراف بالقسم؛ لأن المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يمكن جحده ولا إنكاره ولأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقية ما هم فيه كما في الدُّنيا وأنَّ لهُم ذلكَ، وفرّع على إقرارهم قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: بسبب كفركم بهذا في الدنيا وإنكاركم له، والذوق مجاز في الإحساس، وفعل الأمر مستعمل في الإهانة، ودال على التوبيخ البالغ والتهكم العظيم"(٢).

ومن هنا يتضح ما للإشارة بلفظها المفرد الموجز من دلالة مكتنزة، وظفت لإظهار المعنى بأقوى صورة ممكنة، حتى لكأنه مشهد يمثل أمام الناظر؛ فيرى ويسمع تلك المواجهة الحاسمة التي لا مجال فيها لأخذ ولا رد، فهؤلاء المنكرون الآن يعترفون، والآن يذوقون! زخم متسارع أدته الإشارة في أقل لفظ دونما زيادة أو نقصان، أكسب النص قوة ومتانة مسبوكة من أوله لآخره لا يشذ فيه شاذ.

– الإحالة الموسعة:

إن المتبصر آيات القرآن الكريم وخاصة آيات مشاهد القيامة ليرى نوعا خاصا من الإحالات لا تعود فيه اللفظة الواحدة إلى عنصر إشاري واحد، بل قد تستعمل للدلالة على قطع طويلة من الخطاب ذي المساحة الواسعة الكبيرة من المعاني والدلالات، والجمل والعبارات، وتلك الإحالات الموسعة مكرورة كثيرا مع اسم الإشارة المفرد، وهو من أسماء الإشارة التي تتميز بالإحالة الموسعة، ولاريب فإن اسم الإشارة ينشط لاكتناز كل تلك المعاني ويؤديها بصورة موجزة دقيقة موفورة البيان.

ومن ذلك قو ل الله – تعالى–: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾ [سورة الإنسان:٢٢]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

(١) ينظر: وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٦٦.

(٢) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٨/ ٩٠، وأبو الطيب القِنَّوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٣/ ٤١، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٦٦.

﴿ إِنَّ (هَٰذَا) كَانَ(هو) لَـ(كُمْ) جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُ(كُم) مَّشْكُورًا (هو) ﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذه الآية بين الضمائر واسم الإشارة، في إحالات قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (٥) مرات، جاءت الضمائر فيها (٤) مرات، بارزة ومستترة، (مرتين) منها متصلة، بصيغة المخاطب الجمعي، و(مرتين) منها منفصلة، بصيغة المفرد الغائب، كما ورد اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المفرد المذكر القريب.

وقد أحيل باسم الإشارة المفرد المذكر القريب (هذا) إحالة نصية موسعة إلى مذكور سابق، وهو: (الذي ذكر من فنون الكرامات الجليلة الشأن، التي تكون حاضرة لديهم من ألوان النعيم الموصوف فيما مضى من الآيات)[١] وهي الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾ [سورة الإنسان:٥-٢٢]، أي: يقال لأهل الجنة إن هذا الذي تقدم من عطاء الله لكم، هو ما جوزيتم به على أعمالكم، وشكر به سعيكم.

وجملة ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ "مقول قول محذوف قرينته الخطاب؛ إذ ليس يصلح لهذا الخطاب مما تقدم من الكلام إلا أن يكون المخاطبون هم الأبرار الموصوف نعيمهم، والقول المحذوف يقدر فعلا في موضع الحال من ضمير الغائب في ﴿سَقَاهُمْ﴾ [سورة الإنسان: ٢١] ، نحو: يقال لهم، أو يقول لهم

(١) مقاتل سليمان: (تفسير مقاتل)، ص:٤/ ٥٣٣، والزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/٦٧٤، وأبو حيان: (البحر المحيط)،ص:١٠/٣٦٨-٣٦٩، القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٤/ ٤٧٧، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/ ٤٠١.

ربهم، أو يقدر اسما هو حال من ذلك الضمير نحو: مقولا لهم هذا اللفظ، أو قائلا لهم هذا اللفظ، وقيل يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم ما أعد لهم {إن هذا...}، وجوز أن يكون خطابا من الله – تعالى– في الدنيا، كأنه سبحانه بعد أن شرح ثواب أهل الجنة قال: إن هذا كان في علمي وحكمي جزاء لكم يا معشر عبادي وكان سعيكم مشكورا"[(١)].

وتصدير الجملة هنا بفعل (كان) لدلالة التحقيق والدوام على "كونه جزاء لا منًّا عليهم بما لم يستحقوا، فإن من تمام الإكرام عند الكرام أن يتبعوا كرامتهم بقول ينشط له المكرم، ويزيل عنه ما يعرض من خجل ونحوه، أي: هو جزاء حقا لا مبالغة في ذلك"[(٢)].

وعطف على ذلك قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ علاوة على إيناسهم بأن ما أغدق عليهم كان جزاء لهم على ما فعلوا بأن سعيهم الذي كان النعيم جزاء عليه، هو سعي مشكور، أي مشكور ساعيه، فأسند المشكور إلى السعي على طريقة المجاز العقلي، مثل قولهم: (سيل مفعم)، أو {مشكورا} مفعولا حقيقة عقلية لكن على طريقة الحذف والإيصال، أي: مشكورا عليه، وإقحام فعل (كان) كإقحام نظيره آنفا.[(٣)]

ولا شك هنا أن التماسك تحقق بين سبع عشرة آية كاملة (الآيات: من ٥إلى٢١) عن طريق اسم الإشارة المفرد المذكر القريب (هذا)، علاوة على دلالة الجمل الفعلية في سياق الآية الكريمة، كل ذلك ساهم في ترابط النص، وإحكام أجزائه وبلوغه أمد المراد دونما لبس أو غموض.

ومن ذلك أيضا قوله – تعالى–: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [سورة ق:٣٤]

ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي: ﴿ ادْخُلُ(و)(هَا) بِسَلَامٍ (ذَٰلِكَ) يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بين الضمائر واسم الإشارة، في إحالة قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (٣) مرات، جاءت الضمائر فيها (مرتين) متصلة وغائبة،

---

(١) مقاتل سليمان: (تفسير مقاتل)، ص:٤/ ٥٣٣، والزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/٦٧٤، وأبو حيان: (البحر المحيط)،ص:١٠/٣٦٨-٣٦٩، القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٤/ ٤٧٧، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/ ٤٠١.

(٢) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/٧٥، الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/١٨٢، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/٤٠١.

(٣) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/٧٥، الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/١٨٢، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/٤٠١.

(مرة) واحدة منها بصيغة الجمع و(مرة) واحدة منها بصيغة المفرد، كما ورد اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المفرد المذكر البعيد.

وقد أحيل باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد (ذلك) إحالة نصية موسعة إلى مذكور سابق، هو: اليوم المذكور في قوله – تعالى-: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [سورة ق:٣٠]، فإنه "بعد أن ذكر ما يلاقيه أهل جهنم وأهل الجنة أعقبه بقوله: ذلك يوم الخلود ترهيبا وترغيبا، وعلى هذا الوجه تكون هذه الجملة معترضة اعتراضا موجها إلى المتقين يوم القيامة، أو إلى السامعين في الدنيا"[(١)]، ويكون اسم الإشارة قد حقق التماسك بين أربع آيات، هي قوله –تعالى-: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ(٣٤) ﴾ [سورة ق:٣٠-٣٤].

وقيل بل إشارة إلى: (اليوم الذي هم فيه تكريما للمتقين)[(٢)] فتكون على ذلك الإحالة لمذكور لاحق تقدم العنصر الإحالي عليه، وهو ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ المذكور في ذات الآية، أي: أن الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الأمور {يَوْمُ الْخُلُودِ} والبقاء الذي لا انتهاء له أبدا، أو "الإشارة إلى وقت الدخول بتقدير مضاف أي: ذلك يوم ابتداء الخلود وتحققه، أو يوم تقدير الخلود، أو إشارة إلى وقت السلام بتقدير مضاف أيضا أي: ذلك يوم إعلام الخلود أي: الإعلام به"[(٣)].

وعلى كل الأوجه السابقة، فإن "إضافة يوم إلى الخلود باعتبار أن أول أيام الخلود هي أيام ذات مقادير غير معتادة، أوباعتبار استعمال يوم بمعنى مطلق الزمان"[(٤)].

في حين أفاد اسم الإشارة المفرد المذكر (ذلك) معنى البعد؛ وذلك لـلتعظيم والإيذان بعلو درجة المؤمنين وبُعدِ منزلتِهم في الفضل والشرف[(٥)]، ومحله الرفعُ على الابتداءِ وخبرُه ما بعدُه، وهو ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ العظيمُ الشأن.

---

(١) ابن عطية : (المحرر الوجيز)، ص:٥/ ١٦٦، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٢١.

(٢) السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:١٠/ ٣٣، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٢١.

(٣) الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٣/٣٤٠.

(٤) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٢١.

(٥) أبو السعود:(تفسير أبي السعود)، ص:٩/ ١٣٨، والقِنَّوجي:(فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٥/ ١٦٩، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٢١.

وعلى الرغم من تعدد الأوجه في المشار إليه، فإنه يعود في كل الأوجه إلى معنى واحد هو يوم الحساب والجزاء لأهل جهنم وأهل الجنة، وهو يوم الخلود لكلا الفريقين ذكر ترهيبا وترغيبا، فجاء قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ معادلا لقوله قبل في الكفار: ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٠]، ولاشك أن اليوم واحد باختلاف حال الفريقين فيه، لذا يترجح كون الإحالة باسم الإشارة (ذلك) موسعة؛ إذ لا تعارض بين كل الأوجه المحتملة والتي تعود لنتيجة واحدة هي الخلود الدائم الذي لا انتهاء له أبدا.

- دلالة الإحالة على الفصل والانتقال:

وقد تأتي الإشارة لدلالة الفصل والانتقال من كلام إلى كلام، والخروج من غرض إلى غرض، وهذا الأسلوب من الانتقال هو المسمى في عرف علماء الأدب بالاقتضاب، ومن ذلك قول الله – تعالى–: ﴿هٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [سورة ص: ٥٥]

ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي: ﴿ (هٰذَا) إِنَّ لِلطَّاغِينَ (هم) لَشَرَّ مَآبٍ﴾

ويلاحظ في هذه الآية أن الإحالة جاءت موجزة مختصرة بين الضمير واسم الإشارة، في إحالة قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (مرتين)؛ (مرة) لضمير الغائب الجمعي المنفصل الكامن في اسم الفاعل، و(مرة) لاسم الإشارة بصيغة المفرد المذكر القريب.

وقد أحيل باسم الإشارة المفرد المذكر القريب (هذا) إحالة نصية سابقة لما ذكر قبله أي: (الأمر هذا، أو هذا كما ذكر، أو هذا ذكر فيوقف على هذا)[(١)] كأنه قال: "هذا حق، وأنا أعرفكم أن للظالمين كذا"[(٢)]، يقول الزجاج[(٣)]: (هذا) خبر ابتداء محذوف، أي: الأمر هذا، فيوقف على هذا،

(١) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ١٠١، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي "المتوفى: ٦٧١هـ" : (الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٩٦٧م،ص:١٦/٢٢٩، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ١٦٧.

(٢) القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي)، ص:١٦/٢٢٩.

(٣) الزجاج هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد (٢٤١ – ٣١١ هـ)، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره، و من كتبه : معاني القرآن، والاشتقاق، و خَلْق الإنسان ، والأمالي في الأدب واللغة، و المثلث في اللغة، وإعراب القرآن وغيرها الكثير. ينظر: ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي "المتوفى: ٦٨١هـ" : (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠، ص:١/ ٤٩.

وقال ابن الأنباري : "(هذا) وقف حسن، ثم تبتدئ (وإن للطاغين) وهم الذين كذبوا الرسل، لشر مآب: أي: منقلب يصيرون إليه"[١] فهي جملة فَصلت الكلامَ السابق عن الكلام الآتي بعدها قصدا لانتقال الكلام من غرض إلى غرض، مثل جملة: أما بعد فكذا وأمثال هذا في القرآن الكريم كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة الحج : ٣٠]، و ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [سورة الحج : ٣٢]، ويقول الزمخشري[٢]: "وهو كما يقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر : هذا وقد كان كيْتَ وكَيت"[٣]، وقال ابن الأثير[٤]: هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر"[٥]، ويقول القرطبي[٦]: "هذا" يستعمل عند الخروج من كلام إلى كلام، وهي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج

(١) القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي)، ص:١٦/٢٢٩، والقنوجي: (فتح البيان في مقاصد القران)، ص:١٢/ ٥٨.

(٢) الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم، . ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ)، وهو من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب،سافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) وتوفي فيها، ومن أهم مؤلفاته: الكشاف، وأساس البلاغة، والمفصل، والمستقصي، ومقدمة الأدب في اللغة، ونوابغ الكلم، أعجب العجب في شرح لامية العرب، و أطواق الذهب وغيرها الكثير. ينظر: ابن خلكان: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، ص:٢/٣٤٠.

(٣) الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٢/٢٠٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٣/٢٨٠-٢٨٥"بتصرف".

(٤) هو: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل (٥٥٥ – ٦٣٠ هـ) ، إمام مؤرخ من علماء الأنساب والأدب، تجول في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها. من مؤلفاته: اللباب في تهذيب الأنساب، و الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، والجامع الكبير في البلاغة، و غيرها الكثير. ينظر: ابن خلكان: (وفيات الأعيان)، ص:٣/ ٣٤٨.

(٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي "المتوفى: ٩١١هـ": (الإتقان في علوم القرآن)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ص:٣/ ٣٧٥.

(٦) القرطبي هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة بـ(الأندلس) (٦٠٠ – ٦٧١هـ) وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا، من كبار المفسرين إلى جانب توسعه في الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى توفي في التاسع من شوال لعام٦٧١ هـ، ومن أهم مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة، والإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام واجتهار محاسن دين الإسلام، والمقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس، واللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية، وغيرها الكثير. ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال

من كلام إلى كلام[1]، وهذا "الأسلوب من الانتقال هو المسمى في عرف علماء الأدب بالاقتضاب، وهو طريقة العرب ومن يليهم من المخضرمين ، ولهم في مثله طريقتان : أن يذكروا الخبر كما في هذه الآية، وأن يحذفوا الخبر لدلالة الإشارة على المقصود، كقوله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة الحج : ٣٠]، أي: ذلك شأن الذي عمِلوا بما دعاهم إليه إبراهيم وذكروا اسم الله على ذبائحهم، ولم يذكروا أسماء الأصنام"[2]، ويلاحظ أن اسم الإشارة "هذا " قد استعمل على هذه الطريقة في موضعين من سورة "ص " هما : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [سورة ص: ٤٩]، و ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [سورة ص: ٥٥]، وقد ذكر في الموضع الأول خبر اسم الإشارة وهو: (ذِكْر) وحذفه في الموضع الثاني، فيقدر من جنس المذكور في نظيره السابق، وقال السيوطي عن هذين الموضعين: " لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها، ثم لما فرغ قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ فذكر النار وأهلها، والذكر هنا: بمعنى هذا ذكر جميل في الدنيا، وشرف يذكرون به فيها أبدا، وإن للمتقين لحسن مآب أي: لهم مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع في القيامة، وليس للكفار ذلك فناسب ذكره مع المتقين وحذفه مع الآية الأخرى، يقول ابن عاشور[3]: "وإنما صرح بالخبر في قوله: ﴿ هذا ذِكْرٌ﴾ للاهتمام بتعيين الخبر، وأن المقصود من المشار إليه التذكر والاقتداء فلا يأخذ السامع اسم الإشارة مأخذ الفصل المجرَّد والانتقال الاقتضابي، مع إرادة التوجيه بلفظ {ذكر} بتحميله معنى حُسن السمعة ، أي: هذا ذكر لأولئك المسمَّيْن في الآخرين مع أنه تذكرة للمقتدِين على نحو المعْنَيَيْن في قوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ [سورةالزخرف:٤٤]، ومن هنا احتمل أن تكون الإشارة بـ{هذا } إلى القرآن، أي: القرآن ذِكر، فتكون الجملة استئنافا ابتدائيا للتنويه بشأن القرآن رَاجعا إلى

الدين السيوطي "المتوفى:٩١١هـ": (طبقات المفسرين العشرين)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، (ط:١)، ١٣٩٦هـ، ص: ٩٢.

(١) القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي)، ص:١٦/٢٢٩.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، ولد وتوفي ودرس بتونس (١٢٩٦ – ١٣٩٣ هـ)، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، من مؤلفاته: التحرير والتنوير، و أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، و موجز البلاغة، و أصول الإنشاء والخطابة، و مقاصد الشريعة الإسلامية، وغيرها الكثير. ينظر: الزركلي: (الأعلام)، ص:٦/ ٢٧٤، و محمد محفوظ "المتوفى: ١٤٠٨ هـ": (تراجم المؤلفين التونسيين)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، (ط:٢)، ١٩٩٤م، ص:٣/ ٣٠٤، ٣٠٧.

غَرض قوله – تعالى–: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص:٢٩]، والواو في ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يجوز أن تكون للعطف الذكري، أي: انتهى الكلام السابق بقولنا {هذا} ونعطف عليه ﴿ إِنَّ للمُتَّقينَ ﴾، ويجوز أن تكون واو الحال واللام في ﴿للمُتَّقينَ﴾ لام الاختصاص، أي: لهم حسن مآب يوم الجزاء"(١)، والإشارة في: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ تحتمل ذلك أيضا.

والخلاصة في ذلك أن اسم الإشارة المفرد (هذا) جاء هنا فاصلا للكلام السابق عن الكلام الآتي بعده، قصدا لانتقال الكلام من غرض إلى غرض مثل جملة: (أما بعد فكذا)، كأنه قال هذا شأن المتقين، أو هذا الشأن، أو هذا كما ذكر، ويمكن القول بأن الإحالة التي اشتملت عليها الإشارة موسعة في كلا الآيتين؛ لأنه لما ذكر الأنبياء وانتهى منهم، وأراد أن يذكر الجنة وأهلها، جاء باسم الإشارة (هذا)،في قوله – تعالى–: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [سورة ص:٤٩] أي: هذا القرآن ذكر أو هذا الذي ذكر سابقا وهي الآيات (من ٢٩ إلى٤٩) من سورة ص، ثم لما فرغ قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ [سورة ص: ٥٥] فذكر النار وأهلها، وربط اسم الإشارة (هذا) بين الآيات (من٤٩إلى ٥٥) من سورة ص، وفصل بين الغرضين من تشريف المتقين بذكر نعيمهم ولوم وتقريع الطاغين بذكر مصيرهم، وساهمت الإشارة في الدلالة على ذلك، مع ربط النص وتحقيق تماسكه بين (٢٦) آية، مما أحكم النص وقوى أركانه، ذلك لأن الجمل تختلف عن النصوص في الخصائص والعلاقات التركيبية، وعلاقات النص تقوم على روابط تركيبية أبعد مدى من روابط الجملة بنوعيها، وهي عناصر الاتساق، وأهمها الإحالات، وهذا ما حققته الإشارة في الآيتين السابقتين.

– دلالة الإشارة على التشبيه:

ولقدرة الإشارة على حمل المعاني الغزيرة، وأدائها على أتم وجه، من خلال مرجعياتها الإحالية، ظهرت في دائرة البيان، وولجت في تصاويره الكثيرة، لذا يستعان بها في الصور التشبيهية، لأن الغرض الأول من التشبيه هو البيان والإيضاح، وليس هناك أقوى من الإشارة في إبراز المعاني في صور مشاهدة محسوسة تراها العيون، وتتفهمها العقول، ومن ذلك قول الله –تعالى–:

(١) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٣/٢٨٠-٢٨٥"بتصرف".

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ﴾[سورة غافر: ٧٣-٧٥]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَـ(هُمْ) أَيْنَ (مَا) كُنـ(تُمْ) تُشْرِكُـ(و)نَ (بـ(ـه) - مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُـ(وا) ضَلُّـ(وا) عَـ(نَّا) بَل لَّمْ نَكُن(نحن) نَّدْعُو(نحن) مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ (كَـذَٰلِكَ) يُضِـلُّ اللَّهُ الْكَـافِرِينَ (هم) – (ذَٰلِكُم) بِـ(مَا) كُنـ(تُمْ) تَفْرَحُـ(و)نَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِـ(مَا) كُنـ(تُمْ) تَمْرَحُـ(و)نَ (بـ(ـه)﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذا المقطع بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة ، بلغ ورودها (٢٠) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٥) مرة بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (١٣) مرة منها بصيغة الجمع و(مرتين) بصيغة المفرد، (٣) مرات بصيغة الغائب، و(٦) مرات بصيغة المخاطب، و(٣) مرات بصيغة المتكلم، كما وردت الأسماء الموصولة العامة (٣) مرات، وجاءت الإشارة (مرتين)، واحدة باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد بدون ميم الجمع، و أخرى باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد مع إضافة ميم الجمع.

وقد جاءت الإحالة باسم الإشارة المفرد المذكر البعيد (ذلك) مرتين؛ الأولى: إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق، وهو المفهوم من سياق الآية، أي: (كذلك) الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث عبدوا هذه الأصنام التي أوصلتهم إلى النار، يقول الزمخشري: أي: "مثل ضلال آلهتهم عنهم، يضلهم عن آلهتهم، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا"[(١)]، وفي هذا تعجيب من ضلالهم، وقيل بل المعنى "مثل ذلك الإضلال يضل الله – تعالى- في الدنيا الكافرين حتى أنهم يدعون فيها ما يتبين لهم أنه ليس بشيء، أو مثل ذلك الضلال وعدم النفع يضل الله -تعالى- الكافرين حتى لا يهتدوا في الدنيا إلى ما ينفعهم في الآخرة"[(٢)]، ويمكن الجمع بين ذلك بأنه" كما

(١) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ١٧٩، وقد تتبعه في هذا ونقل عنه كل من: ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٤/ ٥٦٩-٥٧٠، وأبي حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٢٧٢- ٢٧٣، وأبي السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٧/ ٢٨٥،والألوسي: (روح المعاني)، ص:٣٣٩/١٢، والقنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٢١٤، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٠٥/٢٤-٢٠٦.

(٢) ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٤/ ٥٦٩- ٥٧٠، وأبي حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٢٧٢- ٢٧٣، وأبي السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٧/ ٢٨٥،والألوسي: (روح المعاني)، ص:٣٣٩/١٢، والقنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٢١٤، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٠٥/٢٤-٢٠٦.

أضل الله تعالى أعمال هؤلاء وأبطل ما كانوا يؤملونه، كذلك يفعل بأعمال جميع من يتدين بالكفر، فلا ينتفعون بشيء منها، فإضلال الكافرين على معنى إضلال أعمالهم أي: إبطالها"[(١)]، والإشارة الثانية: (ذلكم) إحالة نصية داخلية لمذكور سابق متوسط البعد، وهو: (المذكور من سحبهم في السلاسل والأغلال وتسجيرهم في النار وتوبيخهم بالسؤال)،كما دلت على ذلك الآيات السابقة عليه وهي قوله – تعالى-: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ(٧٢)﴾[سورة غافر: ٧١-٧٢]، وجاز أن تكون إشارة إلى: (إضلال الله – تعالى- للكافرين)، أي: ذلكم العذاب الذي أنتم فيه بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق أي: تظهرون في الدنيا. [(٢)]

والتشبيه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ يفيد "تشبيه إضلال جميع الكافرين بإضلاله هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، فتكون جملة (كذلك يضل الله الكافرين) تذييلا، أي: مثل إضلال الذين يجادلون في آيات الله يضل الله جميع الكافرين، فيكون إضلال هؤلاء الذين يجادلون مشبها به إضلال الكافرين كلهم، والتشبيه كناية عن كون إضلال الذين يجادلون في آيات الله بلغ قوة نوعه بحيث ينظر به كل ما خفي من أصناف الضلال، وهو كناية عن كون مجادلة هؤلاء في آيات الله أشد الكفر، والتشبيه جار على أصله، وهو إلحاق ناقص بكامل في وصف، وبين الفرح والمرح تجنيس حسن، هو تجنيس (التحريف) حيث كان الحرف فرقا بين الكلمتين، والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ؛ لأن ذم المرء في وجهه تشهير له"[(٣)].

ومن هنا يتضح دور الإشارة في الدلالة على المعاني الكثيرة بألفاظ يسيرة، إضافة إلى حمل معنى التمثيل الذي يأتي في أعقاب المعاني، لتزداد الصورة تقريعا وتوبيخا، مع قيام الإشارة مقام الدليل على صحة التشبيه وعمقه، ذلك الذي يضع له كثيرا من الأضواء البيانية، خصوصا مع تعدد العناصر

(١) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٢٧٢- ٢٧٣، وأبي السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٧/ ٢٨٥،والألوسي: (روح المعاني)، ص:٣٣٩/١٢، والقنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٢١٤، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٠٥/٢٤-٢٠٦.

(٢) ينظر: الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٢/ ٣٣٩، والقنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٢١٤، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٠٥/٢٤-٢٠٦.

(٣) الألوسي: (روح المعاني)، ص:١٢/ ٣٣٩، والقنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٢/ ٢١٤، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٠٥/٢٤-٢٠٦.

الإشارية التي لا تختلف مدلولاتها بل تسهم في ربط أجزاء النص وإحكامه دونما إهدار لترابط المعلومات الكامنة تحته؛ ذلك لأنها تقرن بين الترابط الوصفي والترابط المفهومي، أي: بين ما هو لفظي ومعنوي في النص.

نماذج تحليلية

(١) سورة التوبة الآيات (٣٤-٣٥):

يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[سورة التوبة:٣٤-٣٥]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ وَ(الَّذِينَ) يَكْنِزُ(و)نَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُ(و)نَ(هَا) فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْ(أنت) (هُم) بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (هو)- يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْ(هَا) فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِ(هَا) جِبَاهُ(هُمْ) وَجُنُوبُ(هُمْ) وَظُهُورُ(هُمْ) (هَٰذَا) (مَا) كَنَزْ(تُمْ) لِأَنفُسِ(كُمْ) فَذُوقُ(وا) (مَا) كُنـ(تُمْ) تَكْنِزُ(و)نَ﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذا المقطع بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، في إحالات قبلية داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة ، بلغ ورودها (٢٠) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٦) مرة بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (١١) مرة، منها بصيغة الجمع و(٥) مرات بصيغة المفرد، (١١) مرة بصيغة الغائب، و(٦) مرات بصيغة المخاطب، كما وردت الأسماء الموصولة العامة (مرتين) والخاصة (مرة) واحدة، وجاءت الإشارة (مرة) واحدة باسم الإشارة المفرد المذكر القريب.

وقد تضمن المقطع الإحالة بالإشارة في (هذا) لمذكور نصي سابق هو: المال الذي كُوي به، ويحتمل أن يكون الفعل النازل بهم، أي: هذا جزاء ما كنزتم[1] والضمير المجرور بعلى في قوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ عائد إلى الذهب والفضة باعتبار أنها دنانير أو دراهم، وهي متعددة، أو عائد إلى أموال الناس في قوله - تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ [سورة التوبة: ٣٤] والذهب والفضة أيضا، إن كان الضمير في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ [سورة التوبة: ٣٤] عائدا إلى الأحبار والرهبان والذين يكنزون، والناصب ليوم أليم أو مضمر يفسره عذاب أي: يعذبون يوم يحمى، وبني الفعل ﴿يُحْمَىٰ﴾ للمجهول لعدم تعلق الغرض

(١) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٢٦٨- ٢٦٩، وابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٢٩، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٥/٤١٢- ٤١٣، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٥/ ٢٨١، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٠/ ١٧٨- ١٧٩- ١٨٠.

بالفاعل، فكأنه قيل: يوم يحمي الحامون عليها، وأسند الفعل المبني للمجهول إلى المجرور لعدم تعلق الغرض بذكر المفعول المحمي لظهوره: إذ هو (النار التي تحمى)، وهو مؤنث غير حقيقي لذلك لم يقرن بعلامة التأنيث، أي: أن النار توقد عليها وهي ذات حمى وحر شديد، ولو قال: يوم تحمى أي: الكنوز لم يعط هذا المعنى، فجعل الإحماء للنار مبالغة، وعدي بعلى الدالة على الاستعلاء المجازي لإفادة أن الحمي تمكن من الأموال بحيث تكتسب حرارة المحمي كلها، ثم أكد معنى التمكن بمعنى الظرفية التي في قوله: ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فصارت الأموال محمية عليها النار وموضوعة في النار، وفي إضافة النار إلى جهنم علم أن المحمي هو نار جهنم التي هي أشد نار في الحرارة[1] فجاء تركيبا بديعا من البلاغة والمبالغة في إيجاز، وقد وظِّف لربط الحركة الحية في هذ المشهد المصور شديد الانفعال، في شبكة من الروابط الاتساقية الشديدة التماسك.

وقوله – تعالى–: ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ على إرادة القول، وبه يتعلق الظرف السابق أي: يقال لهم يوم يحمى عليها هذا ما كنزتم لأنفسكم أي: لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها، واللام للتعليل وهي مؤذنة بقصد الانتفاع لأن الفعل الذي علل بها هو من فعل المخاطب، وهو لا يفعل شيئا لأجل نفسه إلا لأنه يريد به راحتها ونفعها، فلما آل بهم الكنز إلى العذاب الأليم كانوا قد خابوا وخسروا فيما انتفعوا به من الذهب والفضة، بما كان أضعافا مضاعفة من ألم العذاب، فهي إذا للتنديم والتغليظ[2].

و(ما) في قوله – تعالى–: ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ يحتمل أن تكون مصدرية أي: وبال كنزكم أو وبال كونكم كانزين، وفيه يكون لكان الناقصة مصدر كلام والمقصود هو الخبر، وكان إنما ذكرت لاستحضار الصورة الماضية، ويحتمل أن تكون موصولة أي: وبال الذي تكنزونه، وفي الكلام استعارة

(١) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٢٦٨– ٢٦٩، وابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٢٩، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٥/٤١٢– ٤١٣، أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٤/ ٦٢–٦٣، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٥/٢٨١، وكذا القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:٥/ ٢٩٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٠/ ١٧٨– ١٧٩– ١٨٠.

(٢) ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٢٦٨– ٢٦٩، وابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٢٩، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٥/٤١٢– ٤١٣، أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٤/ ٦٢–٦٣، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٥/ ٢٨١، وكذا القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:٥/ ٢٩٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٠/ ١٧٨– ١٧٩– ١٨٠.

مكنية وتخييلية أو تبعية، للتنبيه على غلطهم فيما كنزوا لقصد التنديم، وجملة (ما كنتم تكنزون) مفعول لفعل الذوق على تقدير مضاف يعلم من المقام أي: ذوقوا عذاب ما كنتم تكنزون.(١)

والذوق "مجاز في الحس بعلاقة الإطلاق، وجملة فذوقوا ما كنتم تكنزون توبيخ وتنديم، والفاء في فذوقوا لتفريع مضمون جملة التوبيخ على جملة التنديم الأولى" (٢).

وسلك في التعبير عن التعميم مسلك الإطناب بالتعداد لاستحضار حالة ذلك العقاب الأليم، تهويلا لشأنه، فلذلك لم يقل: فتكوى بها أجسادهم، وإنما عمم جهات الجسد بالكي لأن تلك الجهات متفاوتة ومختلفة في الإحساس بألم الكي، لما في داخلها من الأعضاء الشريفة، فيحصل مع تعميم الكي إذاقة لأصناف من الآلام(٣).

(٢) سورة الإنسان آية (٢٠):

يقول الله – تعالى–: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) ﴾[سورة الإنسان:٢٠]، ويمكن حصر الإحالات فيها على الوجه التالي:

﴿وَإِذَا رَأَيْ(ت) (ثَمَّ) رَأَيْ(تَ) نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (هو)﴾

وقد جاءت الإحالات في هذه الآية بين الضمائر واسم الإشارة، في إحالات قبلية داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه وبعيدة، بلغ ورودها (٤) مرات، جاءت الضمائر فيها (٣)

(١) ينظر: أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٤/ ٦٢–٦٣، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٥/ ٢٨١، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٠/ ١٧٨– ١٧٩– ١٨٠.

(٢) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٠/ ١٨٠.

(٣) وقيل إنما "خصت هذه المواضع بالكي لأن التألم بكيها أشد فهو في الجبهة أشنع، وفي الجنب والظهر أوجع، لأنها مجوفة فيصل إلى أجوافها الحر، بخلاف اليد والرجل، وقيل بل: معناه يكوون على الجهات الثلاث مقاديمهم ومآخرهم وجنوبهم، لأنهم لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم، ولما طووا كشحا عن الفقير إذا جالسهم كويت ظهورهم، حيث لم ينفقوا أموالهم في سبيل الله تعالى إلا لأغراض دنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم، وأن يكون ماء وجوههم مصونا حتى يتلقون بالجميل، ويحيون بالإكرام، ويحتشمون، ومن أكل الطيبات يتضلعون، وينفخون جنوبهم، ويلبسون ناعمة الثياب ويطرحونها على ظهورهم، وقيل: لأن الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والإنسان إنما يطلب المال للجمال والقوة" ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٢٦٨– ٢٦٩، وابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٢٩، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٥/٤١٢– ٤١٣، أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٤/ ٦٢–٦٣، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٥/ ٢٨١، وكذا القنوجي: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ص:٥/ ٢٩٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ١٠/ ١٧٨– ١٧٩.

مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، كلها بصيغة المفرد، (مرة) واحدة بصيغة الغائب، و(مرتين) بصيغة المخاطب، وجاءت الإشارة (مرة) واحدة باسم الإشارة المكاني البعيد.

وقد أحيل باسم الإشارة (ثَمَّ) إلى المكان إحالة نصية قبلية لمذكور سابق هو: (ما جرى ذكره)، أي: الجنة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا(١٢)﴾[سورة الإنسان: ١٢]

والخطاب لغير معين، أو هو لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– أو لكل من يدخل الجنة، و{ثم}ظرف مكان مختص بالبعد[١]، وفي انتصابه هنا وجهان، أظهرهما: أنه منصوب على الظرف، واختلف في مفعول الرؤية، فقال البصريون: هو غير مذكور ولا ملفوظ ولا مقدر ولا منوي؛ فهو منزل منزلة اللازم فيفيد العموم في المقام الخطابي، ويدل على حصول الرؤية فقط لا تعلقها بمرئي، كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية، ثم، أي: إذا وجهت نظرك أينما وقع في الجنة (رأيت نعيما) لا يوصف، و «رأيت» الثاني جواب لـ «إذا» أي: إذا فتحت عينك ترى نعيما، وملكا كبيرا عظيم القدر لا تحيط به عبارة وهو يشمل المحسوس والمعقول[٢].

وجوز الكوفيون أن يكون (ثَمَّ) مفعول به لرأيت على تقدير موصول مضمر دلت عليه الصلة، فقال الفراء: (ثَمَّ) مفعول به لـ(رأيت) وتقديره: (ما ثَمَّ)، و (ما) مفعول فحذفت (ما) وقامت (ثَمَّ) مقام (ما) كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[سورة الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم، وردّ عليه الزجاج معترضا: بأنه لا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة، ولكن رأيت يتعدى في المعنى إلى (ثَمَّ)، والمعنى إذا

(١) قرأ الجمهور: (ثَمَّ) بفتح الثاء وحميد الأعرج: (ثُم) بضم الثاء على أنها عاطفة، وتكون حينئذ قد عطفت (رأيت) الثاني على الأول، وجواب إذا على هذا محذوف، وهو الناصب لقوله: (نعيما)، والتقدير: وإذا صدر منك رؤية، ثم صدرت رؤية أخرى رأيت نعيما وملكا، فرأيت هذا هو الجواب. ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري "المتوفى: ٣١٠هـ" :(جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط:١)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص:٢٤/١١١-١١٢، وأبوحيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/ ٣٦٥- ٣٦٦، و السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:١٠/ ٦١٤- ٦١٥، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٥/١٧٨.

(٢) ينظر: الطبري:(جامع البيان في تأويل القرآن)، ص:٢٤/١١١-١١٢، والزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٦٧٣،و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/ ٣٦٥- ٣٦٦، و السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:١٠/ ٦١٤- ٦١٥، وأبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/٧٤، والألوسي: (روح المعاني)،ص:١٥/ ١٧٨، والقنوجي: (فتح البيان)، ص:١٤/ ٤٧٣- ٤٧٤،و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ٢٩/ ٣٩٧- ٣٩٨.

رأيت ببصرك (ثَمَّ) ويعني بـ(ثَمَّ) الجنة، وقال الزمخشري: "من قال معناه «ما ثم» فقد أخطأ؛ لأن «ثم» صلة لـ «ما»، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة"،[1] غير أن الكوفيين أجازوا ذلك[2].

وجواب إذا رأيت: (نعيما)، والتقييد بـ(إذا) أفاد معنى الشرطية، فدلَّ على أن رؤية النعيم لا تتخلف عن بصر المبصر هنالك، فأفاد معنى: لا ترى إلا نعيما، أي: بخلاف ما يرى في جهات الدنيا، وفي قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ تشبيه بليغ، أي: مثل أحوال الملك الكبير المتنعم ربه، وفائدة هذا التشبيه تقريب المشبه لمدارك العقول، و(الكبير) مستعار للعظيم، وهو زائد على النعيم بما فيه من رفعة وتذليل للمصاعب.[3]

ومن هنا يتضح الدور الوظيفي الذي قامت به أسماء الإشارة في تماسك النص وترابطه، فقد بان أن الإحالات ومنها الإشارة في تصرفها الموقعي لعبت دورا بارزا في إظهار الدلالة؛ ولا ريب فوجود العنصر الإحالي مرهون بالوجود الدلالي، ووجوده أيضا مرهون بوجود العنصر الإشاري، ودلالة الإشارة على الغياب في دائرة الخطاب، والاستجابة إلى الإسناد، ساهمت في إحداث جديلة ترابطية دون معاظلة أوصعوبة في الفهم، حيث لم يكن هناك ثمة صعوبة أو غموض في اكتشاف العناصر المحال إليها؛ لأنها جاءت كلها صريحة، لا تحتاج إلى تأويل، كما كان النص القرآني في بعض المقاطع مفتوحا يرسل الإحالات خارج النص، ويستقبلها أيضا.

---

(١) وقال ابن عطية: وثم ظرف العامل فيه رأيت أو معناه، التقدير: رأيت ما ثم حذفت ما، ويقول أبو حيان فيه نظر لأنه من حيث جعله معمولا لرأيت لا يكون صلة لما، لأن العامل فيه إذ ذاك محذوف، أي: ما استقر ثم.

أما قوله (أو معناه) هو القول بأنه صلة لموصول، فيكونان وجهين لا وجها واحدا، حتى يلزمه الفساد، ولولا ذلك لكان قوله:(أو معناه) لا معنى له، ويعني بمعناه أي: معنى الفعل من حيث الجملة، وهو الاستقرار المقدر، وذلك إنما يرد لو أراد أن الموصول مقدر، أما لو أراد المعنى وأن الظرف يغني غناء المفعول به فهو كلام صحيح لأن الظرف والمرئي كليهما الجنة. ينظر: ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٤١٣/٥، وأبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/ ٣٦٥- ٣٦٦، و السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:١٠/ ٦١٤- ٦١٥، والألوسي: (روح المعاني)،ص:١٥/ ١٧٨.

(٢) ينظر: الطبري:(جامع البيان في تأويل القرآن)،ص:١١١/٢٤-١١٢، والزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٦٧٣،و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:١٠/ ٣٦٥- ٣٦٦، و السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:١٠/ ٦١٤- ٦١٥، وأبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٧٤/٩، والألوسي: (روح المعاني)،ص:١٥/ ١٧٨، والقنوجي: (فتح البيان)، ص:١٤/ ٤٧٣- ٤٧٤،و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ٢٩/ ٣٩٧- ٣٩٨.

(٣) ينظر: الألوسي: (روح المعاني)،ص:١٥/ ١٧٨، والقنوجي: (فتح البيان)، ص:١٤/ ٤٧٣- ٤٧٤،و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ٢٩/ ٣٩٧- ٣٩٨.

(الفصل الثالث)

الإحالة بالصلة، ودورها في مشاهد القيامة، ويشتمل على:

- الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).

- الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

(المبحث الأول)

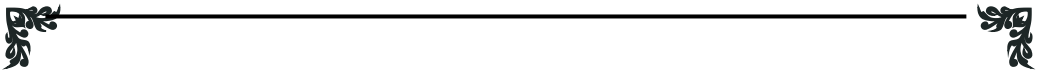

الأسماء الموصولة، ودورها الإحاليّ في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).

- مهاد:

لما كان التماسك السطحي في ظاهر النص يتحقق من خلال مجموعة من الأدوات النحوية التي تربط بين الخيوط البنيوية المشكلة لنسيج النص، والإحالة أحد هذه الأدوات، فلا شك إذن أن التماسك المتحقق في الجانب النحوي الشكلي من خلال الإحالة يستدعي التماسك الدلالي؛ لأن المباني لا تنفصم عن المعاني، و "الكلمة المفردة في البناء النصي تفقد طبيعتها القاموسية المحددة وتستحيل إلى خلق آخر بطبيعة أخرى، تقف العلاقات فيه، ويقف الإيحاء منه، وتقف كل التحويلات الجمالية المتحركة على سطحه موقفا تختفي فيه حدود الأنا اللغوية الضامرة ليحلّ محلها وجود آخر معادل في ضرورته، وحتميته للوجود المادي الذي نعيشه ونعانيه"[١]، ولكل كلمة مجال من التأثيرات الممكنة تختلف طبقا للظروف التي توجد فيها، ومن هنا فإن "حركة الفكر لابد أن تتوافق معها حركة الصياغة لإتمام الهدف الإيصالي والتأثيري معا"[٢].

ولكي يتحقق هذا التماسك الدلالي الذي يظهر من خلال تدفق والتحام المعاني في النص، لا بد له من مجموعة من الآليات الدلالية كـ(السياق والتغريض و البنية الكلية)، يقول جون ليونز: "أعطني السياق الذي وضعت فيه الكلمة وسوف أخبرك بمعناها"، ويضيف: "من المستحيل أن تعطي معنى كلمة بدون وضعها في سياق، وتكون المعاجم مفيدة بقدر ما تذكره من عدد سياقات الكلام وتنوعها"[٣].

ولا شك أن بعض ألفاظ اللغة فارغة الدلالة في نفسها منذ أول الوضع، فلا يتحدد معناها دون العودة إلى ما تشير إليه، سواء كانت إشارات بعيدة أو قريبة، وهي تلك الألفاظ التي توصف بالمصطلحات النحوية ذات القيمة الدلالية ضمن إطار الاستخدام اللغوي فحسب.

و يعد الاسم الموصول أحد هذه الألفاظ الفارغة الدلالة خارج السياق النصي، بيد أنه يمتلك قدرة على تحقيق مبدأي الربط أو الترابط بين مختلف التراكيب اللغوية من جهة، ومن خلال طبيعته

---

[١] عبد الواحد علام: (اتجاهات نقد الشعر)، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص:٢٦

[٢] رمضان صادق: (شعر عمر بن الفارض.. دراسة أسلوبية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،(د.ط)، ١٩٩٨م، ص: ١١٥.

[٣] محمد حماسة عبد اللطيف: (ظواهر نحوية في الشعر الحر.. دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور)، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠١م، ص:١٤٣.

اللغوية أوالتشكيلية التي تمنح مستخدميه قدرة إضافية لفهم هذا الدور الترابطي، و آثاره التركيبية والدلالية من جهة أخرى داخل السياق النصي، حيث يقوم بعملية التعويض، وهو لا يحمل أي دلالة خاصة، ولا يتضح مفهومه إلا من خلال ما يحيل إليه، وفي ذلك تكمن فلسفة الموصول في العربية وقيمته الأدائية.

كما أنه يعد أداة واضحة من أدوات الإحالة التي تعمل على تماسك النص وترابطه؛ ذلك لأنه يحدد دور المشاركين في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، و تتحقق إشاريته إذا ما دل مع صلته على ذات أو مفهوم جرت الإحالة عليها بعد ذكره في النص، وينطبق هذا على الموصولات المشتركة عادة، بينما يكون الاسم الموصول المختص إحاليا إذا ما عاد على محال إليه سابق له عادة.[١]

ولا يختلف الاسم الموصول عن غيره من أدوات الإحالة كونه يقوم بعملية الربط الاتساقي، إلا أنه يظل مبهما وغامضا ودون أية قيمة دلالية لحاجته إلى صلة تذكر بعده فتلازمه ويلازمها بحيث لا تتجزأ دلالتيهما، و "هي التي تصنع ربطا مفهوميا يجمع بين ما يسبق الاسم الموصول وما يأتي بعده، و لابد أن تكون هذه الصلة معلومة للمتلقي قبل ذكر الاسم الموصول"[٢]، حتى يبرز دورها في رصف الجمل والتراكيب النحوية، إضافة إلى ما تحتمله الصلة داخل النص من الأغراض الدلالية المكتنزة التي تلحق المعاني الظاهرة فتزيدها تدقيقا وتأكيدا.

- **الاسم الموصول بين اللغة والاصطلاح:**

الموصول اسم مفعول من الفعل (وصل) المتعدي، فهو يستعمل لغةً متعديا تارة ولازما أُخرى؛ والوصل: "كُلُّ ما اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينهما: وُصْلَةٌ"[٣]، يقال : "وصل الشيءَ بالشيءِ يصلُه وصلا وصلَة، بالكسر والضم، ويقال: وصل الشيءُ إلى الشيءِ وصولا ووُصْلَةً وصِلَةً: أي: انتهى إليه

---

[١] ينظر: نادية رمضان النجار: (علم لغة النص والأسلوب بين النظر والتطبيق)، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية،(د.ط)، ٢٠١٣م، ص: ٣٩.

[٢] أحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص)،ص:٥٣٥.

[٣] الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني "المتوفى: ٣٨٥هـ": (المحيط في اللغة)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، (ط:١)، بيروت / لبنان – ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، ص: ١٨٣/٨.

وبلَغه"[١]، و "أوْصَلَهُ واتَّصَلَ: لم يَنْقَطِعْ، والوُصْلَةُ، بالضم: الاتِّصالُ"[٢].

فالموصول إذا : اسم مفعول من وَصَلَ الشيء بغيره: إذا جعله من تمامه[٣]، ومن هنا فالصلة تعني الاتصال والتلازم بين شيئين، تلازم لا ينفك بينها وبين موصولها ومربوط هذا الموصول.

أما في الاصطلاح؛ فقد وردت فيه تعريفات كثيرة، كلها تشير إلى معنى واحد تقريبا، وإنما تختلف في الطول والايجاز منها:

- "ما لا بدله في تمامه اسما من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه، وتسمى هذه الجملة صلة، ويسميها سيبويه الحشو، نحو: (الذي أبوه منطلق زيد)، و(جاءني مَنْ عهده عمرو)، واسم الفاعل في (الضارب) في معنى الفعل، وهو مع المرفوع به جملة واقعة صلة للام، ويرجع الذكر منها إليه كما يرجع إلى الذي"[٤].
- أو "هو مالا يتم جزءا إلا بصلة وعائد"[٥].
- أوهو "من الأسماء ما افتقر أبدا إلى عائدٍ أو خَلَفه، وجملةٍ صريحة أو مؤولة غير طلبية ولا إنشائية"[٦]، فـ"هو اسم مبهم، مبني ومعرفة، ولا يتم إلا بصلة"[٧].
- أو هو "الكلمة التي تفتقر في دلالتها على معنى الاسم التام إلى ما يتصل بها فتستقل حينئذ دلالتها عليه، وتصير في معنى الأسماء المستقلة بالدلالة"[٨].

---

[١] ابن المنظور: (لسان العرب)، (مادة و.ص.ل)، الجزء الأخير، ص: ٢١٦، والفيروز آبادي: (القاموس المحيط)، فصل الواو، مادة(و.ص.ل)، ص: ١٠٦٨.

[٢] الفيروز آبادي: (القاموس المحيط)، فصل الواو، مادة(و.ص.ل)، ص: ١٠٦٨.

[٣] ينظر: الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٨.

[٤] الزمخشري: (المفصل)، ص:١/ ١٨٣.

[٥] ابن الحاجب: (الكافية في علم النحو)، ص:١/ ٣٤، والرضي: (شرح الرضي على الكافية)، ص:٢٣٧/٣، والجرجاني: (التعريفات)،ص:٢٣٧.

[٦] ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص: ١/ ١٨٦.

[٧] ابن المنظور: (لسان العرب)، ص:٧٢٦/١١.

[٨] الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي "المتوفى ٧٩٠ هـ": (المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، شرح ألفية ابن مالك)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، (ط:١)، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، ص:٤٢٥/١.

- **أسماء الموصول معارف مبهمة:**

يأتي الاسم الموصول في المرتبة الرابعة[١] بين المعارف الستة من حيث قوةُ التعريف، فأقوى المعارف في الدلالة على تعيين مدلوله وتوضيح المراد منه هو: "الضمير، يليه العَلَمُ، ثم اسم الإشارة، ثم الاسم الموصول"[٢]، وأعرف الموصول "ما كان مختصًّا ثم ما كان مشتركًا، ويظهر أن أعرف كل منهما ما كان معهودًا معينًا ثم ما للاستغراق ثم ما للجنس لمجيء الموصول للثلاثة كأل والإضافة"[٣].

كما يعد الموصول النوع الثاني من "الأسماء المبهَمة"[٤] التي تُعَد من المعارف، وذلك لوجهين هما:

١/ أن هذه الأسماء لا تخص مسمى دون مسمى، فهي كأسماء الإشارة تقع على كل شيء من

---

[١] "وذهب ابن كيسان إلى أن ذا الأداة أعرف من الموصول؛ وشبهته أن ذا الأداة يوصف بالموصول كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى﴾ [سورة الأنعام: ٩١] والموصوف به إما مساو وإما دون الموصوف؛ ولا قائل بالمساواة، فثبت كون الذي أقل تعريفا من الكتاب، ورد عليه ابن مالك بقوله: لا نسلم كون (الذي) في الآية صفة بل هو بدل، أو مقطوع على إضمار فعل ناصب أو مبتدأ، وعلى تقدير كون الذي صفة، فالكتاب علم بالغلبة؛ لأن المعنيين بالخطاب بنو إسرائيل، وقد غلب استعمال الكتاب عندهم مرادا به التوراة، فالتحق في عرفهم بالأعلام، فلا يلزم من وصفه بالذي جواز وصف غيره مما يلحق بالأعلام، كما أن الموصول قد تتضح صلته وضوحا يجعله في رتبة العلم، ولا يكون ذلك في ذي الأداة غالبا، إلا إذا عرض له ما عرض للنجم والصّعق من الغلبة الملحقة بالأعلام الخاصة، وعليه فالموصول ليس مساويا في التعريف (ذا الأداة)؛ بل رتبة الموصول أعلى، ويرى أبو حيان أن لدى ابن مالك اضطراب في مذهبه من حيث رتبة الموصول بين المعارف على ثلاثة مذاهب هي: ١/أن الموصول وذا الأداة سواء، ٢/أن الموصول أعرف، ٣/أن ذا الأداة أعرف، والأول: هو مذهب الجمهور، وهو المشهور بدليل جواز وصف أحدهما بالآخر، كما جاء في القرآن، والثاني: مذهب ابن مالك بدليل أنه أبطل ما ذهب إليه ابن كيسان القائل بالعكس، والثالث: مذهب ابن كيسان الذي خطأه ابن مالك ثم رد عليه". ينظر: ابن مالك : (شرح التسهيل)، ص:١/ ١١٨، وأبو حيان: (التذييل والتكميل)، ص: ٢/ ١٢٢-١٢٤، و ناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:١/ ٤٤٤- ٤٤٦، والسيوطي: (الهمع)، ص:١/ ٢٢١.

[٢] ابن هشام: (شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١٠١، و(شرح شذور الذهب)، ص: ١٨٣، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/٨٦، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ٩٦، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٥٩.

[٣] الصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٥٩.

[٤] الزمخشري: (المفصل في صنعة الإعراب)، ص:١/ ٢٤٥، وابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/ ٣٧٢، وعبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي "المتوفى ٩٧٢ هـ": (شرح كتاب الحدود في النحو)، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة – القاهرة، (ط:٢)، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص:١/ ٩٤.

حيوان، ونبات، وجماد، وغيرها، ولا تخص بشيء دون شيء[١].

٢/ أنها تحتاج دائمًا في تعيينِ مدلولها وإيضاح المراد منها إلى جملة الصلة[٢]، لأنها أسماء غامضة المعنى، مبهمة الدلالة، ولهذا الغموض والإبهام أثره في غموض المعنى الكليّ للجملة، وإبهامها يتبين بأحد شيئينِ بعدها: إما جملة، وإما شبهها، وكلاهما يُسمَّى صلةَ الموصول، إذ أن "حد المبهم: ما افتقرَ في الدلالةِ على معناه إلى غيرهِ"[٣]

وهذه الصلةُ هي التي تُفيد الاسمَ الموصول التعريفَ[٤]، وهي قرينة لفظية، "بدليل امتناع علامة النكرة من الدخول عليها، وهي «رُبَّ»، ووصفها بالمعارف دون النكرات نحو: (مررت بالذي في الدار الظريف)، وتقع أيضا وصفا للمعارف، نحو: (جاءني الرجل الذي عندك)"[٥]، ولكون الاسم الموصول يفتقرُ في بيان المقصود منه إلى هذه الصلة التي يوصل بها؛ سَمَّاه النحاة اسمًا موصولًا[٦].

---

[١] ينظر: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب "المتوفى ٥٦٧ هـ" : (المرتجل في شرح الجمل)، تحقيق ودراسة: علي حيدر (أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق)، دمشق، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، ص:١/ ٣٠٦- ٣٠٧، وابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/ ٣٧٢.

[٢] ينظر: المرجع السابق نفسه.

[٣] أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ، شهاب الدين الأندلسي "المتوفى: ٨٦٠هـ" :(الحدود في علم النحو)، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص: ٤٤١.

[٤] "وقد ذهب الفارسي إلى أن الاسم الموصول تعرف بالعهد الذي في الصلة، وليس بالألف واللام في: (الذي والتي) وفروعها بمعرفة، بل زائدة زيادة لازمة عندهم وذاك لإصلاح اللفظ، إذ كانت أوصافا في الأصل للمعارف، ثم غلبت كما غلب العبد والملك؛ أي: فصارت تذكر كثيرا من غير ذكر موصوف بها كما يذكر العبد والملك كذلك؛ إذ الأصل: الرجل الملك والرجل العبد، إلا أن هذين الاسمين أقعد في هذا الحكم من الذي وما جرى مجراه من الموصولات التي توصل بها إلى وصف المعارف بالجمل، وذهب غيره إلى أنه تعرف بالألف واللام، وما ليس فيه ألف ولام فهو في معنى ما فيه الألف واللام، وأما (أيهم) فإنه تعرف بالإضافة، واستدل الفارسي بوجود (من وما) ونحوهما من الموصولات، وإنما لم يحتج في «من» و «ما» إلى إدخال اللام فيها وإلزامها إياها كما ألزمت «الذي» و «التي» لأن «من» و «ما» لا يوصف بهما فلم يحتج إلى إصلاح اللفظ بلحاق لام التعريف بهما، ورد عليه أبو حيان بأنه في معنى ما فيه الألف واللام، بيد أن الصلة تتنزل من الموصول منزلة الجزء منه، فكما أن جزء الشيء لا يعرف الشيء، كذلك ما تتنزل منزلته". ينظر: أبو محمد عبد الله بن الخشاب: (المرتجل في شرح الجمل)، ص:١/ ٣٠٦- ٣٠٧، و كذا أبو حيان: (التذييل والتكميل)، ص:٢/١١١-١١٢.

[٥] أبو محمد عبد الله بن الخشاب: (المرتجل في شرح الجمل)، ص:١/ ٣٠٦- ٣٠٧.

[٦] ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ): (أسرار العربية)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (ط:١)، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص:٢٦٣.

- **أنواع صلة الموصول:**

ولا بد لكل موصولٍ من صلة تُذكَر بعده مباشرة، وتسمى صلة الموصول، لأنها "موضحة له، لذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة، فلو قلت: (جاءَ الذي)، أو (مررت بالذي)، لم يدلّك ذلك على شيء حتى تقول: (مررت بالذي قام)، فإذا قلت ذلك وضعت اليد عليه"[(١)]، لأن الصلة من كمال الموصول ومنزّلة منزلة جزئه المتأخر، فلا يتم معناه إلا بها شريطة لزوم تأخرها عنه[(٢)] ، لأنها تقوم بالربط الدلالي من خلال ذاتها وما يرتبط بها بعدها؛ " فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها جاءت تعويضا عما تحيل إليه" [(٣)].

وكما لا تتقدم الصلة على الموصول؛ لا يتقدم معمولها عليه؛ لأنه جزؤها، وهذه الصلة قد تكون:

- إما جملة تامة: اسمية أو فعلية.

١-جملة اسمية؛ نحو قول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [سورة البقرة: ٦١]، فالاسم الموصول هنا في هذه الآية هو (الذي)، و قد تكرَّر مرتينِ، وكانت صلته في المرة الأولى الجملة الاسمية: (هو أدنى)، وكانت صلته في المرة الثانية الجملة الاسمية (هو خير).

٢-وقد تكون جملةً فعلية؛ نحو قول الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [سورة الكهف:١]، فالاسم الموصول في هذه الآية هو (الذي)، وصلته هي الجملة الفعلية: ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾.

ويشترط في هذه الجملة التامة بنوعيها:

أن تكون جملة خبرية، وهي: المحتملة للتصديق والتكذيب في نفسها؛ من غير نظر إلى قائلها؛ لأن الموصول وضع وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، ومن شرط الجملة المنعوت بها أن تكون خبرية معهودة للمخاطب؛ لأن الصلة إنما تأتي لتعرّف المخاطب بالموصول المبهم، الذي كان يعرفه قبل ذكر الموصول من اتصافه بمضمون الصلة، إلا في مقام التهويل والتفخيم وهو التعظيم؛ فيحسن إبهامها

---

(١) المبرد: (المقتضب)، ص:١٩١/٣.

(٢) ينظر: الأزهري: (شرح التصريح)، ص:١٦٧/١.

(٣) أحمد عفيفي: (الإحالة في نحو النص)، ص: ٢٧ .

لذلك، والمرجع في ذلك إلى الموصول، فإنه أريد به معهود فصلته معهودة، وإن أريد به التعظيم أبهمت صلته[١].

ولا يجوز فيها:

أن تكون جملة إنشائية، وهي: ما قارن لفظها معناها، ولا جملة طلبية، وهي: ما تأخر وجود معناها عن وجود لفظها أمرا كانت أو نهيا[٢]؛ لأن كلا من الإنشاء والطلب لا خارجي له، فضلا عن أن يكون معهودا، فلا يصلح لبيان الموصول، ومن ثم امتنع الوصل بالتعجبية، وإن كانت خبرية، لما في التعجب من الإبهام المنافي للبيان، فتكون مستثناة من الخبرية، كما أن جملة القسم مستثناة من الإنشائية، فيجوز الوصل بها، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ [سورة النساء: ٧٢]، وقيل لا استثناء فيهما، أما التعجبية؛ فلأنها إنشائية نظرا إلى حالة الاستعمال، وأما القسمية فلأن الوصل إنما هو بجملة الجواب وهو خبري، وجملة القسم إنما جيء بها لمجرد التأكيد، ولا يجوز الوصل بجملة مستدعية كلاما قبلها[٣].

- وإما أن تكون الصلة شبه جملة، وهي ثلاثة أنواع:

١-الظرف المكاني التام؛ نحو: (أكرِمِ الذي عندك).

٢-الجار والمجرور التام؛ نحو: (أحسِن إلى الأطفال الذين في دار الأيتام).

والمراد بالتام فيهما ما يفهم بمجرد ذكره ما يتعلق هو به، نحو: (جاء الذي عندك)، و (جاء الذي في الدار)، وتعلقهما بـ(استقر) محذوفا وجوبا، وبذلك أشبها الجملة، بخلاف الناقصين، نحو: (جاء الذي

---

[١] ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩٧، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٦٨،و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص:١٠٨، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٥٤-١٥٥، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٧- ١٤٨، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٦٨، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣٤-٢٣٥.

[٢] وأجاز الكسائي الوصل بجملة الأمر والنهي، والمازني بالدعاء بما لفظه الخبر نحو: (جاء الذي يغفر الله له)، ويقتضي مذهب الكسائي موافقته، **وصاحب الإفصاح: بـ"نعم وبئس"**، وذهب ابن هشام إلى أنه يجوز أن تكون مصدرة بـ"ليت ولعل وعسى". ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩٦- ٩٩٧، و الأزهري: (شرح التصريح)، ص:١/١٦٩.

[٣] ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩٧، وابن هشام: (شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص:١٠٨- ١٠٩، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٥٤- ١٥٥، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٧- ١٤٨، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٦٨- ١٦٩، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣٤- ٢٣٥.

مكانا) و(الذي بك)، إذ لا يتم معناهما إلا بذكر متعلق خاص جائز الذكر، نحو: (جاء الذي سكن مكانا) و(الذي مر بك)[١].

٣-الصفة الصريحة، أي: الخالصة للوصفية، وهي: التي لم يغلب عليها الاسمية؛ لأن فيها معنى الفعل، ولذلك عملت عمله، وصح عطف الفعل عليها، وعطفها عليه، نحو قوله-تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا﴾ [سورة الحديد: ١٨]، وبذلك أشبهت الجملة.

وتختص الصريحة بصلة (أل)، اتفاقا، يقول ابن مالك: وعنيت بالصفة المحضة أسماء الفاعلين، واسم المفعول، والصفات المشبهة بأسماء الفاعلين[٢]، ويرى ابن هشام أن (أل) الداخلة على الصفة المشبهة حرف تعريف، بخلاف ما غلبت عليه الاسمية من الصفات كـ(أبطح): مذكر بطحاء، فإنه في الأصل وصف لكل مكان منبطح من الوادي، ثم غلب على الاسمية فصار مختصا بالأرض المتسعة[٣].

وقد توصل(أل) بالمضارع اختيارا عند بعض الكوفيين استنادا إلى ما ورد في بعض الشواهد الشعرية، ولا يختص ذلك عند ابن مالك بالضرورة، بل بجواز وقوعه على قلة؛ لأنه يرى أن الضرورة ما يضطر إليه الشاعر ولم يجد عنه مخلصا، والجمهور يمنعونه ويخصونه بالضرورة، لأنهم يرون أن الضرورة ما جاء في الشعر ولم يجئ في الكلام، سواء أضطر إليه الشاعر أم لا، فلم يتواردا على محل واحد[٤].

---

[١] ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٩، و (شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١١١، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٥، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٨ و١٥٠، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٩، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣٧.

[٢] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص: ١/ ٢٠١، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٧٠.

[٣] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٠٢- ٢٠٣، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٦٥- ٦٦، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٩- ١٧٠، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١١١- ١١٢، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٥٦- ١٥٨، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٨٩- ٦٩١، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٠- ١٥١، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٩- ١٧٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣٩-٢٤٠.

[٤] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٠٢- ٢٠٣، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٦٥- ٦٦، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٩- ١٧٠، و(شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص: ١١١- ١١٢، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٥٦- ١٥٨، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٨٩- ٦٩١، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٠- ١٥١، والأزهري: (شرح التصريح

حذف الصلة:

يجوز حذف الصلة إذا دل عليها دليل، أو قصد بها الإبهام، ولم تكن صلة (أل)، أو بعد (اللتيا والتي) إذا كانت بمعنى الداهية؛ لم تحتج إلى صلة، نحو قولهم:(بعد الخطة التي من فظاعة شأنها كَيْت وكَيْت)، وإنما حذفوا ليوهموا أنها بلغت من الشدة مبلغا تقاصرت العبارة عن كنهه[1]، وهو مذهب سيبويه، يقول أبو حيان: (وزعم الكوفيون، والبغداديون، وتبعهم ابن مالك: أن الموصول قد يجوز أن يتبع باسم معرفة، فيستغنى بذلك عن الصلة، وأن مثلك قد يكون صلة، فأجازوا (ضربت الذي أخاك)، و(ضربت الذي مثلك)، ولا يجوز ذلك عند البصريين، ومن غريب ما قيل في «الذي» أنه يكون بمعنى الرجل، وكذا «التي» تكون في معنى المرأة و لا صلة لهما حينئذ)[2].

عائد الصلة:

وتتميز الموصولات الاسمية عن الموصولات الحرفية بأن الاسمية لا بد لها من صلة مشتملة على ضمير مطابق لها في الإفراد والتذكير وفروعهما، بخلاف الحرفية فإن صلتها لا ضمير فيها، كما قد يخلف الضمير في الربط الاسم الظاهر، وهذا الضمير يسمى (العائد)؛ لعوده إلى الموصول، ثم إن الموصول إن طابق لفظه معناه؛ فلا إشكال في مطابقة العائد لفظا ومعنى، وإن خالف لفظه معناه بأن يكون مفرد اللفظ مذكرا؛ وأريد به غير ذلك نحو: (من وما)، ففي العائد وجهان: مراعاة اللفظ، وهو الأكثر نحو: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٥] ومراعاة المعنى نحو: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [سورة يونس: ٤٢] ما لم يحصل من مطابقة اللفظ لبس، فإن حصل ولم يعضد المعنى سابق وجب مراعاة المعنى[3].

على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٩- ١٧٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣٩-٢٤٠.

[1] ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/ ٩٩٩- ١٠٠٠، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٧١.

[2] أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/ ٩٩٩.

[3] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١٨٦، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٣، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٤١- ٦٤٢، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٨، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٧، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣٥.

حذف العائد:

يجوز حذف العائد المرفوع بشرطين، هما: الابتداء غير المنسوخ، وأن يكون مخبرا عنه بمفرده، فلا يحذف الفاعل ونائبه ، ولا يحذف الخبر غير المفرد، ولا فرق في ذلك بين صلة (أي) وغيرها، وذلك نحو قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ [سورة الزخرف: ٨٤]، فإله: خبر مبتدأ محذوف تقديره: (هو إله)، وذلك المبتدأ هو العائد؛ وخبره مفرد وهو (إله)، وفي السماء: متعلق بإله؛ لأنه بمعنى معبود، أي: (هو إله في السماء، معبود فيها)، ولا يجوز تقدير إله مبتدأ مخبرا عنه بالظرف، أو فاعلا بالظرف؛ لأن الصلة حينئذ خالية من العائد، ولا يحسن تقدير الظرف صلة، وإله بدل من الضمير المستتر فيه[1].

وقد أضاف أبو حيان شروطا أخرى هي:

" ١/ أن لا يكون معطوفا على غيره، فإنه إن كان معطوفا على غيره؛ لم يجز حذفه، نحو: (جاءني الذي زيد وهو منطلقان).

٢/ أن لا يكون معطوفا عليه غيره، نحو: (جاءني الذي هو وزيد فاضلان)، وفيه خلاف حيث يمتنع عند البصريين، إلا أن الفراء وابن السراج أجازا حذفه، نحو: (جاءني الذي وزيد فاضلان)، و قال فيه أبو حيان : لم يسمع من كلام العرب، و يؤدي إلى وقوع حرف العطف صدرا.

٣/ أن لا يكون محصورا، نحو:(جاءني الذي ما في الدار إلا هو).

٤/ أن لا يكون في معنى المحصور، نحو: (جاءني الذي إنما في الدار هو).

٥/ أن لا يكون بعد حرف نفي، نحو: (جاءني الذي ما هو قائم).

٦/ أن لا يكون بعد "لولا" نحو: (جاءني الذي لولا هو لقمت)"[2].

---

[1] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٠٧- ٢٠٨، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٨٥- ٨٧، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٧١، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٥، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٠٣، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٦، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٧١- ١٧٢، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤٧- ٢٤٨.

[2] أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٨٥- ٨٧، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٦، وينظر أيضا: الصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤٧- ٢٤٨.

ولا يكثر الحذف للضمير المرفوع في صلة غير (أي) عند البصريين، إلا إن طالت الصلة[١]، إما بمعمول الخبر أو بغيره، سواء تقدم المعمول على الخبر أو تأخر، أما الكوفيون فلا يشترطون في حذف العائد المرفوع استطالة الصلة، ويقيسون على ذلك المسموع من الآيات والشواهد الشعرية ونحوهما، وتبعهم ابن مالك إلا أنه جعله قليل الوقوع.[٢]

ويجوز حذف العائد المنصوب إن كان متصلا، وناصبه فعل أو وصف غير صلة (أل)، وشرط الفعل أن يكون تاما، وقال ابن عصفور: شرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعينا للربط كما مثل، فلو كان غير متعين؛ لم يجز حذفه نحو: (جاء الذي أكرمته في داره) فإن العائد أحدهما لا بعينه، ورُدّ عليه بأنه متى كان العائد أحدهما لا بعينه لا يسمى منصوبا ولا مجرورا.

كما أن العائد المنصوب بالوصف المقرون بـ(أل) إن كان عائدا على غير (أل) جاز حذفه، وإن كان عائدا على (أل) نحو: (جاءني الضاربه زيد) امتنع حذفه، وحذف منصوب الفعل كثير الورود؛ لأن الأصل في العمل للفعل، فكثر تصرفهم في معموله بالحذف، أما حذف منصوب الوصف فقليل جدا، بل قال الفارسي: لا يكاد يسمع من العرب، وقال ابن السراج: أجازوه على قبح، وقال المبرد: رديء جدا، وقد سوى ابن مالك بين منصوب الفعل والوصف في كثرة الحذف[٣].

كما يجوز حذف العائد المجرور بالإضافة، إن كان المضاف الجار للعائد وصفا ناصبا للعائد تقديرا بأن كان اسم فاعل بمعنى الحال أو الاستقبال غير ماض، خلافا للكسائي، و يجوز حذف العائد المجرور بالحرف إن كان في وضع نصب، وكان الموصول أو الاسم الموصوف بالموصول مجرورا

---

[١] ويستثنى من اشتراط الطول: (لا سيما زيد) فإنهم جوزوا في (زيد) إذا رفع أن تكون (ما) موصولة، و(زيد) خبر مبتدأ محذوف وجوبا، والتقدير: لا سي الذي هو زيد، فحذف العائد وجوبا، ولم تطل الصلة، وهو مقيس وليس بشاذ، وذلك لأنهم نزلوا (لا سيما) منزلة (إلا) الاستثنائية، فناسب أن لا يصرح بعدها بجملة، فإن قلت: (لا سيما زيد الصالح) فلا استثناء لطول الصلة بالنعت. ينظر: ابن عقيل: (شرح ابن عقيل)، ص: ١/ ١٦٦، والأزهري: (شرح التصريح)،ص:١/١٧٢.

[٢] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص: ١/ ٢٠٧، والسيوطي: (همع الهوامع)،ص: ١/ ٩٠، والأزهري: (شرح التصريح)،ص:١/١٧٢- ١٧٣.

[٣] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٠٤، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٧٢- ٧٤، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٧٣- ١٧٥، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٩- ١٧١، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٩٢- ٦٩٣، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٦و ١٥٩، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٧٣- ١٧٥، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤٩- ٢٥٠.

بمثل ذلك الحرف لفظا ومعنى، أو معنى فقط، و اتفقا فيهما متعلقا، سواء اتفق المتعلقان لفظا ومعنى، أو معنى فقط، أم اختلفا نوعا واتحدا مادة؛ لأن الضمير عبارة عن الموصول أو الموصوف به، فلا بد أن يكون الجار لهما متحدا من جهة المعنى والمتعلق، فإذا حذف الجار والمجرور كان في الكلام ما يدل عليهما، وذلك نحو قوله -تعالى-: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٣٣] فالموصول وهو (ما) مجرور بـ (من) التبعيضية، وهي متعلقة بـ (يشرب) قبلها، والعائد المحذوف مجرور بـ (من) التبعيضية وهي متعلقة بـ(تشربون) والتقدير: ويشرب من الذي يشربون منه فاتفق الحرفان لفظا أو معنى ومتعلقا، وأقيم الموصوف بالموصول مقام الموصول؛ لأنه نفسه في المعنى[(١)].

ويمتنع الحذف إذا كان العائد المجرور محصورا، نحو: (مررت بالذي ما مررت إلّا به)، أو كان نائبا عن الفاعل، نحو: (مررت بالذي مر به)، أو كان لا يتعين للربط، نحو: (مررت بالذي مررت به في داره)، أو كان حذفه ملبسا، نحو: (رغبت فيما رغبت فيه)؛ لأنه لا يعلم أن الأصل فيه أو عنه، وجوزه بعضهم لأن الحذف يدل على اتفاق الحرفين، ولو كانا متباينين لم يجر الحذف؛ لأنه مشروط فيه اتفاق الحرفين وهذا أوفق[(٢)].

ومما تحسن الإشارة إليه في (أنواع صلة الموصول)[(٣)]:

١-أن صلة الموصول، سواء أكانت جملة بنوعَيْها، أم ظرفًا، أم جارًّا ومجرورًا؛ فإنها لا محل لها من الإعراب، وهذا الحكم مُتَّفق عليه بين النحاة.

---

(١) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ٢٠٥- ٢٠٧، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٧٦- ٧٩، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٧٦، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٧٣، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٩٧- ٦٩٩، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٠، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٧٦، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٥١- ٢٥٢.

(٢) ينظر: ابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٧٥، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٠٢، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٠، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٧٨، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٥١- ٢٥٢.

(٣) ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١٨٦، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٣، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٨، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٧، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣٥.

٢-أن جملة الصلة، سواء أكانت جملة اسميةً، أم جملة فعليةً، لا بد أن تشتمل على ضمير يعود على الاسم الموصول، ويطابقه في النوع (التذكير والتأنيث)، وفي العدد (الإفراد والتثنية والجمع)، ويسمى هذا الضمير بالعائد، وهذا بخلاف ما لو كانت صلة الموصول ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا، فإنها لا تحتاج إلى هذا الضمير العائد على الاسم الموصول.

- **أقسام الموصول:**

و تنقسم الأسماء الموصولة إلى قسمين هما؛ حرفي واسمي:

فالموصول الحرفي هو: "الذي يؤول مع ما يليه بمصدر، و لا يحتاج إلى عائد بخلاف الاسمي فإنه لا تأويل فيه، ولا بد له من العائد"[١]، وعلامته صحة وقوع المصدر موقعه[٢].

والموصولات الحرفية خمسة[٣]هي: أنْ النّاصبة للفعل، وأنّ المؤكّدة، وكي، وما، ولو[٤].

١/ أنْ المصدرية: بفتح الهمزة وسكون النون، وهي الناصبة للمضارع: وتوصل بفعل متصرف ماضيا

---

[١] ناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:٢/ ٦٥١، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٤، و والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٨.

[٢] ينظر: ابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤١.

[٣] وقيل بل ستة على الوجه الذي حكاه الفارسي في الشيرازيات عن يونس بن حبيب، حيث أنه جعل (الذي) من الموصول الحرفي، وتبعه الفراء، وابن مالك في أنه يسبك منها ومن صلتها مصدر، وخرجا عليه قوله -تعالى-: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [سورة التوبة:٦٩] ، فالذي هنا مصدرية، أي: كخوضهم، ويرى أبو حيان أن الصحيح منع ذلك، وهو مذهب البصريين، ويقول الرضي: لا خلاف في اسمية (الذي) المصدرية، والمانعون يدعون أن أصل (الذي) هو (الذين)، حذفت النون على لغة، أو أن الأصل: (كالخوض الذي خاضوه)، فحذف الموصوف والعائد، أو أن الأصل: (كالجمع الذي خاضوا)، فأفرد أولًا باعتبار لفظ الجمع وجمع ثانيًا باعتبار معناه، وقيل (الذي) باعتبار لفظ الجمع، وقيل (خاضوا) باعتبار معناه، أو أنه أوقع (الذي) على الجمع، أو أن (الذي) مشترك بين المفرد والجمع على قول الأخفش، واستشكل اللقاني القول بأنها تكون موصولًا حرفيًا باقترانها بأل لأنها بجميع أقسامها من خواص الاسم، وأقره الأشموني وغيره، غير أن أل الموصولة تدخل على غير الاسم ولم يدفع هذا بحجة فلم لا يكون الذي مثلها.. ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩٦، و الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٨- ١٤٩، و الصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٥٤- ٢٥٥.

[٤] ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩١، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤٣، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص: ١/١٤١، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:٢/٧٥٤، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٦٤، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٤٨، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/٢٥٥.

كان أو مضارعا، أو أمرا[1] ، نحو قوله -تعالى-: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤] ، أي: صومكم خير لكم، وإن وقع بعدها فعل غير متصرف نحو قوله -تعالى-: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٥]، فهي مخففة من الثقيلة[2].

٢/ أنّ المؤكّدة: المفتوحة الهمزة المشددة النون، وتوصل بجملة اسمية، فتنصب الاسم وترفع الخبر، وتتكون صلتها من اسمها وخبرها، وتؤول مع معموليها بمصدر، نحو قوله -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾ [سورة العنكبوت: ٥١] أي: إنزالنا، فإن كان خبرها مشتقا فالمصدر المؤول من لفظه، وإن كان جامدا أُوّل بالكون، مضافا إلى اسمها، وإن كان ظرفا أو مجرورا أُوّل بالاستقرار، أو ما في معناه مضافا إلى الاسم، وحكم الفعل في التصرف والجمود حكم الاسم فيهما، وحكم المخففة من الثقيلة حكم المشددة في ذلك، وتوصل باسمها وخبرها لكن اسمها يكون في الغالب ضمير الشأن محذوفا، وخبرها جملة، أما المثقلة فاسمها دائما مذكورا[3].

---

[1] ويرى أبو حيان أنه: لا يقوى وصل أن بفعل الأمر وذلك لوجهين: أحدهما: أنه إذا سبكت من أن وفعل الأمر مصدرا فات معنى الأمر المطلوب والمدلول عليه بالصيغة. والثاني: أنه لا يوجد من لسان العرب يعجبني أن قم ولا أجبت أن قم ولا عجبت من أن قم وكون ذلك مفقودا في لسانهم دليل على أنها لا توصل بفعل الأمر، ولو كانت توصل به لجاز، وأمّا ما حكى سيبويه من كلامهم: كتبت إليه بأن قم فالباء زائدة. وأجاب ابن هشام عن الأول بأن: فوات معنى الأمر لا يضر كفوات معنى المضي والاستقبال، وعن الثاني بأن: عدم الجواز إنما هو من عدم صحة تعلق الاعجاب ونحوه بالإنشاء، فلا معنى لقولك: يعجبني أن قم ولا أحببت أن قم؛ لأنه إنما تعجب أو يحب ما يمكن أن يكون له خارج، والطلب إنشاء والإنشاء لا خارج له، لذا فالاستدلال به ظاهر الفساد، كما أن الحكم بزيادة الباء في قوله: (كتبت إليه بأن قم) غير مرضي؛ لأن حروف الجر ولو كانت زائدة إنما تباشر الأسماء الصريحة أو المؤولة، وقال الدماميني: إنما زيدت الباء فيه لكراهة دخول حرف الجر على الفعل في الظاهر، والمعنى كتبت إليه بقم أو بلا تقم أي: بهذا اللفظ فالباء إنما دخلت في الحقيقة على اسم. ينظر: أبو حيان: (التذييل والتكميل)، ص: ٣/ ١٤٨-١٤٩، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)،ص:٢/ ٧٥٥- ٧٥٦، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/٢٥٥- ٢٥٦.

[2] وذهب الزمخشري: إلى أن (أن) تشارك (ما) في النيابة عن الظرف، وخرج على ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨] أي:(وقت أن آتاه الله). ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩٤- ٩٩٥، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/٧٥٩.

[3] ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩١، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٨، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:٢/٧٥٤، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٤٨، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/٢٥٥.

٣/ كي المصدرية: الناصبة للمضارع؛ ولا بد أن تسبقها لام التعليل، لفظا أو تقديرا، ولا تكون صلتها إلا جملة مضارعية؛ وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، أي: لعدم كون على المؤمنين حرج[١].

٤/ ما المصدرية[٢]: وتكون مصدرية ظرفية وغير ظرفية، وتوصل بفعل متصرف غير أمر، وبجملة اسمية[٣] لم تصدر بحرف وهو قليل، وأكثر ما توصل الظرفية المصدرية بالماضي أو بالمضارع المنفي بلم، ويقل وصلها بالفعل المضارع الذي ليس منفيا بلم ، وتوصل في الغالب بماض مثبت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦] ، أي: بنسيانهم إياه، ويجوز تقديم معمول صلتها الفضلة على الصلة نحو: (عجبت مما زيدًا تضرب). [٤]

---

[١] ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/٩٩١، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٨، و، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٤٨.

[٢] ومذهب الجمهور أنها حرف، وذهب أبو الحسن، وابن السراج، وجماعة من الكوفيين إلى أنها اسم، فإذا قلت: (يعجبني ما قمت)، فيقدره سيبويه، والجمهور(قيامك)، ويقدره الأخفش (الذي قمت)، وقبله موصوف محذوف أي: (القيام الذي قمت)، والتفريع على مذهب الجمهور، وزعم بعض النحاة أن شَرْطها صلاحية وقوع (ما) الموصولة الاسمية موقعها، وأن الفعل الذي بعدها لا يكون خاصًا فلا يجوز أن تقول: أريد ما تخرج (أي خروجك) فتقول: أحب ما صنعت؛ لأن الخروج خاص والصنع مبهم، وذهب السهيلي إلى هذا قال: الفعل يقتضي التنويع نحو: (أعجبني ما صنعت)؛ لأن الصنع عام، ولا تقول: (أعجبني ما جلست ولا ما تجلس)؛ لأن الجلوس نوع خاص ليس مبهمًا. ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/ ٩٩٣-٩٩٤.

[٣] ومذهب سيبويه والجمهور: أن الجملة الاسمية لا تكون صلة لها، وأجاز ذلك قوم منهم السيرافي، وتبعه الأعلم، وابن خروف وجاء أيضًا ما ظاهره أنها إذا نابت عن الظرف توصل بالجملة الاسمية نحو: (لا أتيك ما أن في السماء نجما)، أي: (ما دام أن في السماء نجمًا)، أو ما كان أن؛ يقول أبو حيان: هذا من مواضع الفعل؛ لأن (ما) تكون مع الفعل مصدرًا، ولا يكون الاسم صلة لما، ومن قال: ما أن في السماء نجم أضمر الهاء أي: (ما أنه في السماء نجم) و من قال من أصحابنا: إن (أن) فعل ماض من الأنين فقد غلط؛ لأن النجم لا يئن، ويجوز عندي أن يكون الأصل ما عن في السماء نجم أي: (ما عرض) وأبدل من العين همزة؛ لأن الهمزة، والعين يبدل بعضها من بعض. ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/ ٩٩٥- ٩٩٦.

[٤] ينظر: أبو حيان: (ارتشاف الضرب)، ص:٢/ ٩٩٣-٩٩٣، و ابن عقيل: (شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٩، و والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٤٨، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٥٦.

٥/ لو المصدرية: وتوصل بفعل متصرف غير أمر، فتوصل بالماضي والمضارع، نحو قوله -تعالى-: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [سورة البقرة: ٩٦] ، أي: التعمير.[١].

يقول أبو حيان: "وتأتي غالبًا تالية لمفهم تمن، ومذهب الجمهور فيها أنها لا تكون مصدرية بل يفارقها التعليق، وهو قول أشياخنا؛ وذهب الفراء، والفارسي والتبريزي، وأبو البقاء، وتبعهم ابن مالك إلى أنها قد تكون مصدرية فلا تحتاج إلى جواب، وخرجوا على ذلك آيات من القرآن الكريم"[٢].

أما الموصول الاسمي فهو: " كل اسم افتقر إلى الوصل بجملة خبرية، أو ظرف، أو جار ومجرور تامين، أو وصف صريح، وإلى عائد أو خلفه"[٣]، وهو ضربان:[٤]

١-اسم موصول نص مختص في معناه لا يتجاوزه إلى غيره، مقصور عليه لا يتعداه، ويقوم على مبدإ التماثل والتطابق فيما هو موجود ، نحو : (الذي والتي والذين ...إلخ).

٢-اسم موصول مشترك عام بين معان مختلفة بلفظ واحد يصلح لها جميعا، ولا يتحقق فيه مبدأ التماثل ، نحو: (ما ومن ...).

- ألفاظ الأسماء الموصولة المختصة:

وللأسماء الموصولة المختصة ألفاظ معينة للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث تستعمل حسبما يقتضيها المقام والسياق وهي:

---

[١] ينظر: ابن عقيل: (شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك)، ص:١/١٤١، و الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٤٨- ١٤٩، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٥٦.

[٢] أبو حيان: (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:٢/ ٩٩٢.

[٣] ابن هشام: (شرح شذور الذهب لابن هشام)، ص: ١٨٣، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٢٦، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٤٩،

[٤] ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص: ١/ ١٤٤، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٢٧، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٠، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ٢١٣.

١- (الذي)[١] للمفرد المذكَّر العالِم وغيره ؛ عاقلا كان أو غير عاقل[٢]، نحو قول الله -تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٧].

٢-(التي) للمفردة المؤنثة العاقلة وغيرها[٣]؛ نحو قول الله -تعالى-: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة المجادلة: ١].

وفي (الذي والتي) ست لغات هي: إثبات الياء، وعليه تكون إما خفيفة فتكون ساكنة، وأما شديدة فتكون إما مكسورة أو جارية بوجوه الإعراب، أما مع حذف الياء فتحذف مع بقاء الكسرة،

---

[١] مذهب سيبويه أن أصل الذي (لذي) كعمي وشجي، وكذا التي أصلها عنده (لتي) وهو مذهب البصريين كذلك، فالذال والتاء وحدهما ليستا هي الاسم فيهما، واللام والياء فيهما أصلان لأنهما إسمان ظاهران، فلم يكونا على حرف واحد كسائر الأسماء الظاهرة. ومذهب السهيلي أن أصل الذي (ذو) بمعنى صاحب، ومذهب الفراء أن أصل الذي (ذا) والتي (تي) وهو مذهب الكوفيين الذين يرون أن الاسم في الذي الذال وحدها وفي التي التاء وحدها وما يزيد عليهما تكثير لهما، لأن الياء تسقط في التثنية، ولو كانت أصلا لم تسقط، ولحذفها في الشعر وتسكين الذال، واللام إنما زيدت ليمكن النطق بالذال ساكنة، ولتدخل اللام على متحرك. وأجيب عما قاله الكوفيون بأنه ليس بتثنية حقيقة، وحذفها في الشعر من الشذوذ لا يدل على زيادتها، وقد حذف كثير من الأصول في الشعر، والألف واللام في (الذي) زائدتان لا للتعريف، والتعريف بالصلة بدليل تعرف من وما بها إذا لا لام فيهما، ولأنهما لو حصلا التعريف لكان الاسم مستعملا بدونهما نكرة؛ إذ جميع ما تدخل عليه لام التعريف كذلك، ورب زائد يلزم كالفاء في: (خرجت فإذا زيد). ينظر: أبو البركات الأنباري: (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين)، ص:٦٦٦/٢، (بتصرف)، و الرضي: (شرح الكافية)، ص:٢٥١/٣، وأبو حيان: (التذييل والتكميل)، ص:١٩/٣-٢٠، و ناظر الجيش: (تمهيد القواعد)، ص:٢/ ٦٥١- ٦٥٢.

[٢] ينظر: ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/ ٣٧٢، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١٨٨،والرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٥١/٣، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢٠، و(ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:١٠٠٢/٢، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٤٤/١، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١٤١/١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٥١، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٢٧، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٤.

[٣] ينظر: ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/ ٣٧٢، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١٨٨،الرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٥١/٣، و أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢٠، و(ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:١٠٠٢/٢، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١٤٥/١، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١٤١/١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٥١، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٢٧، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٤.

كما كان قبل الحذف، أو مع إسكان الذال أو التاء، وتشديدها[١] مكسورة ومضمومة، والسادسة حذف الألف واللام وتخفيف الياء ساكنة[٢].

٣-(اللذانِ) بالألف، و(اللذينِ) بالياء للمثنى المذكر[٣]؛ نحو قول الله -تعالى-: ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء: ١٦]، وقوله - عز وجل-: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ [سورة فصلت: ٢٩].

٤- (اللتان) بالألف، و(اللتين) بالياء للمثنى المؤنث[٤]؛ نحو: جاءت الطالبتان اللتان رسبتا - رأيت الطالبتين اللتين رسبتا.

ويجوز أن تأتي "اللذان واللتان" بتشديد النون وكذلك مع الياء في "اللذين واللتين" والمقصود بالتشديد أن يكون عوضا عن الياء المحذوفة[٥]، كما يجوز حذف النون في حالة الرفع، تقصيرا

---

[١] يقول أبو حيان: "لا يحفظ التشديد في التي إنما حفظ في الذي، ومن تعرض لحصر لغات الذي، والتي كالهروي، والدينوري، والجوهري، لم يذكروا ذلك" ذكره في (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص: ١٠٠٢/٢، و(التذييل والتكميل)، ص:٢٥/٣.

[٢] ينظر: ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص: ٢/ ٣٧٢، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١٨٩، و ناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٥٢- ٦٥٥، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٢٧- ١٢٨، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/١٥٠، والصبان: (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٤.

[٣] ينظر: ابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/ ٣٧١، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١٩١،الرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٥٣/٣، وأبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢٥، و(ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:١٠٠٣/٢، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤٥، و(شرح قطر الندى وبل الصدى) ، ص: ١٠١، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٥٥، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٢٨، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٥.

[٤] ينظر: الزمخشري: (المفصل في صنعة الإعراب)، ص:١/ ١٨٢، وابن يعيش: (شرح المفصل)، ص:٢/ ٣٧١، وابن مالك: (شرح التسهيل)،ص:١/ ١٩١،الرضي:(شرح الكافية)،ص:٢٥٣/٣، وأبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢٥، و(ارتشاف الضرب من لسان العرب)، ص:١٠٠٣/٢، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤٥، و(شرح قطر الندى وبل الصدى) ، ص: ١٠١، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٦٥٥، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٢٨، والأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٥.

[٥] "جمهور العرب يخفف النون فيهما، (وتميم وقيس) تشدد النون فيهما تعويضا من المحذوف منهما وهو: الياء في "الذي والتي"، أو تأكيدا للفرق بين تثنية المبني والمعرب الحاصل بحذف الياء، ولا يختص ذلك التشديد بحالة الرفع عند الكوفيين، بل يكون فيها

للموصول لطوله بالصلة، لكونهما كالشيء الواحد، ولعدم الإلباس بالمفرد، وهي لغة عند بلحارث بن كعب، وبعض ربيعة.

وعليه فإن في نون الموصول ثلاث لغات هي: الإثبات والحذف والتشديد[1].

٥- (الذينَ) لجمع الذكور العقلاء، بالياء مطلقا أي: رفعا ونصبا وجرا، نحو قول الله -تعالى-: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ [سورة البقرة: ١٦]، وقد يقال بالواو رفعا نطقا، وهي لغة لهذيل أوعقيل، كما يأتي (الألى) أيضا مقصورا وقد يمد في جمع من يعقل من الذكور، وقد يستعمل في غيره قليلا، كما قد يستعمل أيضا جمعا للتي، و(الألى) اسم جمع، لا جمع، فإطلاق الجمع عليه مجاز[2].

٦- (اللائي واللاتي) لجماعة الإناث بإثبات الياء وحذفها فيهما؛ نحو قول الله -تعالى-: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ [النساء: ١٥]، وقوله عز وجل: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [الطلاق: ٤]، كما قد يقع (اللائي) جمعا (للذي) قليلا، كما وقع (الألى) جمعا (للتي) وقد تُجْمع (التي) أيضا على (اللواتي) بإثبات الياء وحذفها، وعلى (اللواء) ممدودا ومقصورا، وعلى (اللا) بالقصر، و(اللاءات) مبنيا على

وفي حالتي الجر والنصب، خلافا للبصريين في زعمهم أن التشديد مختص بحالة الرفع؛ لأنه قد قرئ في السبع: "رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِّ" [سورة فصلت: ٢٩]، بالتشديد في حالة النصب في "اللذين"، كما قرئ في حالة الرفع: "وَالَّذَانِّ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ" [سورة النساء: ١٦]، بالتشديد كذلك". ينظر: الرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٣٢، وأبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢٥-٢٦، وابن هشام:(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٥- ١٤٦، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤١، وناظر الجيش:(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)،ص:٢/ ٧٩٩، والأشموني:(شرح الأشموني لألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٢٨، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥١.

[1] ينظر: أبو حيان:(التذييل والتكميل)،ص:٣/ ٢٦-٢٧، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤٦، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥١-١٥٢، ، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٥.

[2] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ١٩١- ١٩٢، والرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٥٦، وأبو حيان:(التذييل والتكميل)، ص:٣/ ٢٨، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٩، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٤٢و١٤٤، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٦٣، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٢٩-١٣١، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٢- ١٥٣. والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٦- ٢١٧.

الكسرة، أي: معربا إعراب (أولات)؛ وليست هذه بجموع حقيقة، وإنما هي أسماء جموع[1].

وعلى ذلك، فالّذين جمع للذي مرادا به من يعقل واللّائين جمع اللّاء مرادف الذين، واللّاءات جمع اللّاء مرادف اللّاتي وكذلك اللوائي واللّواتي هما معان للاء واللّاتي[2].

- ألفاظ الأسماء الموصولة العامة المشتركة:

وللأسماء الموصولة العامة ألفاظ معينة، يشترك في اللفظ الواحد منها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وتستعمل حسبما يقتضيها المقام والسياق للعاقل وغيره وهي:

١- (مَن) و يكون للعاقل فيستعمل للمذكر والمؤنث مفردا كان أو مثنى أو جمعا[3]، وذلك نحو: (جاءني من قام) و(من قامت) و(من قاما) و(من قامتا) و(من قاموا) و(من قمن)، ومنه قولُ الله - تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، فالتقدير في هذه الآية: للذي كان يرجو الله واليوم الآخر، وجملة (كان يرجو الله واليوم الآخر) لا محل لها من الإعراب، صلة الموصول

---

[1] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ١٩٥، والرضي: (شرح الكافية)،ص:٢٥٦/٣، وأبو حيان:(التذييل والتكميل)، ص:٣١/٣، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٠، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٥، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٦٤، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣١-١٣٢، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٤، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٨.

[2] ينظر: ناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٦٤.

[3] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ٢١٢-٢١٣، وأبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:١٠٠٨/٢، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢-١٥٥، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٧- ١٤٨، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٧٣٨، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣٣-١٣٥، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٥-١٥٧، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٩-٢٢٣(بتصرف).

الاسمي (مَن)، فالأصل استعمالها في العالم، وتستعمل في غيره[1] في ثلاثة مواضع هي[2]:

- أن يقترن غير العاقل مع من يعقل في عموم فصل بمن الجارة، نحو قوله – تعالى–: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ [سورة النور: ٤٥]، فقد وقعت (من) على غير العاقل، والذي جوز ذلك اقتران غير العاقل بالعاقل، في عموم فصل بـ(من) الموصولة؛ لاقترانهما بالعاقل في عموم (كل دابة) التي تشمل العاقل وغيره، ومن المستعملة فيما لا يعقل مجاز مرسل علاقته المجاورة في هذا الموضع.
- أن يُشَبّه غير العاقل بالعاقل فيستعار له لفظه، نحو قوله – تعالى–: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ [سورة الأحقاف: ٥]، فقد جاءت (من) لغير العاقل، على سبيل التطّفل؛ وذلك لأنه أنزل ما وقعت عليه منزلة العاقل؛ لأن الذي يدعونه من دون الله، لا يعقل شيئا، ولكن لما اتخذه المشتركون إلها لهم، فقد أنزل منزلة العاقل، واستعمال (من) فيما لا يعقل حينئذ استعارة، لأن العلاقة المشابهة.
- أن يختلط من يعقل بما لا يعقل أي: يكون مضمون الكلام متجها إلى شيء يشمل العاقل، وغيره، ولكنك تراعي العاقل فتغلبه على غيره، نحو قول الله – تعالى–: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد: ١٥]، فقد وقعت (من) على من لا يعقل، والذي سوغ ذلك اجتماع العاقل مع غير العاقل فيما دخلت عليه من؛ لأن (من في السموات) يشمل الملائكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها، و(من في الأرض) يشمل الآدميين، والجبال والشجر وسوى ذلك، واستعمال (من) فيما لا يعقل في هذا الموضع من باب التغليب، و الأصل تغليب من يعقل على ما لا يعقل، وقد يغلب ما لا يعقل على من يعقل، لنكتة، وهذه النكت تختلف باختلاف الاحوال والمقامات.

---

[1] وقد أجاز قطرب وقوع (من) على ما لا يعقل بلا شرط، واستدل بما لا حجة فيه. ينظر: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي "المتوفى : ٧٤٩هـ": (توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، (ط:١)، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م، ص:١/٤٢٩.

[2] ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢–١٥٥، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٧– ١٤٨، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣٣–١٣٥، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٥–١٥٧، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٩–٢٢٣(بتصرف).

والأكثر في ضميرها اعتبار اللفظ، نحو قوله – تعالى–: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [سورة يونس:٤٠]، ويجوز اعتبار المعنى نحو قولُ الله – تعالى–:﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ [يونس: ٤٢]؛ أي: ومنهم الذين يستمعون إليك، حيث راعى في (من) معناها، فجمع الضمير في الفعل.

٢–(ما) وتستعمل لغير العاقل المفرد والمثنى والجمع، المذكر والمؤنث[١]، وذلك نحو: (أعجبني ما ركب) و(ما ركبت) و(ما ركبا) و(ما ركبتا) و(ما ركبوا) و(ما ركبن)، ومنه قول الله – تعالى–: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ [سورة القصص: ٧٩]؛ فالمعنى: مثل الذي أوتي قارون، فالأصل استعمالها في غير العالم، وتستعمل للعالم في ثلاثة مواضع هي[٢]:

- أن يختلط العاقل مع غير العاقل فيغلب غير العاقل على العاقل، نحو قوله – تعالى–: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[سورة الحشر:١]، فإن (ما) يتناول ما فيهما من إنس وملك وجن وحيوان وجماد، بدليل قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[سورة الإسراء: ٤٤]، فقد استعمل (ما) في العاقل، عن طريق الاستعارة، أو المجاز المرسل.
- أن يكون أمره مبهما على المتكلم، فلا يدرى أهو إنسان أم غير إنسان، كقولك وقد رأيت شبحا من بعيد: انظر ما أرى، وكذلك إذا علمت إنسانيته، ولكنك لا تدري أمؤنث هو أم مذكر؟ نحو قوله تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[سورة آل عمران: ٣٥]،

وقيل ليس ذلك منه لأن إبهام ذكورته وأنوثته لا يخرجه عن العقل، بل استعمال (ما) هنا في ما لا يعقل لأن الحمل ملحق بالجماد.

---

[١] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ٢١٢–٢١٣، وأبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:١٠٠٨/٢، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢–١٥٥، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٧– ١٤٨، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٧٣٨، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣٣–١٣٥، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٥–١٥٧، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٩–٢٢٣(بتصرف).

[٢] ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢–١٥٥، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٧– ١٤٨، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣٣–١٣٥، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٥–١٥٧، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٩–٢٢٣(بتصرف).

- أن يكون المراد صفات من يعقل، وتستعمل أيضا في صفات العالم، كقوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء: ٣]، فقد استعمل (ما) اسما موصولا في أفراد العاقل وصفاته؛ لأن المراد ما طاب لكم من النساء، الصفات غير المفهومة من الصلة كالبكارة والثيوبة وسوى ذلك.

*وكما تقع (من و ما) موصولتين تقع استفهاميتين، نحو: (من عندك؟)، و(ما عندك؟)، وشرطيتين، نحو قوله – تعالى-: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [سورة الأعراف: ١٧٨]، و ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢]، ونكرتين موصوفتين، نحو: (مررت بمن معجب لك)، و(بما معجب لك)، ويكونان أيضا نكرتين تامتين[١]، والذي يحدد هل هما اسمان موصولان، أو اسما شرطٍ أو غير ذلك هو سياق الكلام الذي وردَا فيه، وأيًّا كان نوع هذينِ الاسمين فيما وردَا فيه من آية أو حديث نبوي، فإنهما، سواء أدلّ السياق على أنهما اسمان موصولان، أم اسما شرطٍ أم غير ذلك فهما مِن ألفاظ العموم.

٣-(الألف واللام) وتكون بلفظ واحد للعاقل وغيره، المذكر والمؤنث المفرد والمثنى والمجموع ويلزم في ضمير (أل) اعتبار المعنى وذلك نحو: (جاءني القائم) و(القائمة) و(القائمان) و(القائمتان) و(القائمون) و(القائمات)،[٢] ومنه قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ [سورة الحديد: ١٨].

واختُلِف فيها فذهب جمهور النحاة إلى أنها اسم موصول وهو الصحيح، وقال المازني[٣]:

---

[١] ينظر: ابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٧- ١٤٨، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/١٣٣-١٣٥، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢١٩-٢٢٣(بتصرف).

[٢] ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص: ١/١٥٩، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٩، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٣٩، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٢٦.

[٣] هو: أبو عثمان، بكر بن محمد بن بقية المازني، من بني مازن بن شيبان، كان إماما في العربية ثقة واسع الرواية، لا يناظره أحد إلا قطعه؛ لقدرته على الكلام، وهو بصري أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي، وأبي زيد، وروى عن المبرد، قيل فيه: لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان، من مصنفاته: تفسير كتاب سيبويه، وعلل النحو، والتصريف، و مات سنة ٢٤٩هـ بالبصرة. ينظر: السيوطي: (بغية الوعاة)، ص: ١/ ٤٦٣، والزركلي: (الأعلام)، ص: ٢/ ٤٤.

إنها حرف موصول، وقال الأخفش[(١)]: إنها حرف تعريف وليست من الموصولية في شيء[(٢)].

أما الدليل على اسميتها فما يلي:

الأول: عود الضمير عليها في نحو: (قد أفلح المتقي ربه)، وقال المازني: عائد على موصوف محذوف، ورد بأن لحذف الموصوف مظان لا يحذف في غيرها إلا لضرورة، وليس هذا منها.

الثاني: استحسان خلو الصفة معها عن الموصوف، نحو: (جاء الكريم)، فلولا أنها اسم موصول قد اعتمدت الصفة عليه كما تعتمد على الموصوف لقبح خلوها عن الموصوف.

الثالث: إعمال اسم الفاعل معها بمعنى المضي، فلولا أنها موصولة واسم الفاعل في تأويل الفعل، لكان منع اسم الفاعل حينئذٍ معها أحق منه بدونها.

الرابع: دخولها على الفعل في نحو قول الشاعر:

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرضَى حُكومَتُهُ ... ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل[(٣)]

---

(١) هو: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش البصري، وهو الأخفش الأوسط، أحد أئمة النحاة البصريين، قرأ النحو على سيبويه، وكان أكبر منه، وصحب الخليل، ولم يأخذ منه، وقرأ كتابه سيبويه على الكسائي، وكان أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل، له مصنفات عديدة، منها: المقاييس في النحو، والأوسط، والاشتقاق. مات سنة: ٢١٥هـ. ينظر: السيوطي: (بغية الوعاة)، ص: ١/ ٥٩، والزركلي: (الأعلام)، ص: ٣/ ١٥٤.

(٢) و حجة الأخفش في حرفيتها أن العامل يتخطَّاها، نحو: (جاء الكتاب)، كما يتخطاها مع الجامد، نحو: (جاء الرجل)، وهي مع الجامد معرفة اتفاقا، فتكون كذلك مع المشتق، ورُدَّ عليه بالفرق بأنها مع المشتق داخلة على الفعل تقديرا؛ لأن المشتق في تقدير الفعل، فيعود عليها ضمير، و"أل" المعرفة لا يعود عليها ضمير، وإنما نقل الإعراب إلى ما بعدها لكونها على صورة الحرف، وقال الشلوبين: الدليل على أن الألف واللام حرف قولك: (جاء القائم) فلو كانت اسما لكان فاعلا، واستحق (قائم) البناء؛ لأنه على هذا التقدير مهمل؛ لأنه صلة، والصلة لا يسلط عليها عامل الموصول، ورد عليه ابن مالك بأن مقتضى الدليل أن يظهر عمل عامل الموصول في آخر الصلة؛ لأن نسبتها منه نسبة عجز المركب منه، لكن منع من ذلك كون الصلة جملة، والجمل لا تتأثر بالعوامل، فلما كانت صلة الألف واللام في اللفظ غير جملة جيء بها على مقتضى الدليل؛ لعدم المانع. ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:٢٠٣/١، الأشموني: (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، ص: ١/ ١٤٠، والأزهري: (شرح التصريح)، ص:١٦٠/١.

(٣) البيت للفرزدق من بحر [البسيط] وليس في ديوانه، ولكن نسبه العلماء في بعض كتبهم له، منها: الأنباري: (الإنصاف)، ص: ٢/ ٥٢١، والهاشمي: (جواهر الأدب)، ص:٣١٩، والبغدادي: (خزانة الأدب)،ص: ١/ ٣٢، والأزهري: (شرح التصريح)، ص: ١/ ٣٨و١٤٢، وابن منظور: (لسان العرب)،ص: ٦/ ٩ ، وبلا نسبة عند ابن هشام في: (أوضح المسالك)، ص: ٤٥/١، والمرادي: (الجنى الداني)، ص: ٢٠٢، ١٤٨؛ وابن عقيل: (شرح ابن عقيل)، ص: ١/ ١٧٥، وابن عصفور: (المقرب)، ص: ١/ ٦٠، والسيوطي: (همع الهوامع)، ص:٨٥/١.

والشاهد فيه قوله: (الترضى) أي: الذي ترضى، حيث أدخل الموصول الاسمي (أل) على الفعل المضارع، وهذا قليل، كما أن المعرفة مختصة بالاسم.[١]

ويشترط في كون (أل) من الأسماء الموصولة أَن تكون دَاخلة على وصف صَرِيح لغير تَفْصِيل، وَهُوَ ثَلَاثَة: اسْم الْفَاعِل كالضارب، وَاسم الْمَفْعُول كالمضروب، وَالصّفة المشبهة كالحسن، فَإِذا دخلت على اسْم جامد كَالرّجلِ، أوْ على وصف يشبه الْأَسْمَاء الجامدة كالصاحب، أو على وصف التَّفْضِيل كالأفضل والأعلى فَهِيَ حرف تَعْرِيف.[٢]

وتأتي صلة (أل) جملة فعلية، واسمية شذوذا وظرفا كذلك، كما لا يجوز الفصل بين (أل) وصلتها بحال لا بأجنبي ولا بغيره لأنها كجزء من صلتها[٣].

٤-(ذا) ويستعمل للعاقل وغيره، مذكرا كان أو مؤنثا، مفردا كان أو مثنى أو جمعا، وشرط موصوليته ثلاثة أمور هي[٤]:

- أن لا تكون للإشارة؛ لأنها إذا كانت للإشارة تدخل على المفرد، نحو: (من ذا الذاهب؟ وماذا التواني؟)، والمفرد لا يصلح أن يكون صلة لغير (أل).
- أن لا تكون (ذا) ملغاة، والمراد بإلغائها أن تجعل مع (ما) أو (من) اسما واحدا مستفهما به؛ كما في قوله – تعالى-: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [سورة النحل: ٣٠]، وإلغاؤها على وجهين:

– أحدهما: حكمي، وذلك بتقديرها مركبة مع (ما) في نحو: (ماذا صنعت)، فيصيران اسما واحدا من أسماء الاستفهام في محل نصب على المفعولية المقدمة بـ(صنعت)، والتقدير: أي شيء صنعت، كما قُدِّرت مركبة مع (ما)، إلا أنهما في

---

[١] ينظر: الأشموني: (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، ص: ١/ ١٣٩-١٤٠، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٢٦-٢٢٧.

[٢] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/٢٠١، و ابن هشام: (شرح قطر الندى وبل الصدى)، ص:١٠٢.

[٣] ينظر: السيوطي: (همع الهوامع)، ص:١/٣٤٢.

[٤] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ١٩٦- ١٩٧، وأبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:٢/١٠٠٨، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٣- ١٦٦، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٧١- ٦٧٢، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٥- ١٤٧، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٣- ١٦٤، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣١- ٢٣٢.

محل جر وذلك نحو: (عما ذا تسأل)، والتقدير: عن أي شيء تسأل، وقد أثبت الألف من (ما) لتوسطهما في اسم الاستفهام بالتركيب، ولولا ذلك لحذفت الألف؛ لأن (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها جار حذفت ألفها لتطرفها نحو قوله – تعالى–: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة النبأ: ١] فرقا بين (ما) الاستفهامية والموصولة حيث خصت الاستفهامية بحذف الألف للتطرف، وصينت الموصولة عن الحذف لتوسط الألف؛ لأن الصلة والموصول بمنزلة الاسم الواحد.

- وثانيهما: الإلغاء الحقيقي، وهو تقديرها زائدة بين (ما)[1] ومدخولها، ويجوز عند الكوفيين وابن مالك، فقولك: (ماذا صنعت؟)، كأنك قلت: (ما صنعت؟)، والبصريون لا يجيزون زيادة شيء من الأسماء.

- أن يتقدمها استفهام بما باتفاق من البصريين أو بمن على الأصح عندهم؛ لأن كلا منهما للاستفهام، واحتج المانعون بالفرق بين (ما) و(من)، وذلك بأن (ما) تجانس (ذا) لما فيها من الإبهام، بخلاف (من)، فإنها لا إبهام فيها لاختصاصها بمن يعقل، فلا مجانسة بينهما، وضُعّف تعليلهم؛ لأن بقية أدوات الاستفهام كـ(ما) في الإبهام، فلا خصوصية لإلحاق من دونها، وأما اختصاص (ما) بما لا يعقل، كاختصاص (من) بمن يعقل، إلا أن يقال إن ما لا يعقل أوسع دائرة ممن يعقل، والمرجع في ذلك إلى السماع، وكلاهما مسموع، فإن لم يتقدم على ذا (ما) و(من) الاستفهاميتان لم يجز أن تكون موصولة، وأجازه الكوفيون، وخرجوا عليه بعض الشواهد الشعرية.

٥–(ذو) الطّائيّة، وتستعمل للعاقل وغيره، مذكرا كان أو مؤنثا، مفردا كان أو مثنى أو جمعا، وهي مبنية غالبا، وخاصة بطَيِّئ، والمشهور عنهم بناؤها على سكون الواو، وقد تعرب

---

[1] ومنع أبي البقاء وثعلب وغيرهما أن تكون (من وذا) مركبتين، وخصوا جواز ذلك بـ (ما وذا) لأن (ما) أكثر إبهاما، فحسن أن تجعل مع غيرها كشيء واحد ليكون ذلك أظهر لمعناها، ويجوز على قول الكوفيين بزيادة الأسماء كون (ذا) زائدة و(من) مفعولا في نحو: (من ذا ضربت)، وأجاز جماعة من النحاة أن يكون (من وذا) مركبتين، كما قال ابن هشام في المغني وما ذهب إليه ابن مالك في ألفيته. ينظر: ابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٦٤، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤٥– ١٤٧ الأزهري: (شرح التصريح): ١/ ١٦٣– ١٦٤، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٣١– ٢٣٢.

بالحروف الثلاثة إعراب (ذو) بمعنى صاحب، وخص ابن الضائع ذلك بحالة الجر؛ لأنه المسموع عن العرب، والمشهور عنهم أيضا إفرادها وإن وقعت على مثنى أو جمع، وتذكيرها وإن وقعت على مؤنث، وقد تؤنث وتثنى وتجمع عند بعض بني طَيِّئ[1]، وذلك نحو: (ذو قام) في المذكر، وفي المؤنث: (ذات قامت)، وفي مثنى المذكر: (ذوا قاما)، وفي مثنى المؤنث: (ذواتا قامتا)، وفي جمع المذكر: (ذوو قاموا)، وفي جمع المؤنث: (ذوات قمن).

كما تأتي (ذات) عن بعض طيئ للمفردة، و(ذوات) لجمعها مضمومتين، على أنهما موصولان مستقلان مرادفان لـ(التي واللاتي)، يقول ابن مالك: وقد ترادف (التي واللاتي) ذات وذوات مضمومتين مطلقا.[2]

و الأشهر في (ذو) الموصولة أن تكون مبنية، ومنهم من يعربها بالواو رفعا وبالألف نصبا وبالياء جرا وذلك نحو: (جاءني ذو قام)، و (رأيت ذا قام)، و (مررت بذي قام)، فتكون مثل (ذي) بمعنى صاحب بالياء على الإعراب وبالواو على البناء، وأما (ذات وذوات) فالفصيح فيها أن تكون مبنية على الضم رفعا ونصبا وجرا، ومنهم من يعربهما بالحركات كإعراب (ذات) بمعنى صاحبة، بالضمة في حالة الرفع وبالفتحة في حالة النصب، والكسرة في حالة الجر، وإعراب (ذوات) بمعنى صاحبات، فترفع بالضمة وتنصب وتجر بالكسرة كجمع المؤنث السالم، وإذا أعربا نونا لعدم الإضافة[3].

---

[1] وعده ابن السراج في أصوله لغة لجميع طَيِّئ على الإطلاق، وتبعه الهروي و ابن عصفور في المقرب، ونازع في ثبوت ذلك المحكي على الإطلاق ابن مالك في شرح التسهيل فقال: وأطلق ابن عصفور القول بتثنيتها وجمعها، وأظن أن الحامل له على ذلك قولهم: "ذات" و"ذوات" بمعنى "التي" و"اللاتي"، فأضربت عنه لذلك، وقال الشاطبي: والمردود عليه إنما هو الإطلاق في جميع لغة طَيِّئ، وأما كون (ذو) تثنى وتجمع وتؤنث عند بعض طَيِّئ فهو ثابت. ينظر: ابن السراج: (الأصول)، ص: ٢/ ٢٥، ٢٦، ابن عصفور: (المقرب)، ص: ١/ ٥٩، وابن مالك: (شرح التسهيل)، ص: ١/ ١٩٩، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤١- ١٤٤، والأزهري: (شرح التصريح)، ص:١/ ١٦١.

[2] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ١٩٩، وأبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:٢/١٠٠٧، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٩- ١٦٣، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٠- ١٥١، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٧٨- ٦٨٠، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٤١- ١٤٤، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٠-١٦٣، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٢٨- ٢٣١، (بتصرف).

[3] ينظر: أبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:٢/١٠٠٧- ١٠٠٨، وابن عقيل: (شرح ابن عقيل)،ص:١/ ١٥٠- ١٥١، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٦٢-١٦٣.

٦- (أَيّ) مضافا إلى معرفة لفظا أو تقديرا، وتستعمل للعاقل وغيره، مذكرا كان أو مؤنثا، مفردا كان أومثنى أو جمعا بلفظ واحد، ولا يلزم استقبال عامله ولا تقديمه خلافا للكوفيّين، وذلك نحو: (يعجبني أيهم هو قائم)، وقد يؤنّث بالتاء موافقا للتي، كما يأتي بمعنى الّذي[١].

ولأَيّ أربعة أحوال هي:

- " أن تضاف ويذكر صدر صلتها، نحو: (يعجبني أيهم هو قائم).
- أن لا تضاف ولا يذكر صدر صلتها، نحو: (يعجبني أي قائم).
- أن لا تضاف ويذكر صدر صلتها، نحو: (يعجبني أي هو قائم)

وفي هذه الأحوال الثلاثة تكون معربة بالحركات الثلاث.

- أن تضاف ويحذف صدر الصلة، نحو: (يعجبني أيهم قائم)، وفي هذه الحالة تبنى على الضم نحو قوله – تعالى-: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً﴾ [سورة مريم: ٦٩]"[٢].

وقد خالف في موصوليتها أبو العباس ثعلب[٣] فقد رأى أنها لا تستعمل إلا شرطا أو استفهاما محتجا بأنه لم يسمع: (أيهم هو فاضل جاءني)، بتقدير: الذي هو فاضل جاءني، كما

---

[١] ينظر: ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/١٩٩- ٢٠٠، و الرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٥٧-٢٥٨، أبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:٢/١٠١١-١٠١٣، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٥٦- ١٥٨، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٦١-١٦٤، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٨٠- ٦٨٤،(بتصرف)، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢- ١٥٣، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٧-١٥٩، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤١- ٢٤٤، (بتصرف).

[٢] ابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٦١- ١٦٢.

[٣] هو أبو العباس: أحمد بن يحيى الشيباني، إمام الكوفيين، والبصريين، في النحو والفقه في زمانه، وعالم بالقرآن والقراءات، ولد سنة ٢٠٠هـ، ولازم ابن الأعرابي وحفظ على الفراء والكسائي، وأخذ عنه الأخفش الأصغر، ونفطويه، وابن الأنباري: له مصنفات قيمة منها: المصون في النحو، اختلاف النحويين، والفصيح، وغريب القرآن وغيرها الكثير، مات سنة ٢٩١هـ ببغداد. ينظر: السيوطي: (بغية الوعاة)، ص: ١/ ٣٩٦، والزركلي: (الأعلام)، ص: ١/ ٢٥٢.

خالف ابن عصفور[1] وابن الضائع في تجويز إضافتها إلى النكرة جمهور النحاة المانعين لذلك بسبب أن الموصول مراد تعيينه، وإضافته إلى النكرة تقتضي إبهامه، وفي ذلك تدافع ظاهر، كما أن إضافته للمعرفة أقوى[2].

ورأى الكوفيون أن (أَيّ) الموصولة لا يعمل فيها إلا عامل مستقبل متقدم عليها خلافا للبصريين الذي يرون بأنه لا يلزم استقبال عامل (أَيّ) ولا تقديمه، وإنما اشترط الكوفيون كون العامل فيها متقدما مع كونه مستقبلا لأجل الفرق بين الشرطية والاستفهامية، وبين الموصولة؛ لأن الشرطية والاستفهامية لا يعمل فيهما العامل إلا متأخر، وقال ابن السراج: إن (أَيّ) وضعت على العموم والإبهام، فإذا قلت: (يعجبني أيهم يقوم)، فكأنك قلت: يعجبني الشخص الذي يقع منه القيام كائنا من كان، ولو قلت: (أعجبني أيهم قام) لم يقع إلا على الشخص الذي قام؛ فأخرجها ذلك عما وضعت له من العموم[3].

والمشهور عند الجمهور إفرادها وتذكيرها، وقد تؤنث وتثنى وتجمع عند بعضهم، فتقول: (أية وأيان وأيتان وأيون وأيات)، و على الحالين هي معربة، مطلقا سواء أضيفت أو لم تضف، ذكر صدر

---

[1] ١ هو أبو الحسن: عليُّ بن مؤمن بن عصفور، النحوي الحضرمي الإشبيلي، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، أخذ عن الدباح وعن الشلوبين، أعد نفسه للنحو، ولم ينبغْ في غيره، وكان أصبر الناس على المطالعة، له مصنفات قيمة، منها: الممتع في التصريف، وكان أبو حيان لا يفارقه، وله شروح على الجمل، والمقرب، وشرح الجزولية، مات سنة ٦٦٩هـ. ينظر: السيوطي:(بغية الوعاة)، ص: ٢/ ٢١٠،و الزركلي: (الأعلام)، ص: ٥/ ١٧٩.

[2] ينظر: ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/١٩٩- ٢٠٠، و الرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٥٧-٢٥٨، أبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:٢/١٠١١-١٠١٣، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٥٦- ١٥٨، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٦١-١٦٤، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٨٠-٦٨٤،(بتصرف)، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢- ١٥٣، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٧-١٥٩، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤١- ٢٤٤، (بتصرف).

[3] ينظر: ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/١٩٩- ٢٠٠، و الرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٥٧-٢٥٨، أبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:٢/١٠١١-١٠١٣، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٥٦- ١٥٨، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٦١-١٦٤، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٨٠- ٦٨٤،(بتصرف)، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢- ١٥٣، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٧-١٥٩، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤١- ٢٤٤، (بتصرف).

صلتها أو حذف، وهو قول الخليل ويونس والأخفش والزجاج والكوفيين، وقال سيبويه: تبنى على الضم إذا أضيفت لفظا وكان صدر صلتها ضميرا محذوفا، وخولف في ذلك، فقال الزجاج: ما تبين لي أن سيبويه غلط إلا في موضعين، هذا أحدهما، فإنه يسلم أنها تعرب إذا أفردت، فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت[1].

* وكما تأتي (أي) موصولة تأتي شرطا واستفهاما، وصلة لنداء ما فيه (أل)، ونعتا لنكرة دالا على الكمال، وتقع حالا بعد المعرفة، ويلزمها في هذين الوجهين الإضافة لفظا ومعنى إلى ما يماثل الموصوف لفظا ومعنى، أو معنى لا لفظا، وقد يُسْتَغنى في الشرط والاستفهام بمعنى الإضافة إن علم المضاف إليه، و(أَيّ) فيهما بمنزلة كلّ مع النكرة، وبمنزلة بعض مع المعرفة، ولا تقع نكرة موصوفة خلافا للأخفش، وقد يحذف ثالثُها في الاستفهام، وتضاف فيه إلى النكرة بلا شرط، وإلى المعرفةِ بشرطِ إفهام تثنيةٍ أو جمعٍ أو قصدِ أجزاءٍ أو تكريرها عطفا بالواو[2]، والذي يحدد ذلك هو سياق الكلام الذي ترد فيه.

- **إعراب الأسماء الموصولة:**

الأسماء الموصولة تُعرب حسب موقعها في الجملة رفعًا ونصبًا وجرًّا، وهي كأسماء الإشارة إما أن تكون[3]:

---

[1] ينظر: ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/١٩٩- ٢٠٠، و الرضي: (شرح الكافية)،ص:٣/٢٥٧-٢٥٨، أبو حيان:(ارتشاف الضرب)، ص:٢/١٠١١-١٠١٣، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)،ص:١/ ١٥٦- ١٥٨، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/١٦١-١٦٤، وناظر الجيش: (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ص:٢/ ٦٨٠- ٦٨٤،(بتصرف)، والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢- ١٥٣، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٧-١٥٩، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤١- ٢٤٤، (بتصرف).

[2] ينظر: ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/٢٢٠، و والأشموني: (شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ١٥٢- ١٥٣، وخالد الأزهري: (شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو)، ص:١/ ١٥٧-١٥٩، والصبان:(حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٢٤١- ٢٤٤، (بتصرف).

[3] ينظر: ابن مالك: (شرح تسهيل الفوائد)، ص:١/١١٩، أبو حيان:(التذييل والتكميل)، ص:٣/١٨١، وابن هشام: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)،ص:١/٥٨، وابن عقيل:(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، ص:١/٣٤، والأزهري: (شرح التصريح)، ص:١/٤٦ و١٥٣.

١-مبنية، وحينئذٍ تعرب إعرابًا محليًّا، فتكون مبنية على حركة آخر حرف فيها، في محل رفع، أو نصب، أو جر، وهذا يشمل جميع الأسماء الموصولة التي ذكرت، ما عدا المثنى منها، وعلى سبيل المثال الاسم الموصول (مَن) هو مبني على السكون مطلقًا، وقد يكون في محل: رفع؛ نحو قوله - تعالى-: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [سورة الأعلى: ١٤]، أو في محل نصب؛ نحو قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [سورة البقرة:٣٠]، أو في محل جر؛ نحو قول الله - تعالى-: ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة البقرة: ٨٥].

٢-وإما أن تكون معربة، وهذا لا يكون إلا في المثنى منها فقط، وهو الاسمان (اللذان، واللتان) بالألف رفعًا، وبالياء نصبًا وجرًّا، فهذان الاسمانِ يُعرَبان إعراب المثنى، فيرفعان بالألف، وينصبان ويجران بالياء، ومثال رفع الاسم الموصول (اللذان) بالألف: قولُ الله - تعالى-: ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء: ١٦]، ومثال نصب الاسم الموصول (اللذينِ) بالياء: قولُ الله - تعالى-: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [سورة فصلت: ٢٩].

- سبب البناء في الأسماء الموصولة:

وأسماء الموصول مبنية لمشابهتها الحروف في الافتقار اللازم بإبانة مسماها إلى ما يقوم مقامها، أي: تفتقر في بيان مسماها وتعيينه إلى الصلة، فهي مفتقرة في إفادة معناها إلى ذكر متعلقها افتقارًا متأصلًا إلى جملة؛ لأنها إنما وضعت لنسبة معاني الأفعال إلى الأسماء، فأشبهت الحرف في ملازمة الافتقار فبنيت لذلك[١].

ولهذا السبب يقتضي بناء كل الأسماء الموصولة، بيد أنه عورض في ثلاثة أسماء باتفاق هي: (اللذين واللتين وأيّا)، فأما (اللذين واللتين) فعارضا الأسماء الموصولة لشبههما بمثنيات الأسماء المتمكنة فأعربتا، مع أنهما مفتقران بالأصالة إلى جملة، وأما (أيّ) فعورض بلزوم الإضافة إلى مفرد، والإضافة

[١] ينظر: ابن جني: (سر صناعة الإعراب)، ص:١/٣٥٥-٣٥٦، و ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ١٩١، و ابن عقيل: (شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٣٤، والشاطبي: (المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية)، ص:١/٥٠٤، و الأزهري: (شرح التصريح)، ص:١/٤٦ و ١٥٣.

من خصائص الأسماء، و(أَيّ) لا تنفك عن الإضافة إما لفظ وإما تقديرا، فلما تحقق فيها ما هو من خصائص الأسماء عاودت الأصل في الأسماء وهو الإعراب[١].

كما أعرب (الذين) عند بعض العرب وهي لغة لـ (هذيل أو عقيل) إعراب جمع المذكر السالم، وذلك لشبهه بالمجموع من الأسماء، حتى صار كالمتمكن في الأسمية لذا أعرب كالمثنى، ذلك لأن التثنية والجمع من خصائص الأسماء، فمكنها ذلك في الاسمية فعادت إلى أصل الأسماء، والأصل فيها الإعراب، ولم يُعربْ أكثر العرب (الذين) وإن كان الجمع من خصائص الأسماء لأن (الذين) مخصوص بأولي العلم، و(الذي) عام، فلم يجر على سنن الجموع المتمكنة، بخلاف (اللَّذَين واللَّتين)، فإنهما جرتا على سنن المثنيات المتمكنة لفظا ومعنى.[٢]

[١] ينظر: ابن جني: (سر صناعة الإعراب)، ص:١/٣٥٥-٣٥٦، و ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ١٩١، و ابن عقيل: (شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك)، ص:١/ ٣٤، والشاطبي: (المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية)، ص:١/٥٠٤، و الأزهري: (شرح التصريح)، ص:١/٤٦ و ١٥٣.

[٢] ينظر: ابن مالك: (شرح التسهيل)، ص:١/ ١٩١، و الأزهري: (شرح التصريح)، ص:١/ ٤٧- ٤٨، و ١٥٣.

(المبحث الثاني)

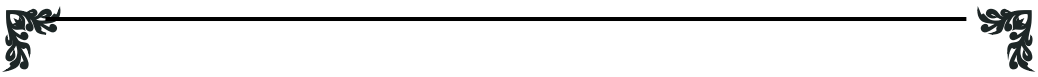

الأسماء الموصولة، ودورها الإحاليّ في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).

- **البنية الإحالية للأسماء الموصولة:**

حفلت آيات مشاهد القيامة في القرآن الكريم بعدد لا بأس به من الأسماء الموصولة بجميع أقسامها العامة والخاصة، المفردة والمثناة والمجموعة، والمذكرة والمؤنثة، وتباينت وظيفة كل قسم منها في تحقيق التماسك والترابط الكلي للنص، وكانت الإحالات في غالبها عائدة إلى محال إليه لاحق قريب، مفهوم من سياق الآية الواردة فيها، دون غموض يجافي فهم المتلقي، ورغم أن حالة تقديم العنصر الإشاري على العنصر المحال عامة ربما تكد فهم القارئ ويكدّ ذهنه إلا أن البيان الرباني ساقها بطريقة بعيدة عن الغموض، بلْ دافعة إلى تحريك الذهن وإيقاظ الانتباه، ليندمج المتلقي مع دلالات النص، ومن هنا يتضح الدور البارز الذي لعبته الصلة في إظهار الدلالة؛ فبدت المغزل الذي نسج به التركيب والوسيلة التي لون بها، ولا شك أن النص القرآني هو أدق النصوص وأكملها في تمثيل هذا الترابط والتلاحم.

وبالمجمل فقد وردت الأسماء الموصولة في سائر مشاهد القيامة (٣٥٨)[١] مرة، تقاربت فيها نسبة ورود الموصول العام والخاص، فقد بلغ فيها الموصول العام (١٨٣) مرة، منها (١٣٥) مرة لـ"ما"، و(٤٣) مرة منها لـ"من"، و(٤) مرات منها لـ"ذا"، و(مرة) واحدة لـ"أي"، في حين جاء الموصول الخاص (١٧٥) مرة، منها (٢٥) مرة للمفرد المذكر "الذي" ، و(١٤) مرة للمفردة المؤنثة "التي"، و(مرة) واحدة للمثنى المذكر "اللَّذَين"، و(١٣٥) مرة لجمع الذكور "الذين".

فيما سُبِق الاسم الموصول بالفعل (١٠٠) مرة، تقارب فيها المضارع والماضي حيث بلغ المضارع فيها (٤٥) مرة، والماضي (٤٩) مرة، وفاق ورودهما فعل الأمر الذي نزلت مرتبته عن مرتبتيهما فقد بلغ وروده(٦) مرات، و سُبِق بالاسم (٩٠) مرة، كانت أغلبها أسماء استفهام وأسماء إشارة وظروف وأسماء موصوفة، كما سبقت الأسماء الموصولة بالحروف (١٥٠) مرة، أغلبها لحروف المعاني التي طبعت السياق النصي للآيات بدلالات خاصة، تليها أدوات النصب والتوكيد التي ربطت المشهد النصي والسياق اللغوي للآيات وعضدته في تماسكه وتلاحمه، وتواشجه النحوي والدلالي في آن واحد.

[١] وقد استثنى البحث ما في تخريجه ضعف بسبب التأويل، أو تكلف في التقدير.

كما جاءت الأسماء الموصولة في رؤوس الآيات غير مسبقة بشيء من الأسماء أو الأفعال أو الحروف (١٨) مرة، ومسبوقة بالأسماء أو الأفعال أو الحروف (٣٤٠)مرة، ووقعت في محل الرفع (١٥٢) مرة، وفي محل النصب (٩٤) مرة، وفي محل الجر (١١٢) مرة، وهذا دليل على سيطرة الرفع التي تشِي بمدَى التغيير والفاعلية عند وقوع القيامة وتلاحق أحداثها ومشاهدها، التي تتسم بالإيقاع السريع، والصور المتجددة.

كما جاءت جملة الصلة فعلية (٢٦٤) مرة، مصدرة بالماضي (٢٠٦) مرات، وبالمضارع (٥٨) مرة، وجاءت الصلة جملة اسمية (٧) مرات، وجملة اسمية منسوخة (٦٤) مرة، وشبه جملة (٢٣) مرة، منها (١٦) مرة شبه جملة "جار ومجرور"، و(٧) مرات شبه جملة "ظرفية"، كما حذف عائد الصلة (٤٤) مرة.

ومن ثم، فإن المتأمل هنا يلحظ هيمنة الجملة الفعلية علي الجملة الاسمية من ناحية؛ وسيطرة الماضي على المضارع من ناحية أخرى، ولعل ذلك يعود إلى فائدة مؤداها: أن تلك المشاهد واقعة لاريب، فالزمن عند الله لا مستقبل فيه، وفي هذا خروج من المألوف، إذ عبَّر من المستقبل بالماضي الذي وقع فعلا، فأخرجه مخرج الأمر الثابت، أي: "كأن الأمر انتهي وثبت، وكأن العذاب هو الحاضر، والدنيا هي الماضي الذي يُذْكَرُ للترذيلِ والتقبيحِ"[١]، وهذا ديدن آيات مشاهد القيامة.

كما فاقت مسبوقية الأسماء الموصولة بالحروف مسبوقيتها بالأسماء والأفعال ولعل ذلك لمناسبة جو النص العام في حكاية تلك المشاهد، مراعاة للاختصار والإيجاز فـ "تعطف جملة على جملة، وتعد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضًا على بعض ثمَّ تعطف مجموع هذي على مجموع تلك"[٢]، ومشاهد القيامة مليئة بالصور وزخمة بالأحداث، وهذه الحروف تربط تلك المعاني المتشابكة ذات الجمل المتتابعة بعضها ببعض لتؤدي دورها في السياق النصي والمقامي، ولا شك أن تلك الأدوات مما تعضد جملة الصلة وتساهم في إبراز دلالتها، وتأدية وظيفتها، ذلك لأن معاني الأدوات معان وظيفية؛ وجميعا تشترك في أنها تدل علي معان معجمية، وهو معنى وظيفي عام، ثم تختص كل طائفة تحت هذا العام، وتتضافر مع بعضها البعض لتأدية هذا الدور في سياق النص.

---

[١] حمادة حامد: (التماسك النصي بالإحالة، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة)، ص: ٣٨.

[٢] الجرجاني: (دلائل الإعجاز)، ص: ١٤٦.

هذا وقد كان أكثر الأسماء الموصولة ورود في المرتبة الأولى اسمين هما: اسم الموصول العام: [ما]، واسم الموصول الخاص لجمع الذكور: [الذين] حيث ورد كلا منها (١٣٥) مرة، وقد جاءت [ما] في محل الرفع (٣٥) مرة، وفي محل الجر(٥٢) مرة، وفي محل النصب (٤٩) مرة، كما جاءت [الذين] في محل الرفع (٧٦) مرة، وفي محل الجر(٣٢) مرة، وفي محل النصب (٢٧) مرة، و جاء في المرتبة الثانية: اسم الموصول العام: [من] الذي ورد (٤٣) مرة، منها(١٩) مرة في محل الرفع، و(١٣) مرة في محل الجر، و(١١) مرة في محل النصب، وقد جاء في المرتبة الثالثة: اسم الموصول الخاص بالمفرد المذكر: [الذي] حيث ورد (٢٥)مرة، منها(١٢) مرة في محل الرفع، و(١٠) مرات في محل الجر، و(٣) مرات في محل النصب، تلاه في المرتبة الرابعة: اسم الموصول الخاص بالمفردة المؤنثة: [التي] حيث ورد (١٣)مرة، منها(٦) مرات في محل الرفع، و(مرتين) في محل النصب، و(٥) مرات في محل الجر، وفي المرتبة الخامسة: جاء اسم الموصول العام: [ذا] حيث ورد(٤) مرات، كلها في محل الرفع، ثم وليه في المرتبة الخامسة: كلا من اسم الموصول الخاص بالمثنى المذكر: [اللذّين]، واسم الموصول العام: [أي] حيث ورد كلا منهما (مرة) واحدة، في محل النصب.

- **الأسماء الموصولة من حيث العلاقة الإحالية بالنص:**

تنوعت الإحالات بالصلة في آيات مشاهد القيامة وتغايرت من داخلية وخارجية، سابقة ولاحقة، بحسب موضوعات هذه المشاهد وتوزيعها في سور القرآن الكريم، فقد تقاربت عناصرها أحيانا، وتوسطت في بعضها، وجاءت بعيدة في أحايين أخرى، وفق شبكة تسلسلية من العناصر الاتساقية والروابط الدلالية التي وردت فيها كل عناصر الإحالة متلاحقة يحيل بعضها على الآخر من بداية النص وحتى نهايته.

وبالمجمل فقد انقسمت الإحالة بالاسم الموصول في مشاهد القيامة إلى: ما يحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة، وما يحقق التماسك على مستوى أكثر من آية، و توزعت العناصر الإحالية الموصولة حسب أهمية العنصر المحال إليه أو حسب أهمية دلالتها في السياق، حتى إنه قد يستغنى عن الضمير بالموصول فيظهر في مقام الإضمار لأهمية الذكر، أو توصلا للإتيان بالموصول إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر، ومدار الكلام المتجه إليه، وفق نظام خاص ، وعمق دلالي، ينحصرُ فيه كلُّ الضوءِ، فيشير إلى كل من المتقدم والمتأخر، الأول بتقدمه لإثارة الذهن والثاني بالختام به، ليحدث ذلك أثره في النفس، ويكسب النص مرونة واتساعا في التعبير اللغوي.

أ/ التماسك على مستوى الآية الواحدة:

ومن الأمثلة الجليَّةِ في هذا قول الله –تعالى–: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[سورة العنكبوت: ٥٨]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿وَ(الَّذِينَ) آمَنُ(وا) وَعَمِلُ(وا) الصَّالِحَاتِ(هي) لَنُبَوِّئَنَّ(نحن)(هُم) مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِ(هَا) الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ(هم) فِي(هَا) ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ(هم)﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية وبعدية، داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (١٠) مرات، جاءت الضمائر فيها (٩) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (٦) مرات منها بصيغة الجمع، و(٣) بصيغة المفرد، (٦) مرات منها بصيغة الغائب، و(مرة) واحدة بصيغة المتكلم، كما ورد الاسم الموصول الخاص بجمع الذكور (مرة) واحدة.

وقد أحيل باسم الموصول (الذين) إحالة نصية قريبة المدى بعدية لمذكور لاحق هو جملة: (آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، وجيء بالموصول للإيماء إلى وجه بناء الخبر، لأن المعنى: نبوئنهم غرفا لأجل إيمانهم وعملهم الصالح، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته بالضمير العائد وهو(واو الجماعة) والمحال إليه هو (المؤمنون الذي آمنوا وعملوا الصالحات)، و"جملة القسم وجوابه خبر المبتدأ (الَّذِينَ)، وقد وقع الربط من خلال الضمير في الفعل (لنبوئنهم) إذ هو عائد على المبتدأ (الذين) والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف: في إجراؤه مجرى (لننزلنهم ونبوئنهم)"[(١)]، فربطت الجملة الفعلية الواقعة خبرا بالموصول الذي وقع مبتدأ عن طريق الإحالة ضمير الغياب (هم)، وبهذا تحقق التماسك والترابط داخل هذه الآية التي ولاشك هي لبنة من لبنات النص الواردة فيه، وترابط الجزئيات فرع عن ترابط الكليات، إذ "النص كائن مركب، وحداته تلك الجمل التي لا يدركها العقل إلا منظمة ومرتبة، ويُنجز عند التلفظ، ويتخذ حيزا يكون به كائنا مستقلا بنفسه في الزمان والمكان"[(٢)].

[(١)] الزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ٤٦٢، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص: ٢١/ ٢٣.

[(٢)] سعد حسن بحيري: (دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة)، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط:١)، ١٤٢٦هـ، ص:٩٥.

ومن ذلك أيضا قوله –تعالى–:﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤)﴾[سورة المعارج:١٣–١٤] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ وَفَصِيلَتِـ(ـهِ) (الَّتِي) تُؤْوِيـ (هي)ـ(ـهِ) – وَ(مَن) فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيـ(هو)ـ(ـهِ)﴾

وقد تنوعت الإحالات في هاتين الآيتين بين الضمائر والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية داخلية، قريبة من العنصر المحال إليه، بلغ ورودها (٧) مرات، جاءت الضمائر فيها (٥) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، كلها بصيغة الغائب، ووردت الأسماء الموصولة(مرتين)، (مرة) منها للموصول الخاص، و(مرة) واحدة للموصول العام.

وقد جاءت الإحالة في هاتين الآيتين بالصلة مرتين؛ الأولى: باسم الموصول الخاص (التي) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق وهو: (الفصيلة) في ذات الآية، والفصيلة: "الأقرباء الأدنون من القبيلة، وهم الأقرباء المفصول منهم، أي: المستخرج منهم، فشملت الآباء والأمهات، ويفهم منها الأب بطريق لحن الخطاب فيكون قد استوفى ذكر أقرب القرابة بالصراحة والمفهوم، وأما على التفسير المشهور فالفصيلة دلت على الآباء باللفظ، وتستفاد الأمهات بدلالة لحن الخطاب"[(١)].

وقوله –تعالى–: ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ يحتمل أن يكون قبيلته فإن كانت، فالإيواء مجاز في الحماية والنصر، أي: ومع ذلك يفتدي بها لعلمه بأنها لا تغني عنه شيئا يومئذ، ويحتمل أن تكون الأم فإن كانت الأم فالإيواء على حقيقته باعتبار الماضي، وصيغة المضارع في ﴿تُؤْوِيهِ﴾ لاستحضار الحالة، أي: يود لو يفتدي بأمه، مع شدة تعلق نفسه بها إذ كانت تؤويه، فإيثار لفظ فصيلته وفعل تؤويه هنا من إيجاز القرآن وإعجازه ليشمل هذه المعاني[(٢)].

أما الإحالة الثانية فقد جاءت باسم الموصول العام: (من) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو: (من له في الأرض مما يعز عليه) من الثقلينِ والخلائقِ المفهوم من سياق الآية، و(مَنْ) لتغليبِ العاقل على غيره لأن منهم الأخلاء، وقوله –تعالى–: ﴿ وَمَن فِي الْأَرْضِ جميعا﴾ عطف على ببنيه، في قوله –تعالى–: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢)﴾[سورة المعارج:١١–١٢]، أي: "ويفتدي بمن في الأرض، ومن له في الأرض

(١) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/ ٣١، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/ ١٦١– ١٦٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق نفسه.

مما يعز عليه من أخلاء وقرابة ونفائس الأموال مما شأن الناس الشح ببذله والرغبة في استبقائه على نحو قوله –تعالى–: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ [سورة آل عمران: ٩١]"[(١)].

و(ثم) في قوله –تعالى–: ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ للتراخي الرتبي، أي: يود بذل ذلك وأن ينجيه الفداء من العذاب، فالإنجاء من العذاب هو الأهم عند المجرم في ودادته والضمير البارز في قوله –تعالى–: ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عائد إلى الافتداء المفهوم من يفتدي، والمعطوف بـ(ثم) هو المسبب عن الودادة فلذلك كان الظاهر أن يعطف بالفاء وهو الأكثر في مثله كقوله –تعالى–: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [سورة القلم: ٩]، فعدل عن عطفه بالفاء هنا إلى عطفه بـ(ثم) للدلالة على شدة اهتمام المجرم بالنجاة بأية وسيلة، وكأن العطف بـ(ثم) للدلالة على استبعاد النجاة، ومتعلق ينجيه محذوف يدل عليه قوله: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ ﴾[(٢)].

كما جاءت جملة الصلة لاسمي الموصول فعلية مصدرة بالفعل المضارع الدال على الحركة والتجدد، للدلالة شدة طلب المجرمين في محاولة الافتداء والنجاة من عذاب يوم القيامة بشتى الطرق والوسائل، دون جدوى، وهذا التركيب مما يسهم في تحقيق الدلالة تبعا لتظافر الأدوات والمفردات، مما يعضد النص ويقوي ترابطه وتماسكه.

ب/ التماسك على مستوى أكثر من آية واحدة:

وكما تحقق الإحالة بالصلة التماسك على مستوى الآية الواحدة، فإنها تساهم أيضا في تحقيق التماسك والترابط بين أكثر من آية، ومن ذلك قول الله –تعالى–: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ – قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[سورة الملك:٢٧–٢٨] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿فَلَمَّا رَأَ(وْ)(هُ) زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ (الَّذِينَ) كَفَرُ(و)ا وَقِيلَ (هَٰذَا) (الَّذِي) كُنـ(تُم) بِـ(ـهِ) تَدَّعُـ(و)نَ – قُـلْ (أنـت) أَرَأَيْـ(تُمْ) إِنْ أَهْلَكَنِـ(ـيَ) اللَّهُ وَمَـن مَّعِـ(ـيَ) أَوْ رَحِمَـ(هو)(نَا) فَمَـن يُجِـيرُ

(١) أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/ ٣١، و القنوجي: (فتح البيان)،ص:١٤/ ٣١٤– ٣١٥، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/ ١٦١– ١٦٢.

(٢) ينظر: القنوجي: (فتح البيان)،ص:١٤/ ٣١٤– ٣١٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/ ١٦١– ١٦٢.

(الْـ)كَافِرِينَ(هم) مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(هو)﴾

وقد تنوعت الإحالات في هاتين الآيتين بين الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (١٨) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٤) مرة بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (٧) مرات منها بصيغة الغائب، و(٣) مرات منها بصيغة المتكلم، و(٤) مرات بصيغة المخاطب، كما جاءت الإشارة (مرة) واحدة باسم الإشارة المفرد المذكر القريب، ووردت الأسماء الموصولة(٣) مرات، منها (مرتين) للموصول الخاص، و(مرة) واحدة للموصول العام.

وقد وردت الإحالة بالموصول (ثلاث) مرات في هذا المقطع، جاءت الإحالة الأولى: (الذين) نصية قريبة المدى بعدية لمذكور لاحق هو جملة: (كَفَرُوا)، فالإحالة للكافرين بيوم الوعيد المكذبين به، وجاءت الإحالة الثانية: (الذي) نصية قريبة المدى لمذكور سابق هو اسم الإشارة: (هذا)، الذي يحيل بدوره إلى يوم الوعيد، وجاءت الإحالة الثالثة: (الكافرين) نصية متوسطة القرب لمذكور سابق هو: (الذين كَفَرُوا)، في الآية السابقة عليها، وعليه فكل الأسماء الموصولة تحيل إلى يوم الوعيد الذي كذب به الذين كفروا، والكفار، وقد ربطت أل الموصولة بين (الذين كفروا) وهو عائدها أو مرجعها وبين صلتها (كافرين) إذ المعنى: فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ... فمن يجير الذين كفروا من عذاب أليم، كما أحالت الصلة في "هذا الذي كنتم به" إلى يوم القيامة الذي كذب به الكفار، وكانت علة إيثار التعبير بالموصول دون ضمير "للدلالة على أن موجب الجوار محقق فأنى لهم الإجارة [(١)]"، فكان ذكر الموصول دون الضمير لبيان نتيجة كفرهم الحتمية فلا نجاة لهم منها ولا إجارة، فهم فيه خالدون أبدا لاحد لعذابهم.

وفعل (رأوه) مستعمل في المستقبل، وجيء به بصيغة الماضي لشبهه بالماضي في تحقق الوقوع، لأنه صادر عمن لا إخلاف في أخباره، إذ أصل المعنى: فإذا يرونه تساء وجوه الذين كفروا، فعدل عن ذلك إلى صوغ الوعيد في صورة الإخبار عن أمر وقع فجيء بالأفعال الماضية[(٢)].

وقد عدل عن تعيين القائل في قوله –تعالى–: ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾؛ لأن "المقصود

[(١)] أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/١٠، والألوسي: (روح المعاني)،ص: ١٥ / ٢٤ .

[(٢)] ينظر: أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٩/١٠.

المقول دون القائل فحذف القائل من الإيجاز، والقصر المستفاد من تعريف جزئي الإسناد تعريض بهم بأنهم من شدة جحودهم بمنزلة من إذا رأوا الوعد حسبوه شيئا آخر، و الاستفهام في قوله: ﴿فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ إنكاري، أي: لا يجيرهم منه مجير، والمعنى: أظننتم أن تجدوا مجيرا لكم إذا هلكنا فذلك متعذر فماذا ينفعكم هلاكنا؟ وتنكير [عذاب] للتهويل، كما ذكر وصف [الكافرين] لما فيه من الإيماء إلى علة الحكم؛ لأنه وصف إذا علق به حكم أفاد تعليل ما منه اشتقاق الوصف"[1].

هذا وقد جاءت جملة الصلة في الموصول الأول فعلية مصدرة بالفعل الماضي الثبوتي، وجاءت في الموصول الثاني اسمية منسوخة، وجاءت في الثالث صفة مشتقة (اسم فاعل) دال على الحدث المتجدد وهو استمرار كفرهم، ومن هنا فقد حققت الصلة التماسك بين آيتين، وساهمت في ترابط النص، وتواشجه وتعاضده.

- **دلالة الصلة على الإبانة والتوضيح:**

وقد يأتي الاسم الموصول وصلته بغرض الإبانة والتوضيح، بحيث لو عبر بالضمير لاستبهم على المتلقي فهم المراد، ومن ذلك قول الله -تعالى-:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف:٣٠]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ إِنَّ (الَّذِينَ) آمَنُـ(و)ا وَعَمِلُـ(و)ا الصَّالِحَاتِ (هي) إِنـ(نا) لَا نُضِيعُ (نحن) أَجْرَ (مَنْ) أَحْسَنَ (هو)عَمَلًا﴾

وقد تنوعت الإحالات في هاتين الآيتين بين الضمائر والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٨) مرات، جاءت الضمائر فيها (٦) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (٤) مرات منها بصيغة الغائب، و(مرتين) منها بصيغة المتكلم، كما وردت الأسماء الموصولة(مرتين)، (مرة) منها للموصول الخاص، و(مرة) للموصول العام.

[1] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٩/٤٩-٥٣، "بتصرف".

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة مرتين؛ الأولى: باسم الموصول الخاص (الذين) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو جملة: (آمنوا وعملوا الصالحات) في ذات الآية، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته بالضمير العائد وهو(واو الجماعة)، أما الإحالة الثانية فقد جاءت باسم الموصول العام: (من) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق وهو: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، وافتتاح الجملة بحرف التوكيد (إن) لتحقيق مضمونها، وفي إعادة حرف التوكيد (إن) في الجملة المخبر بها عن المبتدأ الواقع في الجملة الأولى مزيد من العناية والتحقيق، كقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [سورة الجمعة: ٨]، "وموقع (إن) الثانية في هذه الآية بليغ؛ لأن الجملة التي وقعت فيها في هذه الآية لها استقلال بمضمونها من حيث هي مفيدة حكما يعم ما وقعت خبرا عنه وغيره من كل من يماثل الخبر عنهم في عملهم، فذلك العموم في ذاته حكم جدير بالتأكيد لتحقيق حصوله لأربابه"[(١)].

وفي إحالة الموصول (من) على (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) نوع من الربط كربط الضمير الذي يحيل إلى مرجوع سابق، والموصول هنا ينوب عن الضمير ويحل محله فمن البديهي أن يعمل عمله إلا أن الضمير يربط مربوطا واحد وهو مرجعه، أما الموصول فإنه يتوسط بين مربوطين ليربط بينهما، وهنا ربطت (من) بين كل من اسم إن (الذين آمنوا) وصلتها (أحسن عملا)، إذ "المعنى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات محسنون للعمل، فاسم الموصول قد وصل صلته إلى مرجعه كي تنعتها بنعت الإحسان"[(٢)].

ووضع الظاهر موضع الضمير لمدح هؤلاء الصنف من المحسنين، فلو عبر بالضمير لما تحقق معنى المدح على الإطلاق لما في الضمير من الإبهام، ولما لصلة الموصول من إظهار المعنى وتحديد المقصود.

وعائد الصلة الثانية ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ محذوف تقديره: من أحسن عملا منهم، وهو الرابط بين الجملتين، "أو الرابط الاسم الظاهر الذي هو المبتدأ في المعنى على ما ذهب إليه الأخفش من جعله رابطا فإن من أحسن عملا في الحقيقة هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، واعترض بأنه يأباه

---

(١) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٧/ ١٧٠، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٨/ ٢٥٦، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/ ٣١٠.

(٢) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٧/ ١٧٠، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٨/ ٢٥٦، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/ ٣١٠.

تنكير عَمَلًا لأنه للتقليل، وأجيب بأنه غير متعين لذلك إذ النكرة قد تعم في الإثبات ومقام المدح شاهد صدق"[1].

وقد جاء الموصول هنا لدلالة المدح، كما يتضح ذلك من سياق الآية النصي، فهو إخبار موضح لما أنبهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾ من مبهم الجزاء.

- **إفادة الصلة للتعليل وتخصيص العموم:**

وقد يأتي الاسم الموصول في مقام الضمير للتعليل فيذكر للفت الانتباه والتركيز على تلك الأوصاف المحيطة بجملة صلته مشكِّلا جسورا تواصلية في فضاء النص، ومن ذلك قول الله -تعالى-: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥)﴾ [سورة إبراهيم:٤٤-٤٥] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ وَأَنذِرِ (أنت) النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيـ(هِمُ) الْعَذَابُ فَيَقُولُ (الَّذِينَ) ظَلَمُـ(و)ا رَبَّـ(نـا) أَخِّرْ(أنت)(نَا) إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ(هو) نُّجِبْ (نحن) دَعْوَتَـ(كَ) وَنَتَّبِعِ(نحن) الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُـ(و)ا أَقْسَمْـ(تُم) مِّن قَبْلُ مَا لَـ(كُـم) مِّـن زَوَالٍ – وَسَكَنـ(تُمْ) فِي مَسَـاكِنِ (الَّـذِينَ) ظَلَمُـ(و)ا أَنفُسَـ(هُمْ) وَتَبَـيَّنَ لَـ(كُمْ) كَيْـفَ فَعَلْ(نَا) بِـ(هِمْ) وَضَرَبْـ(نَا) لَـ(كُمُ) الْأَمْثَالَ﴾.

وقد تنوعت الإحالات في هاتين الآيتين بين الضمائر والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٢٣) مرة، جاءت الضمائر فيها (٢١) مرة بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (٦) مرات منها بصيغة الغائب، و(٦) مرات منها بصيغة المتكلم، و(٩) مرات بصيغة المخاطب، كما وردت الأسماء الموصولة (مرتين)، كلها بصيغة الموصول الخاص بجمع الذكور.

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة مرتين: باسم الموصول الخاص (الذين) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو جملة: (ظَلَمُوا) في ذات الآية، لكلتا الإحالتين، في حين ربط الموصول الأول (الذين) بين مرجع (الناس) وصلته (ظلموا)، ولقد صح هذا الربط لصحة ظهور الموصول في

[1] أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٧/١٧٠، و الألوسي: (روح المعاني)، ص:٨/ ٢٥٦.

مقام الضمير، وقد جاءت صلة الموصول في بمثابة الوصف لهذا الصنف من الناس، وجاء الموصول مجرد وصلة بين الموصوف وصفته، حيث إن المراد بالناس "الكفارُ المعبّرُ عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهرُ إتيانِ العذاب والعدولُ إليه من الإضمار للإشعار بأن المرادَ بالإنذار هو الزجرُ عمَّا هُم عليهِ من الظلم شفقةً عليهم لا التخويفُ للإزعاج والإيذاء".[١]

حيث إن قوله –تعالى–: ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أصلها "فيقولون والعدولُ عنه للتسجيل عليهم بالظلم وللإشعار بأن ما لقُوه من الشدة إنما هو لظلمهم وإيثارُه على صيغة الفاعل حسبما ذكر أولا للإيذان بأن الظلمَ في الجملة كافٍ في الإفضاء إلى ما ذكر من الأهوال، من غيرِ حاجةٍ إلى الاستمرار عليه كما يُنبِئُ عنه صيغةُ الفاعلِ وعلى تقدير كون المرادِ بالناس مَنْ يعمّ المسلمين أيضا فالمعنى الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وهم الكفارُ أو يقول كلُّ من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذَرين وغيرِهم من الأمم الخاليةِ فإن إتيانَ العذاب يعُمهم كما يشعر بذلك وعدُهم باتباع الرسل"[٢].

وجملة (أَوَ لَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُمْ مّن قَبْلُ) على إضمار القولِ معطوفا على (فيقول) أي: "فيقال لهم توبيخا وتبكيتا ألم تؤخَّروا في الدنيا، ولم تكونوا أقسمتم إذ ذاك بألسنتكم بطرا وأشرا وجهلا وسفها، وفيه إشعارٌ بامتداد زمانِ التأخير وبُعد مداه، وصيغةُ الخطاب في جواب القسم لمراعاة حالِ الخطاب في أقسمتم، وهو أدخلُ في التوبيخ من أن يقال مالنا مراعاةً لحال المقسِم" [٣]

وجملة الموصول الثانية ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ "المرادُ بهم إما جميعُ مَنْ تقدّم من الأمم المهلكة على تقدير اختصاصِ الاستمهال، والخطابُ السابقُ بالمنذرين، وإما أوائلُهم من قوم نوحٍ وهود على تقدير عمومها للكل وهذا الخطابُ وما يتلوه باعتبار حالِ أواخرهم، أو هو يعم جميع أمم الشرك عدا الأمة الأولى منهم، وهذا من تخصيص العموم بالعقل؛ إذ لا بد أن تكون الأمة الأولى من أهل الشرك لم تسكن في مساكن مشركين"[٤].

- **دلالة عائد الصلة:**

وإن كان الموصول وضع قنطرة إلى وصف المعارف بالجمل، ولا بد له من صلة مشتملة على ضمير مطابق له في الإفراد والتذكير وفروعهما، وهو ما يسمى بـ(العائد)، الذي يوثق عرى هذا

---

[١] أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٥/٥٦-٥٧، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣/ ٢٤٩.

[٢] أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٥/٥٦-٥٧، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣/ ٢٤٩.

[٣] أبو السعود: (تفسير أبو السعود)، ص:٥/٥٦-٥٧.

[٤] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣/ ٢٤٩.

الترابط، كخرزة العقد، تجمله وتحسنه وتقوي تماسكه، فلا يعني حذف هذا العائد خلاف ذلك، وإنما قد يحذف لأغراض دلالية نصية لا يخفيها البيان، فـ"ربَّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد"[1]، هذا وقد تعدد حذف الضمير العائد على صلة الموصول كثيرا في مشاهد القيامة، ومن ذلك قول الله –تعالى–:

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ لِيَحْمِلُ(و)ا أَوْزَارَ(هُمْ) كَامِلَةً (هي) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ (الَّذِينَ) يُضِلُّ(و)نَ(هُم) بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ (مَا) يَزِرُ(و)نَ ﴾

ويلاحظ تنوع الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه، بلغ ورودها (٨) مرات، جاءت الضمائر فيها (٦) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، كلها بصيغة الغائب، كما وردت الأسماء الموصولة(مرتين)، (مرة) واحدة بصيغة الموصول الخاص بجمع الذكور، و(مرة) واحدة بصيغة الموصول العام المشترك.

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة مرتين: باسم الموصول الخاص (الذين) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو جملة: (يضِلُّونَهُم) في ذات الآية، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته بالضمير العائد وهو(هم)، أما الإحالة الثانية؛ فقد جاءت باسم الموصول العام: (ما) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو جملة: (يزرون)، وعائد الصلة محذوف مقدر بـ(الذي يزرونه).

وقد آثر القرآن استخدم الموصول الخاص فيما يعقل (المضلون)، فيما استخدم الصلة العامة (ما) مع (الأوزار) وهي في حقيقتها الأثقال، جمع وِزْر وهو الثقل، و"استعملت في هذه الآية للجرم والذنب، لأنها تثقل فاعلها عن الخلاص من الألم والعناء، فأصل ذلك استعارة بتشبيه الجرم والذنب بالوزر، وحمل الأوزار تمثيل لحالة وقوعهم في تبعات جرائمهم بحالة حامل الثقل لا يستطيع تفصّيا منه، فلما شبه الإثم بالثقل فأطلق عليه الوزر شبه التورط في تبعاته بحمل الثقل على طريقة الاستعارة التخييلية، وحصل من الاستعارتين المفرقتين استعارة تمثيلية للهيئة كلها"[2].

---

[1] الجرجاني: (دلائل الإعجاز)، ص:١٥١.

[2] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣٢/١٤.

وقد أفاد حذف عائد الصلة هنا العموم، وذلك لأن "تسببهم في الضلال يقتضي مساواة المضل للضال في جريمة الضلال، إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين"[(١)]، فهم على ذلك يحملون أوزارا عظيمة مضافا إليها أوزار من أضلُّوهم بدليل وصف الأوزار بـ(الكاملة) "تحقيقا لوفائها وشدة ثقلها ليسري ذلك إلى شدة ارتباكهم في تبعاتها إذ هو المقصود من إضافة الحمل إلى الأوزار، وهو أبلغ من «تامة» لأن التمام قد يكون في العدة مع خلل في بعض الوصف، وأضيفت الأوزار إلى الضمير «هم» لأنهم مصدرها، وصيغة الاستقبال في [يُضِلُّونَهُمْ] للدلالة على استمرار الإضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل"[(٢)].

كما جاءت جملة [بِغَيْرِ عِلْمٍ] في موضع الحال من ضمير النصب في (يضلونهم)، أي: "يضلون ناسا غير عالمين يحسبون إضلالهم نصحا، إذ المقصود من هذا الحال تفظيع التضليل لا تقييده فإن التضليل لا يكون إلا عن عدم علم كلا أو بعضا"[(٣)].

ثم ختم كل ذلك بجملة [أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ] فأدخل همزة الإنكار على حرف النفي، فصار إثباتا على أبلغ وجه، وهي جملة: "تذييل افتتح بحرف التنبيه اهتماما بما تتضمنه للتحذير من الوقوع فيه أو للإقلاع عنه"[(٤)]، و«ساء» هنا تحتمل أوجها ثلاثة، "أحدها: أنها «ساء» المتصرفة المتعدية، ووزنها حينئذ (فعَل) فتح العين، ومفعولها حينئذ محذوف، وفاعلها «ما»، و «ما» تحتمل ثلاثة أوجه: أن تكون موصلة اسمية أو حرفية أو نكرة موصوفة وهو بعيد، وعلى جعلها اسمية أو نكرة موصوفة يقدر لها عائدا، والحرفية غير محتاجة إليه عند الجمهور، والتقدير: (ألا ساءهم الذي يزرونه، أو شيء يزرونه، أو وزرهم).

أما الثاني: أن تكون للتعجب فتنتقل من (فعَل) بفتح العين إلى (فعُل) بضمها، فتعطى حكم فعل التعجب: من عدم التصرف والخروج من الخبر المحض إلى الإنشاء، إن قلنا: إن التعجب إنشاء وهو

---

(١) القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٧/ ٢٣٠، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣٣/١٤.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي "المتوفى: ٨٨٥هـ": (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص:١١/ ١٣٧، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣٢/١٤.

(٣) أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٦/ ٥٢٠، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٧/ ٣٦٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣٢/١٤.

(٤) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٣٣/١٤.

الصحيح، والمعنى: (ما أسوأ – أي أقبح– الذي يزرونه، أو شيئا يزرونه، أو وزرهم)، والثالث: أنها بمعنى بئس فتكون للمبالغة في الذم فتعطى أحكامها أيضا، ويجري الخلاف في«ما» الواقعة بعدها .
وقد ظهر الفرق بين هذه الأوجه الثلاثة فإنها في الأول متعدية متصرفة والكلام معها خبر محض، وفي الأخيرين قاصرة جامدة إنشائية"[1].

وعليه فحُذِف العائد توسعا في المعنى لاحتمال أن تكون(ما) مصدرية، فيكون المعنى حينئذ: (ساء وزرهم)، وإن كانت موصولة فالمعنى: (ساء الذي يزرونه) ولا تعارض بين المعنيين بل هما مترادفان يشيران إلى ذم هؤلاء القوم وتقبيح عاقبة أعمالهم، التي استحقوا بسببها تلك الآثام التي تزيد بآثام من أضلُّوهم بغير علم، من غير نقصان شيء من آثام من أُضِلُّوا، و في استخدام الموصول العام (ما) دلالة على العموم أيضا، لأنه يطلق على الواحد والمثنى والجمع، ولو ذكر العائد لدل على شيء واحد وهو الاسم الموصول فكان حذفه أولى لأنه لم يقيد فعم المعنيين.

ومنه أيضا قول الله –تعالى–: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٢– ١٠٣] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ لَا يَسْمَعُ(و)نَ حَسِيسَ(هَا) ۖ وَ(هُمْ) فِي (مَا) اشْتَهَتْ(ـه) أَنفُسُ(هُمْ) خَالِدُونَ (هم) – لَا يَحْزُنُ(هُمُ) الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّا(هُمُ) الْمَلَائِكَةُ (هَٰذَا) يَوْمُ(كُمُ) (الَّذِي) كُنـ(تُمْ) تُوعَدُ(و)نَ(ـه) ﴾

وقد تنوعت الإحالات في هاتين الآيتين بين الضمائر واسم الإشارة والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (١٥) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٢) مرة بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (٩) مرات منها بصيغة الغائب، و(٣) مرات منها بصيغة المخاطب، كما وردت الأسماء الموصولة(مرتين)، (مرة) بصيغة الموصول الخاص بجمع الذكور، و(مرة) بصيغة الموصول العام، كما جاء اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المفرد المذكر القريب.

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة مرتين: باسم الموصول العام (ما) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو جملة: (اشتهت) في ذات الآية، وعائد الصلة محذوف مقدر بـ(الذي

[1] أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٤/ ٤٨٣– ٤٨٤، والسمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:٤/ ٥٩٧– ٥٩٨.

اشتهته)، أما الإحالة الثانية؛ فقد جاءت باسم الموصول الخاص بالمفرد المذكر: (الذي) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق وهو: (اليوم)، وعائد الصلة محذوف مقدر بـ(الذي كنتم توعدونه).

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ بيانٌ لفوزهم بالمطالب إثرَ بيان خلاصِهم من المهالك والمعاطب أي: دائمون في غاية التنعمَ وتقديمُ الظرف للقصر والاهتمام به ورعاية الفواصل[١].

وقد جيء بالموصول العام (ما) ليدل على العموم، وحذفت صلته لذات الدلالة، كما عبر بالماضي؛ لأنه إنما عنى الاشتهاء الثابت وهو الفوز بالبعد عن النار والخلود في هذا الفوز وما فيه من النعيم والكرامة، لذا جاء بعده بالاسم (خالدون) أي: مقيمون، ليدل على الدوام، والشهوة: "تشوق النفس إلى ما يلذ لها"[٢]، ولما كانت الشهوة كذلك "لا تكون إلا بليغة، عبر بالافتعال دلالة على عظيم ما هم فيه من اللذة فقال: {اشتهت أنفسهم}"[٣] وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيه {خالدون} أي: دائما أبدا.

وهناك نوعان من اشتهاء الأنفس: "اشتهاء ثابتا وهو الخلود في النعيم، واشتهاء متجددا وهو ما يطلبونه ويتمنونه كما في قوله -تعالى-: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢)﴾ [سورة الطور:٢٢]، وقوله -تعالى-: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) ﴾ [سورة فصلت:٣١] أي: ما تطلبون، فلهم ما تشتهي أنفسهم من الأشياء المتجددة والثابتة، فعبر عن الاشتهاء الثابت بالفعل الماضي؛ لأن هذا مما استقر في النفوس، وعبر عن الاشتهاء المتجدد بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد"[٤].

أما قوله -تعالى-: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فهو "بيان لنجاتهم من الأفزاع بالكلية بعد بيان نجاتِهم من النار لأنهم إذا لم يُحزُنْهم أكبرُ

---

[١] ينظر: البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٤٨٦- ٤٨٧، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٦/ ٨٧-٨٨، والألوسي: (روح المعاني)،ص:٩/ ٩٣- ٩٤.

[٢] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٤٨٦- ٤٨٧، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٨/ ٣٧٥، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٧/ ١٥٦- ١٥٧.

[٣] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٤٨٦- ٤٨٧.

[٤] السامرائي: (على طريق التفسير البياني)، ص:٤/٢٣٩.

الأفزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة"[١] والفزع هو: "نفرة النفس وانقباضها مما تتوقع أن يحصل لها من الألم، وهو قريب من الجزع ويطلق على الذهاب بسرعة لما يهول، والمراد به هنا فزع الحشر حين لا يعرف أحد ما سيؤول إليه أمره" [٢] لذا يحصل لهم الأمن بتلقي الملائكة لهم والتلقي هو: "التعرض للشيء عند حلوله تعرض كرامة، والصيغة تشعر بتكلف لقائه وهو تكلف تهيؤ واستعداد"[٣]وذلك مفاد قوله -تعالى-: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي: تستقبلهم الملائكة بالرحمة، وتتلقاهم تلقيا بالغا في الإكرام عند قيامهم من قبورهم، وحيثما توجهوا بالسلام عليهم وعند أبواب الجنة يهنونهم، ويقولون بشارة وتذكيرا لهم بما وعدوا في الدنيا لئلا يحسبوا أن الموعود به يقع في يوم آخر [هذا يَوْمُكُمُ] أي: هذا يوم تعجيل وعدكم، وإضافة (يوم) إلى ضمير المخاطبين لإفادة اختصاصه بهم فهم المنتفعون به وفائدتهم حاصلة فيه، والإشارة باسم الإشارة المذكر القريب لتعيين اليوم وتمييزه أكمل تمييز بأنه اليوم الحاضر تكميلا لتعريفه بالإضافة لئلا يلتبس عليهم بيوم آخر، [الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] به في الدنيا وتبشرون بما فيه لكم من الكرامة والثواب والنعيم على الإيمان والطاعة[٤]، وبني الفعل للمفعول إفادة للعموم؛ لأنه "لما تطابق على الوعد فيه الرسل والكتب والأولياء من جميع الأتباع، بنى الفعل للمفعول فقال: { تُوعَدُونَ } أي: بحصول ما تتمنون فيه من النصر والفوز العظيم، والنعيم المقيم، فأبشروا فيه بجميع ما يسركم"[٥].

وجاء بالصلة لدلالة التوكيد على أن هذا اليوم هو اليوم، الموعود بالبشارة والثواب لا غيره، فإنه لما ذكر خلودهم فيما تشتهيه أنفسهم كان معنى ذلك أن سرورهم ليس له زوال، وأكده بقوله: {لا يحزنهم} أي: "لا يدخل عليهم حزنا بالفتح، من حَزَنه، أو بضم ثم كسر من أَحْزَنه - رباعيا، فهي أشد، فالمنفي فيها كونه يكون لهم صفة {الفزع الأكبر} أي: فما الظن بما دونه"[٦]، وجاء

---

[١] أبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٦/ ٨٧-٨٨، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٨/ ٣٧٥.

[٢] الألوسي: (روح المعاني)،ص:٩/ ٩٣- ٩٤، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٧/ ١٥٦- ١٥٧.

[٣] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٧/ ١٥٦- ١٥٧.

[٤] ينظر: البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٤٨٦- ٤٨٧، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٦/ ٨٧-٨٨، والألوسي: (روح المعاني)،ص:٩/ ٩٣- ٩٤، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٨/ ٣٧٦، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٧/ ١٥٦- ١٥٧.

[٥] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٤٨٦- ٤٨٧.

[٦] المرجع السابق نفسه.

التعبير بالضمير الجمعي للمتكلم العائد على الذين سبقت لهم الحسنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠١] مصدَّرا بالفعل الماضي الثبوتي (كنتم) المتصلة بتاء المخاطب وميم الجمع "للتنبيه على أنهم متأصلون في الوعد بالجنة وذلك من سابق إيمانهم وأعمالهم"[١]، وفي التعبير بالماضي لفتة موحية تمنحك شعورا بحلول هذا اليوم، وأن الدنيا قد انتهت، وهم في الآخرة الآن، وكأن الجزاء هو الحاضر، والدنيا هي الماضي الذي انقضى، ويذكر "تذكيرا لهم بأعمالهم التي وعدوا عليها بالجنة، وتعجيلا لهم بمسرة الفوز برضى الله، وتحقيق وعده"[٢]، وقد أزجى استخدام الماضي ظلالاً مكثفة من المعاني مؤداها: أن تلك المشاهد واقعة لاريب، والزمن عند الله لا مستقبل فيه، فأخرجه مخرج الأمر الثابت، وكأن الأمر انتهي وثبت.

ويستوقف المتأمل في الآيات سيطرة التعبير عن الموقف بالمجموع، سواء أكان بالضمير أم بجمع المذكر السالم أم جمع التكسير في حشد واضح: (يسمعون، أنفسهم، خالدون، يحزنهم، تتلقاهم، الملائكة، يومكم، كنتم، توعدون).

وتلك الجموع – بلا شك – تمثل حالة من الانفعال الشديد للأحداث ترتكز إلى إزجاء الكثرة العددية والازدحام، لتناسب الانفعال السائد المهيمن على الآيات، وقد زاوجت الآيات بين جمع المذكر السالم وجمع التكسير، واستخدمت كلا في موضعه، فما يدل على القلة أَزْجته مع المؤمنين لقلة عددهم، وما يدل على الكثرة خصته بالملائكة لكثرة عددهم هذا غير ضمير الجمع المسيطر على المشهد.

ثم زاوجت بين الجمل ذوات الفعل الماضي في سياق وصف أهوال القيامة مع ثلّة من المضارع توضح الأبعاد الزمنية في عطف الأفعال المختلفة زمانا، كلٌّ في سياقه، فالمضارع تجدد واستمرار، بخلاف الماضي الموحي بتحقق الوقوع وانتهائه.

وختم كل ذلك بجملة خبر كان [توعدون] المبنية لغير الفاعل، للعلم بالفاعل من ناحية وليلفت النظر للحدث ذاته في هذا الفعل، فبان المراد من ذلك الإخبار بوقوع الوعد بالثواب والجزاء على الطاعات، وكأنه قال كان وعْد ثم حقق، وفي "التعبير بالمضارع إفادة لتكرار وعدهم، وذلك بتكرر الأعمال الموعود لأجلها وبتكرر الوعد في مواقع التذكير والتبشير"[٣]، ولعل في حذف عائد

[١] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٤/ ٢٨٥.

[٢] المرجع السابق نفسه.

[٣] المرجع السابق نفسه.

الصلة إضافة إلى دلالة العموم نوعا من التعظيم والتشريف فهذا الوعد الذي توعدونه عظيم مختص بيوم الفزع الأكبر الذي لا يحيط بسره وصف ولا يجري عليه مثال، والبشارة العامة فيه محقق وقوعها تشريفا وتعظيما للمتقين، إضافة إلى مراعاة الفاصلة القرآنية، وقد شكل كل ذلك توازيا في التركيب بين الجمل التصويرية المترابطة التي نقلت الحدث ذاته، مجْدولة باسم الموصول وجملته التي جاءت مؤكدة تلك النتيجة التي وصلوا إليها، في جو من التناسق عجيب بين الجمل القصيرة السريعة، وتناسق جزيئاتها التركيبية، فإذا ما قرأها القارئ تخيلها وكأنها سكبت في حناياه راحة ربانية وتغشته سكينة لم يألف لها قبل عهدا من جميل ما تملكه ولطف ما سجاه.

هذا ولا يخفى ما أعطته الإحالة بالاسم الموصول هنا من المرونة والاتساع في التعبير اللغوي، بجانب التماسك والتعاضد النصي الجلي البين بتلاحم وحداته وعناصره التركيبية.

- **دلالة الصلة على الاختصار والاقتصاد:**

وإن كانت الصلة جملة في ذاتها يحوي التعبير بها نوعا من الطول بخلاف التعبير بالاسم المفرد، إلا إنها قد ترد لدلالة الاختصار والاقتصاد في سياقات بعينها، بحيث لو عبر بغيرها لدل على التطويل والإطناب، ومن ذلك قول الله -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) ﴾ [سورة الكهف: ٥٢]، ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ (هو) نَادُ(و)ا شُرَكَائِـ(يَ) (الَّذِينَ) زَعَمْـ(تُمْ) فَدَعَـ(وْ)(هُمْ) فَلَمْ يَسْتَجِيبُـ(و)ا لَـ(هُمْ) وَجَعَلْـ(نَا) بَيْنَـ(هُم) مَّوْبِقًا ﴾

وقد تنوعت الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (١١) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٠) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (٦) مرات منها بصيغة الغائب، و(مرتين) بصيغة المتكلم، و(مرتين) بصيغة المخاطب، كما ورد الاسم الموصول (مرة) واحدة، بصيغة الموصول الخاص بجمع الذكور.

و جاءت الإحالة في هذه الآية باسم الموصول الخاص: (الذين) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق وهو: (الشركاء) المذكورين في ذات الآية [شُرَكَائِيَ]، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته

بالضمير العائد وهو(تم)، والمعنى: يقول الله للمشركين، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، أي: زعمتموهم شركائي.

وقدم وصفهم بوصف الشركاء قبل فعل الزعم تهكما بالمخاطبين وتوبيخا لهم وتقريعا، ثم أردف بما يدل على كذبهم فيما ادعوا بفعل الزعم الدال على اعتقاد باطل، و الإضافة في (شركائي) تكون بأدنى ملابسة وليست على حقيقتها، بل هي توبيخ لهم و جري على ما يعتقده المشركون، فهي باعتبار ما كانوا يزعمون، فإنهم كانوا يزعمون أنهم شركاء كما يزعمون أنهم شفعاء، ويجوز أن يكون الكلام بتقدير:(زعمتموهم شركاء)، والمراد بهم إبليس وذريته، وجعلهم بدلا فيما تقدم مبني على ما لزم من فعل عبدتهم المطيعين لهم فيما وسوسوا به أو كل ما عبد من دون الله –تعالى–. [1]

و «الزعم» إنما هو: "مستعمل أبدا في غير اليقين، بل أغلبه في الكذب، ومنه هذه الآية، وأرفع موضعه أن يستعمل «زعم» بمعنى أخبر، حيث تبقى عهدة الخبر على المخبر، كما يقول سيبويه: زعم الخليل"[2]، ومفعولا زعمتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما إذ التقدير: (زعمتموهم شركائي).

وقد وقع الموصول هنا لمعرفة ظاهرة ليست مقدرة هي لفظ (شركائي)، كما أن هذا الموصول يصح استبداله بالضمير كما تصح إعادة ذكره، دون تأثر السياق النصي بذلك، بدليل صحة قول: [نادوا شركائي (شركائي المزعومين)] أو (هم المزعومين)، فجاء الموصول ليربط المعرفة شركائي بصلته زعمتم التي وصفتها، وذلك لأن النعت هي الصلة لا الموصول إذ الموصول مجرد رابط فقط، فلما كان النعت بالجملة كان لابد من رابط يربط هذه الجملة بمنعوتها، فكان أقرب ما يكون لجملة الصلة هو موصولها الذي يكمل كل منهما الآخر، لذا جاء الربط بالموصول بين الجملتين لاختصار التكرار أو إعادة الذكر، لأن ذلك يؤدي إلى التطويل والإطناب، بالإضافة إلى قصر الإضافة لله تعالى في (شركائي) عن حقيقتها بوصفها بالزعم الذي اعتقده المشركون طيلة حياتهم، تعالى الله عن ذلك.

أما أمره إياهم بمناداة شركائهم فمستعمل في معناه مع إرادة لازمة، وهي إظهار باطلهم بقرينة فعل الزعم، ولذلك لم يسعهم إلا أن ينادوهم، حيث قال: {فدعوهم} أي: فعلوا ما أمرهم الله به من

---

[1] ينظر: ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٥٢٣، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٧/ ١٩١، والقنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٨/ ٦٨، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/ ٣٤٥.

[2] ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٥٢٣– ٥٢٤.

دعاء الشركاء واستغاثوا بهم لطمعهم وتماديا في الجهل والضلال، والمعنى على الاستقبال كما هو ظاهر {فلم يستجيبوا لهم} أي: لم ينصروهم، إعراضا عنهم واستهانة بهم واشتغالا بأنفسهم، وفي إيراده مع ظهوره تهكمٌ بهم وإيذانٌ بأنهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه إلا بالتصريح به،[1] ولذلك عطف فعل الدعاء بالفاء الدالة على التعقيب، وأتى به في صيغة المضي للدلالة على تعجيل وقوعه حينئذ حتى كأنه قد انقضى، ولما كانوا في غاية الاستبعاد لأن يحال بينهم وبين معبوداتهم، قال في مظهر العظمة: {وجعلنا بينهم} أي: "المشركين والشركاء أو بين المؤمنين والكفار {موبقا}"[2].

و الموبق: هو كل حاجز بين الشيئين، وهو اسمُ مكانٍ أو مصدر من وبَق وُبوقا كوثب وثوبا أو وبِق وبَقا كفرح فرحا إذا هلَك أي: مهلِكا يشتركون فيه وهو النارُ أو عداوة هي في الشدة نفسُ الهلاك، وقال الفراء: الموبق المهلك، يقال وَبِق يَوْبَق فهو وَبِقٌ، وحكى الكسائي وَبِق يَبِق وبوقا فهو وابق، وهو اسم واد عميق في جهنم فرق الله – تعالى– به بين المشركين والشركاء من قيح ودم، أو فرق الله به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وهذا على المعنى الأول، وعلى المعنى الثاني هو مكان الوبوق، أي: الهلاك، يقال: وبق مثل وعد ووجل وورث، والمراد بالمهلك هو (جهنم) أي: عذاب النار يشتركون فيه، والأول أولى لأن من جملة من زعموا أنهم شركاء لله الملائكة وعزير والمسيح، فالموبق هو المكان الحائل بينهم، والبرزخ البعيد أي: جعلنا بينهم أمدا بعيدا يُهلِك فيه الأشواطُ لفرط بعدهم لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان، وقد ثبت في اللغة أَوْبَقَهُم بمعنى أهلكهم ولكن المناسب لمعنى الآية هو المعنى الأول.[3]

ويجوز أن تكون جملة (وجعلنا بينهم موبقا) جملة حال أي: وقد جعلنا بينهم موبقا تمهيدا لما بعده من قوله –تعالى–: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [سورة الكهف: ٥٣].

والظاهر انتصاب بينهم على الظرف، وقال الفراء: البين هنا الوصل أي: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة، فعلى هذا يكون مفعولا أولا لجعلنا إن كان (جعل) بمعنى (خلق) كان

---

[1] ينظر: البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٧٨، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٥/ ٢٢٩، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٨/ ٦٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/ ٣٤٥.

[2] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٧٨.

[3] ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٧٢٨، و البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٢/ ٧٨، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٥/ ٢٢٩، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٨/ ٦٨-٦٩.

الظرف متعلقا به أو بمحذوف وقع صفة لمفعوله قدم عليه لرعاية الفواصل فتحول حالا، و(مَوْبِقا) مفعوله الثاني، وعلى الظرف يكون في موضع المفعول الثاني لجعل إن كان(جعل) بمعنى (صيّر) و(مَوْبِقا) مفعوله الأول[1].

ولا يخفى هنا دقة التركيب في المزاوجة بين الأفعال والحروف، وقد ظهر جليا سيطرة الماضي للدلالة على سرعة التحقق والوقوع، إضافة إلى ما أفادته الإحالة بالصلة من الوصف و القصر والاختصار الذي ربط تلابيب النص بعضها ببعض في أقوى سبك وأحكم ربط.

- **دلالة الصلة على التوكيد:**

وقد يقع الموصول الظاهر موضع الضمير المضمر إشعارا بالعلة وتأكيد للاستحقاق كنتيجة لذلك السبب، بحيث لو عبر بغير الصلة لما أفيد معنى التوكيد وعلته، ومن ذلك قوله -تعالى-:﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٣٣)﴾ [سورة سبأ: ٣٣] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ وَقَالَ (الَّذِينَ) اسْتُضْعِفُ(و)ا لِ(لَّذِينَ) اسْتَكْبَرُ(و)ا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُ(و)نَ(نَا) أَن نَّكْفُرَ(نحن) بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ (نحن) لَ(هُ) أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّ(و)ا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَ(وُ)ا الْعَذَابَ وَجَعَلْ(نَا) الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ (الَّذِينَ) كَفَرُ(و)ا ۚ هَلْ يُجْزَ(وْ)نَ إِلَّا (مَا) كَانُ(و)ا يَعْمَلُ(و)نَ(ه) ﴾

وقد تنوعت الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (١٩) مرة، جاءت الضمائر فيها (١٥) مرة بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (١٠) مرات منها بصيغة الغائب، و(مرة) واحدة بصيغة المخاطب، و(٤) مرات بصيغة المتكلم، كما وردت الأسماء الموصولة (٤) مرات، (٣) منها بصيغة الموصول الخاص بجمع الذكور، و(مرة) واحدة بصيغة الموصول العام.

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة (٤) مرات: ثلاث منها باسم الموصول الخاص بجمع الذكور (الذين): في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق، وهو جملة: (استكبروا) في ذات الآية للإحالة الأولى، وجملة: (استضعفوا) في ذات الآية للإحالة الثانية، وجملة: (كفروا) في ذات الآية

[1] ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٧٢٨، و ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٥٢٣- ٥٢٤، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٧/ ١٩٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٥/ ٢٢٩، و الألوسي: (روح المعاني)،ص: ٨/ ٢٨١- ٢٨٢، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/ ٣٤٥.

للإحالة الثالثة، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته بالضمير العائد وهو(واو الجماعة)، في كل تلك الإحالات الثلاث، في حين جاءت الإحالة الرابعة باسم الموصول العام (ما): في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو جملة: (كانوا يعملون) في ذات الآية، وعائد الصلة محذوف مقدر بـ(ما كانوا يعملونه).

و{الذين استضعفوا} هم: الذين وقع استضعافهم ممن هم فوقهم في الدنيا وهم الأتباع، و{الذين استكبروا} هم: الذين أوجدوا الكبر وطلبوه بما وجدوا من أسبابه التي أدت إلى استضعافهم للأولين وهم الرؤوس المتبوعون[1]، و{الذين كفروا} هم: الفريقان السابقان اللذان حالت عليهم الضمائر المتقدمة، وجرت بينهم المقاولة والخصومة في تلك الحالة على سبيل اللوم والتأنيب.

وأضاف (المكر) في قوله -تعالى-: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إلى الليل والنهار، إما على الإسناد المجازي قال المبرد: كما تقول العرب: (نهاره صائم وليله قائم)، وهو كقولهم: (ليل ماكر)[2].

وعليه، فيكون مصدرا مضافا لمرفوعه، وإما على الاتساع في الظرف، فحُذف المضافُ إليه وأقيم مقامَه الظَّرفُ اتَّساعا، وجُعِل كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه،[3] وقد استعير فيه إسناد المكر إلى

---

[1] ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ٥٨٥، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥٠٩-٥١٠، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥

[2] ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ٥٨٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٨/ ٥٥٢- ٥٥٣، و البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥١١-٥١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥،و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢/ ٢١٠- ٢١١.

[3] وقُرئ بل مكرٌ اللَّيلَ والنَّهارَ بالتَّنوينِ ونصب الظَّرفينِ أي: بل صدَّنا مكرُكم في اللَّيلِ والنَّهارِ على أن التنوين عوضٌ عن المضافِ إليهِ أو مكرٌ عظيمٌ على أنَّه للتَّفخيمِ وقُرئ بل مكرُ اللَّيلِ والنَّهارِ بالرَّفعِ والنَّصبِ أي: تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه، فالرفع على الفاعلية أي: بل صدَّنا مكركم الإغواء في اللَّيل والنَّهارِ، على ما سبق من الاتِّساع في الظَّرفِ بإقامتِه مقامَ المضافِ إليه، والنَّصبِ على المصدرية أي: بل تكرون الإغواءِ مكرَ اللَّيلِ والنَّهارِ، أي: مكرا دائما، أو الرفع لأنه مبتدأ أو خبر، على معنى: بل سبب ذلك مكركم، أمكركم سبب ذلك، والنصب على: بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار، ويقول أبو حيان: "والأولى عندي أن يرتفع مكر على الفاعلية، أي: بل صدنا مكركم بالليل والنهار، ونظيره قول القائل: أنا ضربت زيدا بل ضربه عمرو، فيقول: بل ضربه غلامك، والأحسن في التقدير أن يكون المعنى: ضربه غلامك"، أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٨/ ٥٥٢- ٥٥٣، وينظر: البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥١١-٥١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨.

الليل والنهار لطول السلامة وطول الأمل فيهما، إذ أصل المكر في كلام العرب الخديعة والحيلة، يقال: (مكر به إذا خدعه واحتال عليه)، وفي قوله: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ دلالة على المداومة والاستمرار في أمرهم بالكفر بالله الملك الأعظم، وجعل الأمثال والأنداد معبودات لهم من دونه تعالى، وهو ظرفٌ للمكرِ أي: بل مكرُكم الدَّائمُ وقتَ أمرِكم لنا، ثم إنهم قد ظنوا أن تلك المقاولة والخصومة تغني عنهم شيئا فـ﴿ أَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: أضمرَ الفريقانِ الندامة على ما فَعَلا من الضَّلالِ والإضلالِ وأخفاها كلٌّ منهما عن الآخرِ مخافةَ التَّعييرِ والشماتة، أو أظهرُوها فإنَّه من الأضدادِ يكون تارة بمعنى الإخفاء وتارة بمعنى الإظهار [1]، والضمير في (وأسروا) يحيل إلى الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين، وهم الظالمون في قوله تعالى: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سورة سبأ:٣١] إذ يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم، والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين، والجملة مستأنفة أو حال من الذين استضعفوا والذين استكبروا[2].

وحين تبينت الندامة في أسرة وجوههم، بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون؛ فأبهتهم، فلم يقدروا لفوات المقاصد وخسران النفوس أن نسبوا بكلمة، ولأجل أن العذاب عم الشريف منهم والوضيع، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ﴾ والأغلال: جمع غُل بضم الغين، وهو دائرة من حديد أو جلد على سعة الرقبة توضع في رقبة المأسور ونحوه ويشد إليها بسلسلة أو سير من جلد أو حبل، فهي الجوامع التي تغل اليد إلى العنق[3].

---

[1] والندامة من المعاني القلبية، فلا تظهر وإنما يظهر ما يدل عليها، وما يدل عليها غيرها، وقيل: هو من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا لم يثبت قط في لغة أن أسر من الأضداد. ينظر: ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٤/ ٤٢١، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٨/ ٥٥٢- ٥٥٣.

[2] ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ٥٨٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٨/ ٥٥٢- ٥٥٣، و البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥١١-٥١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥،و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢/ ٢١٠- ٢١١.

[3] ينظر: البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥١١-٥١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥،و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢/ ٢١٠- ٢١١.

وجملة ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ معطوفة على جملة: ﴿ولو ترى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سورة سبأ:٣١] والتقدير: ولو ترى إذ جعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، وجواب (لو) المحذوف جواب للشرطين.

و أظهر في موضع الإضمار، فجاء بالاسم الموصول {في أعناق **الذين كفروا**} بدلا عن الضمير{في أعناق**هم**} تصريحا بالمقصود وتنبيها على الوصف الذي أوجب لهم ذلك، وللتَّنويهِ بمزيد ذمِّهم والتنَّبيهِ والدلالة على موجب أغلالِهم واستحقاقهم لها، فالإتيان بالاسم الظاهر وكونه موصولا للإيماء إلى أن ذلك جزاء الكفر[١]، ولذلك عقب بجملة هل يجزون إلا ما كانوا يعملون مستأنفة استئنافا بيانيا.

والظاهر عموم الصلة في (الذين كفروا)، فيدخل فيه المستكبرون والمستضعفون دخولا أوليا، "لأن من الكفار من لا يكون له اتباع مراجعة القول في الآخرة، ولا يكون أيضا تابعا لرئيس له كافر، وقيل: بل (الذين كفروا) هم الذين سبقت منهم المحاورة والمقاولة السابقة، وجعل الأغلال إشارة إلى كيفية العذاب بعد أن قطعوا بأنهم واقعون فيه فتركوا التندم"[٢].

ولا تعارض بين المرجعين لعموم(الكفار) أو لخصوص(المستكبرين والمستضعفين) كما يظهر، فالوصف بالصلة يحتمل كلا المعنيين اتساعا، فقد عاد الموصول على الذين استضعفوا والذين استكبروا، وربط بين هذا المرجع وصلته التي وصفت كلا المستضعفين والمستكبرين بالكفر، فالمربوط الأول هو كلا الفريقين المتحدث عنهما والمربوط الثاني هو جملة الصلة(كفروا)، وما الموصول إلا رابطة بينهما.

وخصت أعناقهم وأيديهم بهذا العذاب شعار على أنهم يساقون إلى ما يحاولون الفرار والانفلات منه، "لما كانت أعمالهم لقبحها ينبغي البراءة منها، فكانت بملازمتهم لها كأنها قد قهرتهم على ملازمتها وتقلدها طوق الحمامة، فهم يعاندون الحق من غير التفات إلى دليل، لذلك قال -تعالى-:

---

[١] ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٣/ ٥٨٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٨/ ٥٥٢- ٥٥٣، و البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥١١-٥١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥،و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢/ ٢١٠- ٢١١.

[٢] أبو السعود: (تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥،و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢/ ٢١٠- ٢١١.

﴿هَلْ يُجزون إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يُجزون إِلاَّ جزاءَ ما كانُوا يعملون؟ أو إلاَّ بما كانُوا يعملونه على نزعِ الجارّ"[1]، والاستفهام بـ(هل) مستعمل في الإنكار باعتبار ما يعقبه من الاستثناء، فتقدير المعنى: هل جزوا بغير ما كانوا يعملون، والاستثناء مفرغ معناه النفي، ولذلك دخلت إلا بعد النفي، و(ما كانوا يعملون) هو المفعول الثاني لفعل (يجزون) لأن (جزى) يتعدى إلى مفعول ثان بنفسه؛ لأنه من باب أعطى، كما يتعدى إليه بالباء على تضمينه معنى: عوضه، و"جعل جزاءهم ما كانوا يعملون على معنى التشبيه البليغ، أي مثل ما كانوا يعملون، وهذه المماثلة كناية عن المعادلة فيما يجاوزونه بمساواة الجزاء للأعمال التي جوزوا عليها حتى كأنها نفسها، وذلك لأن وضع الأغلال في الأعناق منع من حرية التصرف في أنفسهم فناسب نوعه أن يكون جزاء على ما عبّدوا به أنفسهم لأصنامهم، وما تقبلوه من استعباد زعمائهم وكبرائهم إياهم"[2].

ولذا جاء التعبير مصدرا بالفعل الماضي {إلا ما كانوا} أي :كونا هم عريقون فيه، في حين جاء بالمضارع في قوله: {يعملون} أي: "على سبيل التجديد والاستمرار مما يدعون أنهم بنوه على العلم، وذلك الجزاء هو ما يوجب قهرهم وإذلالهم وإخزاءهم وإنكاءهم وإيلامهم كما كانوا يفعلون مع المؤمنين ويتمنون لهم"[3].

وحذف عائد الصلة لدلالة الشمول والعموم لجميع ما كانوا يعملونه من المعاصي والآثام، وناسب ذلك استخدام الموصول العام (ما) لدلالته العامة الشاملة لأعمالهم التي لا تعقل، بخلاف لو استخدام الموصول الخاص بالعاقل (الذي) مثلا، وما سيحدثه من اختلال المعنى وقصر الصورة عن حقيقتها التي رسمت لها.

وقد دلت الصلة في هذه الآية على معان هي: التوكيد والشمول والعموم، فالأول خاص بالأسماء الموصولة الخاصة التي ظهرت في سياق الآية الكريمة، إذ المعنى:(وقال المستضعفون والمستكبرون وجعلنا الأغلال في أعناقهم)، بيد أن الضمير استبدل بالاسم الموصول للتأكيد على استضعاف المستضعفين،

---

[1] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥١١-٥١٢، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥،و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢/ ٢١٠- ٢١١.

[2] أبو السعود: (تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٧/ ١٣٤- ١٣٥،و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١١/ ١٩٧- ١٩٨، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٢/ ٢١٠- ٢١١.

[3] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٥/٥١١-٥١٢.

واستكبار المستكبرين، ثم كفرهم جميعا مع ظهور الحق وبيانه، ولسبب هذا الكفر البين وتأكيده في قرارة أنفسهم استحقوا العذاب لرغبتهم في الضلال واختيارهم له، لذا أعاد الموصول في قوله: (في أعناق الذي كفروا) بدلا من (أعناقهم) تأكيدا لتلك الحقيقة ولا شك أن التعبير بالضمير لا يفيد هذا المعنى ويصوره، أما دلالة العموم والشمول؛ فهي في صورة الموصول العام بآخر الآية والتي جاءت كجواب لجزاء أعمالهم الذي وقع عليهم بسبب (ما كانوا يعملون)، وفي المزاوجة بين الماضي والمضارع دقة دلالية تجسد الصورة المحكية في أقوى حبك، وأحكم سبك، وتلك بلاغة لا يخالطها التكلف وبيان لا يمازجه التزيد.

- **دلالة الصلة على الاستهزاء والتوبيخ:**

وقد تأتي الصلة لدلالة التوبيخ والتقريع والاستهزاء، بحيث لو عبر بغير الاسم الموصول لاختلت تلك الدلالة، ولم يؤمن لبس الانفصال بين المعنيين في الجملتين المترابطتين، ذلك لأن الموصول بلا شك يربط بين جملتين هما: الجملة التي تقع قبله وجملة الصلة التي تقع بعده واصفة لما قبلها، ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) ﴾ [سورة الذاريات: ١٤] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ ذُوقُ(و)ا فِتْنَتَـ(كُمْ) (هَٰذَا) (الَّذِي) كُنـ(تُم) بِـ(ـهِ) تَسْتَعْجِلُـ(و)نَ ﴾

وقد تنوعت الإحالات في هذه الآية بين الضمائر واسم الإشارة والاسم الموصول، في إحالات قبلية وبعدية داخلية، وخارجية قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٧) مرات، جاءت الضمائر فيها (٥) مرات بارزة ومتصلة، (مرة) واحدة منها بصيغة الغائب، و(٤) مرات بصيغة المخاطب، كما ورد اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المفرد المذكر القريب، وجاء الاسم الموصول(مرة) واحدة كذلك بصيغة الموصول الخاص بالمفرد المذكر.

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة مرة واحدة: باسم الموصول الخاص (الذي) في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق وهو اسم الإشارة: (هذا) قبله في ذات الآية، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته بالضمير العائد وهو(بـ"ـــه")، والمعنى: هذا ما كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا استهزاء منكم، فهو ذا حاضر نصب أعينكم.

والسين والتاء في (تستعجلون) للطلب، أي: كنتم في الدنيا تسألون تعجيله، وهو طلب يريدون به أن ذلك محال غير واقع، فيستعجلونه على جهة الاستهزاء و التكذيب منهم[١].

وقوله -تعالى-: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ مقول قول محذوف دل عليه الخطاب، وقع حالا من ضمير (يُفْتَنُونَ) في الآية السابقة عليه في قوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [سورة الذاريات: ١٣]، أي: "مقولا لهم على سبيل القرع والتوبيخ (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أي: عذابكم المعدّ لكم، وقد يسمى ما يحصل عنه العذاب- كالكفر- فتنة، وجوز أن يكون منه ما هنا كأنه قيل: ذوقوا كفركم- أي: جزاء كفركم- أو بجعل الكفر نفس العذاب مجازا"[٢].

والأمر في قوله: ﴿ذُوقُوا﴾ مستعمل في التنكيل، والذوق: "مستعار للإحساس القوي؛ لأن اللسان أشد الأعضاء إحساسا، وإضافة فتنة إلى ضمير المخاطبين يومئذ من إضافة المصدر إلى مفعوله، وفي الإضافة دلالة على اختصاصها لهم لأنهم استحقوها بكفرهم، ويجوز أن تكون الإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله، والمعنى: ذوقوا جزاء فتنتكم أي: تكذيبكم"[٣].

وجعل المذوق فتنتهم "إظهارا لكونه جزاء عن فتنتهم المؤمنين ليزدادوا ندامة وحسرة، وإطلاق اسم العمل على جزائه وارد في القرآن كثيرا كقوله -تعالى-: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ٨٢] أي: تجعلون جزاء رزق الله إياكم أنكم تكذبون وحدانية"[٤].

والإشارة في قوله: ﴿ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ إلى الشيء الحاضر نصب أعينهم، لذا استخدم اسم الإشارة المذكر القريب للدلالة على حضوره ومثوله أمامهم، و هذا مبتدأ، والذي خبره، وهي جملة داخلة تحت القول المضمر- أي: "هذا العذاب الذي كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء- ويجوز أن يكون هذا بدلا من (فِتْنَتَكُمْ) أي: ذوقوا هذا العذاب، ووصفه أبو حيان بالبعد، وقال: الاستقلال خير من البدل، ومعنى تفتنون: تعذبون في النار"[٥].

---

[١] ينظر: ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٥/ ١٧٤، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٨/ ٤٥٤، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٤٦.

[٢] ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٥/ ١٧٤، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٤/٨.

[٣] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٤٥.

[٤] المرجع السابق نفسه.

[٥] الزمخشري: (الكشاف)، ص:٤/ ٣٩٧، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٩/ ٥٥١، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٨/ ١٣٨، والقنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:١٣/ ١٩٣، والألوسي: (روح المعاني)، ص:١٤/٨، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٤٥.

وجملة ﴿ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ استئناف في مقام التوبيخ وتعديد المجارم، كما يقال للمجرم: فعلت كذا، وهي من مقول القول.[1]

ومن ثَمَّ، فقد اختار النظم القرآني الكريم التعبير بالموصول لإفادة دلالات بعينها، بحيث لو عبر بغيره لانتفت تلك الدلالة فلو قال مثلا: (هذا العذاب المستعجل به)، لانتفت دلالة التقريع ولعادت الإشارة إلى مذكور لاحق لها هو: (العذاب)، ولو جاء بالضمير فقال: (هذا هو المستعجل به)، لأبهم المعنى واختل التركيب، وهو تعبير يتسم بالركاكة والضعف، بعكس الموصول الذي يضفي توكيدا وتوضيحا للمعنى حينما يوجد في مثل هذا التركيب؛ فهو يربط ما قبله بما تصفه صلته بعده، لذا فقد اكتفي باسم الإشارة تهكما وتقريعا لهم وكأن ما استعجلوا به قد حضر أمامهم، فلم يعد ليحيطه وصف أو تحويه عبارة، و أكد باستخدام الموصول وجملته استهزاء بهم كما كانوا يستعجلون العذاب ويطلبونه على سبيل تكذيب وقوعه واستهزاء بالرسل والتابعين لهديهم.

هذا، ولا يخفى ما حققته الإحالة بالاسم الموصول من الترابط الكلي والتماسك النصي، ذلك لأن الموصول يستلزم دائما وجود جملة بعده وهذه الجملة تكون واصفة لما يقع قبله غالبا، والموصول هو الرابط الذي يربط سابقه بلاحقه، محدثا نسقا واحدا للنص كله، ومن خلال طبيعته اللغوية أو التشكيلة فهو يمنح النص قدرة إضافية لحمل معان دلالية وأغراض بلاغية تفيدها الجمل ولا يفيدها الاسم المفرد، مشكلة روابط كلامية لا يستقيم النص دونها، ومحددة جهة التعبير ووجهته، مع الكشف عن تنوعاته الدلالية وصوره البيانية وقيمته الأدائية السلوكية أو الأسلوبية، في ترابط نصي محكم تظهر آثاره جلية من خلال تراكيبه وسياقاته المتراصفة والمتعاضدة شكلا ومعنى.

[1] ينظر: ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٢٦/ ٣٤٦.

نماذج تحليلية

(١)سورة الأعراف الآية (٣٧):

يقول الله –تعالى–: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) ﴾ [سورة الأعراف: ٣٧] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مـ(مّـَنِ) افْتَرَىٰ (هو) عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ (هو) بِآيَاتِـ(ـهِ) (أُولَٰئِكَ) يَنَالُـ(هُمْ) نَصِيبُـ(هُم) مِّـنَ الْكِتَـابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْـ(هُمْ) رُسُلُـ(ـنَا) يَتَوَفَّوْ)نَـ(هُمْ) قَالُـ(و)ا أَيْـنَ (مَـا) كُنـ(تُمْ) تَدْعُـ(و)نَـ(ــه) مِـن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُـ(و)ا ضَلُّـ(و)ا عَـ(نَّا) وَشَـهِدُ(و)ا عَلَـىٰ أَنفُسِـ(هِمْ) أَنَّـ(هُمْ) كَانُـ(و)ا كَافِرِينَ (هم)﴾

وقد تنوعت الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة واسم الإشارة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد وشاسعة البعد أيضا، بلغ ورودها (٢٤) مرة، جاءت الضمائر فيها (٢١) مرة بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، (١٧) مرة منها بصيغة الغائب، و(مرتين) منها بصيغة المتكلم، و(مرتين) بصيغة المخاطب، كما ورد اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة الجمع، وورد الاسم الموصول (مرتين) بصيغة الموصول العام المشترك.

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة مرتين: الأولى باسم الموصول العام المشترك (من): في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق، وهو جملة: (افترى) بعده في ذات الآية، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته بالضمير العائد المضمر وهو(هو)، والمعنى: "من أعظم ظلما ممن تقوّل على الله ما لم يقُلْه أو جعل له شريكا من خلقه وهو منزه عنه أو كذّب بآياته أي: بالقرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – أو استكبر عن اتباعها واستهزأ بها وفضل غيرها عليها فهو أظلم منْ كل ظالم"[(١)]، واسم الإشارة{أولئك} إشارةٌ إلى الموصول والجمعُ باعتبارِ معناه كما أن إفرادَ

[(١)] الزمخشري: (الكشاف)، ص: ٢/ ١٠٢، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص: ٣٩٦/٧-٣٩٧، وأبو السعود:(تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٢٢٦/٣، والقنوجي: (فتح البيان)، ص:٣٥٣/٤، و القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني

الفعلين باعتبار لفظِه و"ما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بتماديهم في سُوءِ الحالِ أي: أولئك الموصوفون بما ذُكر من الافتراءِ والتَّكذيبِ أحرياء بأن يصيبهم العذاب"[(١)].

في حين جاءت الإحالة الثانية باسم الموصول العام (ما): في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور لاحق وهو جملة: (كنتم تدعون) في ذات الآية، وعائد الصلة محذوف مقدر بـ(ما كنتم تدعونه).

والاستفهام بـ(من) في قوله -تعالى-: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ إنكاري، ولما كان أصل (من) أنها نكرة موصوفة أشربت معنى الاستفهام، وكان الاستفهام الإنكاري في معنى النفي صار الكلام من وقوع النكرة في سياق النفي فلذلك فُسِّر بمعنى: لا أحد أظلم، وإنما كانوا أظلم الناس ولم يكن أظلم منهم، لأن الظلم اعتداء على حق، وأعظم الحقوق هي حقوق الله تعالى، وأعظم الاعتداء على حق الله الاعتداء عليه بالاستخفاف بصاحبه العظيم[(٢)].

و عليه، فـ(من) الأولى استفهام إنكاري مستعمل في تهويل ظلم هذا الفريق، المعبر عنه بمن افترى على الله كذبا، و (من) الثانية موصولة، وهي عامة تحيل لكل من تتحقق فيه الصلة، و قيل المراد بهم: "المشركون من العرب، فإنهم كذبوا بآيات الله التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، وافتروا على الله الكذب فيما زعموا أن الله أمرهم به من الفواحش"[(٣)].

و (أو) ظاهرها التقسيم فـ"يكون الأظلم وهم المشركون فريقين: فريق افتروا على الله الكذب، وهم سادة أهل الشرك وكبراؤهم، وفريق كذبوا بآيات ولم يفتروا على الله وهم عامة المشركين، من أهل مكة وما حولها، ويجوز جعل (أو) بمعنى الواو، فيكون الموصوف بأنه أظلم الناس هو من اتصف بالأمرين الكذب والتكذيب، ويكون صادقا على المشركين لأن جماعتهم لا تخلو عن ذلك شيء"[(٤)].

وجملة ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يجوز أن تكون مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن الاستفهام في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ﴾، لأن التهويل المستفاد من الاستفهام يسترعي السامع أن يسأل عما سيلاقونه من الله الذي افتروا عليه وكذبوا بآياته، ويجوز أن

الحسيني "المتوفى: ١٣٥٤هـ" : (تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار")، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠ م، ص: ٣٦٦/٨-٣٦٧.

(١) أبو السعود:(تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٢٢٦/٣.

(٢) ينظر: ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١/ ٦٧٩، و١١١/٨-١١٣.

(٣) أبو السعود:(تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٢٢٦/٣، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١/ ٦٧٩، و١١١/٨-١١٣، والقلموني: (تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار")، ص: ٣٦٦/٨-٣٦٧.

(٤) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١١١/٨-١١٣.

تكون جملة: ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ عطف بيان لجملة: ﴿ أُولَٰئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٦] أي: خالدون الخلود الذي هو نصيبهم من الكتاب.

و{من} الابتدائيةُ متعلقةٌ بمحذوفٍ وقعَ حالا من نصيبهم أي: "ينالُهم نصيبُهم كائنا من الكتاب، وقيل: نصيبُهم من العذاب وسوادِ الوجه وزُرقةِ العيون"[(١)]، و النصيب من الكتاب هو أمر معنوي، فمقتضى الظاهر أن يكون النصيب منولا لا نائلا، "لأن النصيب لا يحصل الذين افتروا على الله كذبا، بل بالعكس: الذين افتروا يحصلونه، فتعين أن يكون هذا إما مجازا مرسلا في معنى مطلق الإصابة، وإما أن يكون استعارة مبنية على عكس التشبيه بأن شبه النصيب بشخص طالب طلبة فنالها، وإنما يصار إلى هذا للتنبيه على أن الذي ينالهم شيء يكرهونه، وهو يطلبهم وهم يفرون منه، كما يطلب العدو عدوه، فقد صار النصيب من الكتاب، كأنه يطلب أن يحصل الفريق الذين حق عليهم ويصادفهم، والمراد بالكتاب ما تضمنه الكتاب، فإن كان الكتاب مستعملا حقيقة فهو القرآن، ونصيبهم منه هو نصيبهم من وعيده، وإن كان الكتاب مجازا في الأمر الذي قضاه الله وقدره"[(٢)].

وحتى في قوله –تعالى–: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ ابتدائية؛ لأن الواقع بعدها جملة فتفيد السببية، و"(حتى) الابتدائية لها صدر الكلام فالغاية التي تدل عليها هي غاية ما يخبر به المخبر، وليست غاية ما يبلغ إليه المعطوف عليه بحتى، لأن ذلك إنما يلتزم إذا كانت حتى عاطفة، ولا تفيد إلا السببية، كما قال ابن الحاجب فهي لا تفيد أكثر من تسبب ما قبلها فيما بعدها"[(٣)]، وقال الرضي: "وإنما وجب مع الرفع السببية لأن الاتصال اللفظي لما زال بسبب الاستئناف شرط السببية التي هي موجبة للاتصال المعنوي، جبرا لما فات من الاتصال اللفظي"[(٤)]، و (حتى) الابتدائية تدل على أن مضمون الكلام الذي بعدها أهم بالاعتناء للإلقاء عند المتكلم لـ"أنه أجدى في الغرض المسوق له الكلام، وهذا الكلام الواقع هنا بعد (حتى) فيه تهويل ما يصيبهم عند قبض أرواحهم، وهو أدخل في

---

(١) أبو السعود:(تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٣/٢٢٦.

(٢) ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٨/١١١-١١٨، و القلموني: (تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار")، ص: ٨/٣٦٦-٣٦٧.

(٣) ابن الحاجب: (الكافية في علم النحو)، ص: ٤٥.

(٤) الرضي: (شرح كافية ابن الحاجب)، ص:٥/٦٢.

تهديدهم وترويعهم وموعظتهم، من الوعيد المتعارف، وقد هدد القرآن المشركين بشدائد الموت عليهم في آيات كثيرة؛ لأنهم كانوا يرهبونه، والرسل هم الملائكة أي: ملكُ الموتِ وأعوانُه"[1].

وجملة: {يَتَوَفَّوْنَهُمْ} في موضع الحال من رسلنا وهي حال معللة لعاملها، أي: "حالَ كونِهم مُتوفِّين لأرواحهم، و(التوفي) نزع الروح من الجسد، وللمحافظة على معنى الغاية لحرف (حتى) فتوفي الرسل يجوز أن يكون المراد منه وقت أن يتوفوهم جميعا، إن كان المراد بالنصيب من الكتاب الاستئصال، أي حين تبعث طوائف الملائكة لإهلاك جميع أمة الشرك، ويجوز أن يكون المراد حتى يتوفون آحادهم في أوقات متفرقة إن كان المراد بالنصيب من الكتاب وعيد العذاب، وعلى الوجهين فالقول محكي على وجه الجمع والمراد منه التوزيع أي: قال كل ملك لمن وكل بتوفيه، وقد حكي كلام الرسل معهم وجوابهم إياهم بصيغة الماضي على طريقة المحاورة، لأن وجود ظرف المستقبل قرينة على المراد"[2].

والاستفهام في قوله: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ مستعمل في التهكم والتأييس، و (ما) الواقعة بعد أين موصولة، والمعنى: "أين آلهتكم التي كنتم تزعمون أنهم ينفعونكم عند الشدائد ويردون عنكم العذاب فإنهم لم يحضروكم، وذلك حين يشهدون العذاب عند قبض أرواحهم"[3].

و{قَالُواْ} استئنافٌ وقع جوابا عن سؤالٍ نشأَ من حكايةِ سؤالِ الرسل، كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قَالُواْ {ضَلُّواْ عَنَّا} أي: غابوا عنا أي لا ندري مكانَهم، وهذا يقتضي أنهم لما يعلموا أنهم لا يغنون عنهم شيئا من النفع، فظنوا أنهم أذهبهم ما أذهبهم وأبعدهم عنهم ما أبعدهم، ولم يعلموا سببه، لأن ذلك إنما يتبين لهم يوم الحشر حين يرون إهانة أصنامهم وتعذيب كبرائهم، ولذلك لم ينكروا في جوابهم أنهم كانوا يدعونهم من دون الله بخلاف ما حكي عنهم في يوم الحشر من قولهم:﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٣] ولذلك قال هنا: ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾، وقال في الأخرى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام: ٢٤]، والشهادة هنا شهادة ضمنية لأنهم لما لم ينفوا أن يكونوا يدعون من دون الله وأجابوا بأنهم ضلوا عنهم

---

[1] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٨/١١١-١١٨.

[2] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص: ٧/٣٩٦-٣٩٧، و أبو السعود:(تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٣/٢٢٦، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٨/١١١-١١٨.

[3] البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص: ٧/٣٩٦-٣٩٧، و أبو السعود:(تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٣/٢٢٦، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:٨/١١١-١١٨.

قد اعترفوا بأنهم عبدوهم[1]، وجملة {وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ} معطوفة على جملة {قالُوا} أي: اعترفوا على أنفسهم بالكفر في الدنيا وعبادة ما لا يَستحِق العبادةَ أصلا.

وقد مزجت الصلة هنا المقطع بنسق مختلف عن سابقه ولاحقه، فقد آثر القرآن الصلة العامة الخاصة بالعاقل (من)، مع المفتري الظالم، وهو عاقل عالم لما يعمل في حين استخدم اسم الموصول العام الخاص بغير العاقل (ما) مع المعبودات التي اتخذوها من دون الله، وفي هذه المعبودات ما يعقل كالمسيح عيسى عليه السلام والملائكة وغيرهم، ومالا يعقل كالجمادات من الأصنام والشمس والقمر وغيرها، ولاشك أن الاسم الموصول (ما) يفيد العموم ويستخدم للعاقل على ندرة لذا شمل المعبودات العاقلة مع غير العاقلة، إضافة إلى أن تلك المعبودات العاقلة لم تعقل عبادة هؤلاء الضالين لهم ولم تأمرهم بها فهي كغير العاقلة لاختيار الضالين عبادتهم دون علمهم بذلك، ثم اتسعت الصلة بحذف العائد لتدل على الشمول والعموم لكل تلك المعبودات التي دعوها من دون الله تعالى، كل ذلك أكسب النص قوة وعمق دلالي ساهم في ترابط أجزائه وتراكيبه، حتى لكأنها كتل مكتنزة من الدلالة لحقت المعاني الظاهرة فزادتها تدقيقا وتأكيدا.

[1] ينظر: البقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص: ٣٩٦/٧-٣٩٧، و أبو السعود:(تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٢٢٦/٣، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١١١/٨-١١٨، و القلموني: (تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار")، ص: ٣٦٦/٨-٣٦٧.

(٢)سورة الرعد الآية (٣٥):

يقول الله -تعالى-: ﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) ﴾ [سورة الرعد: ٣٥] ويمكن حصر الإحالات فيه على الوجه التالي:

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ (الَّتِي) وُعِدَ الْمُتَّقُونَ (هم) تَجْرِي مِن تَحْتِ(هَا) الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُ(هَا) دَائِمٌ وَظِلُّ(هَا) (تِلْكَ) عُقْبَى (الَّذِينَ) اتَّقَ(و)ا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ (هم) النَّارُ ﴾

وقد تنوعت الإحالات في هذه الآية بين الضمائر والأسماء الموصولة واسم الإشارة، في إحالات قبلية وبعدية داخلية وخارجية، قريبة من العنصر المحال إليه و متوسطة البعد، بلغ ورودها (٩) مرات، جاءت الضمائر فيها (٦) مرات بارزة ومستترة، منفصلة ومتصلة، جميعها بصيغة الغائب، كما وردت الأسماء الموصولة (مرتين)، (مرة) واحدة بصيغة الموصول الخاص بالمفرد المثنى، و(مرة) واحدة بصيغة الموصول الخاص بجمع الذكور، وورد اسم الإشارة (مرة) واحدة بصيغة المفرد المثنى البعيد.

وقد جاءت الإحالة في هذه الآية بالصلة مرتين: الأولى باسم الموصول الخاص بالمفرد المثنى (التي): في إحالة نصية قريبة المدى لمذكور سابق، وهو: (الجنة) الواردة قبله في ذات الآية، والمعنى: "صفتها العجيبة الشأن التي هي في الغرابة كالمثل، فهو تمثيل للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار"[(١)]، في حين جاءت الإحالة الثانية باسم الموصول الخاص بجمع الذكور (الذين): في إحالة نصية لمذكور سابق وهو: (المتقين) في ذات الآية، وقد ارتبط الاسم الموصول مع صلته بالضمير العائد وهو(واو الجماعة) في (اتقـــوا)، والمعنى: "(تلك) الجنة الموصوفة بالصفات المتقدمة، وهي مبتدأ خبرها (عقبى) أي: عاقبة (الذين اتقوا) المعاصي ومآلهم ومنتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار) ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك"[(٢)].

---

(١) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٥٣٢- ٥٣٣، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٧/ ٦٤- ٦٥.

(٢) الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٥٣٢- ٥٣٣، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٥/٢٥، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٧/ ١٥٤- ١٥٦، والقنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٧/ ٦٤- ٦٥.

وجملة ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ استئناف ابتدائي يرتبط بقوله -تعالى-: ﴿ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ طوبى لَهُم وَحُسنُ مَآبٍ﴾ [سورة الرعد: ٢٩]، ذكر هنا بمناسبة ذكر ضده في قوله: ﴿وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [سورة الرعد:٣٤] [١].

و{مثل[٢] الجنة}: مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: فيما قصصنا عليكم مثل الجنة، أو فيما يتلى عليكم مثل الجنة، وعلى هذا فقوله -تعالى-: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تفسير لذلك المثل، وهذا مذهب سيبويه، وعليه فإن (تجري) حال من العائد المحذوف في (وعد)، أي: وعدها مقدرا جريان أنهارها، وجعل الفراء الخبر (تجري) وقال: هذا خطأ عند البصريين؛ لأن المثل لا تجري من تحته الأنهار، وإنما هو من صفات المضاف إليه، لشدة الملابسة بين المتضايفين، وشبهته: أن المثل هنا بمعنى الصفة فهو كقولهم: صفة زيد أنه طويل، ويجوز أن تكون «تجري» استئنافا، ورد عليه أبو حيان بأنه لا يصح أن تكون (تجري) خبرا عن الصفة، وإنما تتأول (تجري) على إسقاط (أن) ورفع الفعل، والتقدير: أن تجري، أي: جريانها. ونقل عن الفراء في الآية تأويلين آخرين، أحدهما: على حذف لفظة (أنها) والتقدير: صفة الجنة أنها تجري، ورد عليه بأن هذا منه تفسير معنى لا إعراب، إذ كيف يحذف (أنها) من غير دليل، والثاني: أن لفظة (مثل) زائدة مقحمة للتأكيد والمعنى الجنة، إذ التقدير: [الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار]، وزيادة (مثل) كثيرة في لسان العرب، وخرج عليه قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١] أي: كهو شيء، ورد عليه أبو حيان بأن إقحام الأسماء لا يجوز، وقال الزجاج: معناه مثل الجنة جنة تجري على حذف الموصوف؛ تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد، ورد عليه أبو علي: بأنه لا يصح ما قاله لا على معنى الصفة، ولا على معنى الشبه، لأن

---

[١] ينظر: ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/١٥٥.

[٢] والمثل: الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته، وهو هنا الصفة العجيبة تقول: مثلت الشيء إذا صورته ووصفته وقربته للفهم، فليس هنا ضرب مثل، وإنما أراد بمثل الجنة صورتها وصفتها وجريان الأنهار من تحتها كالتفسير للمثل، وقيل: هو حقيقة من معاني المثل، كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعلى﴾ [سورة النحل: ٦٠] أي: الصفة العليا، وقيل: بل هو مستعار من المثل الذي هو الشبيه في حالة عجيبة أطلق على الحالة العجيبة غير الشبيهة لأنها جديرة بالتشبيه بها، ويمكن أن يكون ذلك حقيقة ويكون هناك محذوف، وهو جنة من جنان الدنيا تجري من تحتها الأنهار - إلى آخره وهو من قول الزجاج، وأنكر أبو علي أن يكون مثل بمعنى صفة قال: إنما معناه الشبه، وقُرِأَت (أمثال الجنة) على الجمع، أي: صفاتها، وذلك لأنها صفات مختلفة، فلهذا جمع نحو: (الحلقوم والإسعال). ينظر: ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٣١٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٦/ ٣٩٥، و السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:٧/٥٨-٥٩، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٠/ ٣٥٣-٣٥٥،والقنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٧/ ٦٤- ٦٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/١٥٥.

الجنة التي قدرها جثة ولا تكون صفة، ولأن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث، والجنة جثة فلا تكون المماثلة. [١]

ويظهر أن المعنى الذي يتحصل في النفس مثالا للجنة هو جري الأنهار وأن أكلها دائم، فكأنه قال: "إن الجنة في الجلال، وعلو الجمال، وكرم الخلال، مما تعالى عن المنال، إلا بضرب الأمثال، فقيل: ما مثلها؟ فقيل: {مثل الجنة التي} ولما كان المقصود حصول الوعد الصادق ولا سيما وقد علم أن الوعد هو الله، بني للمفعول قوله: {وعد المتقون} وحذف الخبر بتقدير: ما أقص عليكم، وهو أنها بساتين: قصور وأشجار"[٢]، ولما كانت - لو عمها الماء الجاري - بحرا لا بساتين، أدخل الجار للدلالة على أنه خاص ببعض أرضيها فقال: {من تحتها} أي: "قصورها وأشجارها {الأنهار}، ولما كان هذا ريّا حقيقيا في أرض هي في غاية الخلوص والطيب، كان سببا لدوام ثمرها واستمساك ورقها، فلذلك أتبعه قوله: {أكلها} أي: ثمرها الذي يؤكل {دائم} لا ينقطع أبدا أي: لذاته دائمة لا تزاد بجوع ولا تمل من شبع {وظلها} أي: دائم البقاء والراحة ليس كما في الدنيا، لا ينسخ بشمس ولا غيرها، وجملة (أكلها دائم) خبر ثان، ودوام الظل كناية عن التفاف الأشجار بحيث لا فراغ بينها تنفذ منه الشمس، وذلك من محامد الجنات وملاذها"[٣]، و قوله: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ كـ"قوله: ﴿تجري﴾ في الاستئناف التفسيري أو الخبرية أو الحالية"[٤].

أما قوله -تعالى-: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ جملة مستأنفة، ابتدأ فيها بإخبار آخر وجاء باسم الإشارة البعيد تعظيما لشأنها وتفخيما لأمرها، أي: "الجنة العالية الأوصاف

---

[١] ينظر: الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٥٣٢- ٥٣٣، وابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٣١٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٦/ ٣٩٥، و السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:٧/٥٨-٥٩، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٠/ ٣٥٣- ٣٥٥، وأبو السعود: (تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٥/٢٥، والألوسي: (روح المعاني)، ص:٧/ ١٥٤- ١٥٦، و أبو السعود: (تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ص:٥/٢٥. والألوسي: (روح المعاني)، ص:٧/ ١٥٤- ١٥٦.

[٢] الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٥٣٢- ٥٣٣، وابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٣١٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٦/ ٣٩٥، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٠/ ٣٥٣- ٣٥٥، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/١٥٥.

[٣] الزمخشري: (الكشاف)، ص:٢/ ٥٣٢- ٥٣٣، وابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٣١٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٦/ ٣٩٥، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٠/ ٣٥٣- ٣٥٥، و ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/١٥٥.

[٤] السمين الحلبي: (الدر المصون)، ص:٧/ ٥٨- ٥٩.

المنعوتةُ بما ذكر سابقا بحيث صارت كالمشاهدة {عقبى} أي: آخر أمر {الذين اتقوا} الكفرَ والمعاصيَ ثم كرر الوعيد للكافرين فقال: {وعقبى} أي منتهى أمر {الكافرين} بالرحمن، المتضمن للكفر بالوحي والموحى إليه {النار} لا غيرُ كما يؤذن به تعريف الخبر، وجملة {وعقبى الكافرين النار} مستأنفة للمناسبة بالمضادة، و العقبى والعاقبة والعاقب: حال تتلو أخرى قبلها".[1]

وفي إحالة الموصول (الذين) على (المتقون) نوع من الربط كربط الضمير الذي يحيل إلى مرجوع سابق، والموصول هنا ينوب عن الضمير ويحل محله، فمن البديهي أن يعمل عمله إلا أن الضمير يربط مربوطا واحد وهو مرجعه، أما الموصول فإنه يتوسط بين مربوطين ليربط بينهما، إذ المعنى: تلك الجنة التي وعدها المتقون هي عاقبتهم، فاسم الموصول قد وصل صلته إلى مرجعه كي تنعتها بنعت التقوى، ووضع الظاهر موضع الضمير لتحفيز هؤلاء الصنف من المتقين ومدحهم، فلو عبر بالضمير لما تحقق هذا المعنى على الإطلاق لما في الضمير من الإبهام ولما لصلة الموصول من إظهار المعنى وتحديد المقصود.

وقد جاء الموصول هنا لدلالة التحفيز كما يتضح ذلك من سياق الآية النصي، وحمل الاتقاء على اتقاء الكفر والمعاصي لـ"أن المقام مقام ترغيب وعليه يكون العصاة مسكوتا عنهم، وقد يحمل على اتقاء الكفر بقرينة المقابلة فيدخل العصاة في الذين اتقوا؛ لأن عاقبتهم الجنة وإن عذبوا، وفيه مالا يخفى من إطماع المتقين وإقناط الكافرين"[2]، فهو إخبار موضح يدل على الحث والتحفيز والترغيب والتذكير بالعمل الذي استحقوا بسببه تلك العاقبة، لذا وصفهم بالذين (اتقوا)، ولاشك أن الجملة الفعلية أقوى في وصف الحدث من الجملة الإسمية التي تدل على الثبوت في حين يفيد الماضي القدم والحدوث، كل ذلك ساهم في رسم صورة ذهنية لتكون حافزا للمستمع وحاضرا يجده في وعيه، نتيجة ذلك التكثيف الدلالي الذي خصت به جملة الموصول الواصفة للحدث، والرابطة للنص والعاضدة لأجزائه وتراكيبه.

ومن هنا يتضح الدور الوظيفي الذي قامت به الصلة في سبك النص وحبكه، فقد لعبت دورا بارزا في إظهار الدلالة؛ من خلال تصرفها الموقعي، والاستجابة إلى الإسناد، ولما كانت الإحالة لا تتم

---

[1] ينظر: ابن عطية: (المحرر الوجيز)، ص:٣/ ٣١٥، و أبو حيان: (البحر المحيط)، ص:٦/ ٣٩٥، والبقاعي: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ص:١٠/ ٣٥٣- ٣٥٥، و القنوجي: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، ص:٧/ ٦٤- ٦٥، وابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/١٥٥-١٥٦.

[2] ابن عاشور: (التحرير والتنوير)، ص:١٥/١٥٦.

إلا بقصد المتكلم، فإن استعمال الموصول يفيد أغراضا مختلفة كالتعظيم، والتوكيد، والتعليل، والعموم، والإيجاز...إلخ، لذا تكون الإحالة بالصلة إحالة مزدوجة يقوم بها الاسم الموصول بالاشتراك مع صلته التي تحتوي على عائد يحيل على ما يستحضر في ذهن المتلقي، وهذا الاستحضار يكون بقصد المتكلم، ولأن الاسم الموصول اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل كان من الأدوات التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره وما هو معلوم به، وقد حُقِق ذلك في آيات مشاهد القيامة دون معاظلة أوصعوبة في الفهم، حيث لم يكن ثمة صعوبة أو غموض في اكتشاف العناصر المحال إليها؛ لأنها جاءت كلها صريحة، لا تحتاج إلى تأويل، ومتسعة لكثير من صفات أحوال المعارف، لأنها لا تتحدد في دلالة واحدة بخلاف غيرها من العناصر الإحالية الأخرى.

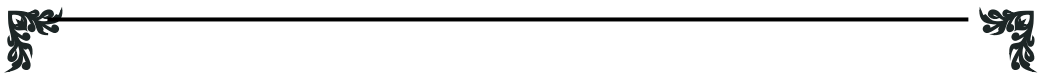

الخاتمة

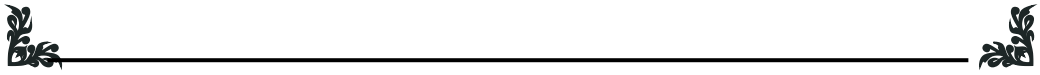

الخاتمة

بعد هذا السعي البحثي العلمي، الذي كان محاولة لكشف النقاب عن مؤشرات التماسك النصي في مشاهد القيامة، من خلال عناصر وأدوات الإحالة، تُوُصِّلَ إلى جملة من النتائج، يمكن حوصلتها على النحو التالي:

١- لم يخل التراث اللغوي العربي القديم من المعطيات التي ينادي بها نحو النص، فقد جاءت على شكل مباحث مبثوثة في كتب القدامى؛ ولكنها افتقدت للضبط المنهجي، والتوصيف المصطلحي المتعارف عليه اليوم، بان ذلك من خلال إشارات بعض النحاة في كتبهم، وجملة التفاسير التي اهتمت بمرجعيات الضمائر، وأسماء الإشارة، وغيرها.

٢- إن قضية الإحالة وأدواتها الاتساقية ليست ابتكارا جديدا في اللغة، فهي ذاتها الروابط في نحو الجملة، وإن كانت نظرة النحاة إليها جزئية في السابق، فقد أعطاها التطور الذي حدث في الدرس النحوي بُعدا جديدا، حتى أصبح الباحثون ينظرون إليها من منظار آخر، يوضح آثرها في سبك العبارات لفظيا أومعنويا، دون إهدار لترابط المعلومات الكامنة تحتها.

٣-لوسائل السبك في النص دور كبير في إحكام النص وترابط مفرداته، ومن تلك الوسائل الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وهذه الوسائل قابلة للتطبيق على تراث وحاضر المدونات العربية بصفة عامة، وعلى القرآن الكريم بصفة خاصة؛ لأنها إجراءات نصية تتسم بالشمولية، والدقة، والبعد عن الغلو.

٤- يُعد السياق النصي من أهم العناصر التي تساعد على فهم النصوص، وسبر أغوارها، ذلك لأن النصوص محكومة بالسياقات والملابسات التي تحيط بها، إنتاجا وقراءة، وقد ساعدت معرفة الخصائص السياقية وأنواع السياق، في فهم دلالات ومعاني بعض الآيات في مشاهد القيامة.

٥- كان للإحالة وأدواتها أثر كبير، في ترابط التراكيب في النص القرآني ككل، وفي آيات مشاهد القيامة بشكل خاص، وكانت المرجعيات في أغلب النماذج داخلية سابقة؛ حيث إن متلقي النص مطالب بالنظر إلى ما سبق ذكره، لمعرفة العناصر الإشارية المحال إليها، وتحديدها دون معاظلة أو صعوبة.

٦- تنوعت مرجعيات العناصر الإحالية ما بين قرب العنصر الإحالي المشار إليه، وتوسط البعد، والمسافة الشاسعة البعد، إلا أنها جاءت واضحة ظاهرة، دون مشقة أو استغلاق في الفهم.

٧- لعبت الضمائر دورا كبيرا في التماسك النصي؛ حيث كان لها النصيب الأكبر في عدد مرات ورودها؛ إذ ناهزت الأربعة آلاف مرة، مبثوثة في تضاعيف النص.

٨- كان للضمائر المتصلة النسبة الكبرى التي فاقت بها صنوها من الضمائر المنفصلة، إذ وصلت الأولى إلى (٢٦١٤) مرة، في حين بلغت المنفصلة (١٥٤٣) مرة، من بين (٤١٥٧) مرة، كان النصيب الأوفر فيها لـ (هاء الغائب)، حيث بلغ ورودها (١٠٢٩) مرة، فبان أن الاختصار طريقة يسلكها القرآن أكثر من البسط والإطناب.

٩- فاق اتصال الأدوات الإحالية بالجمل الفعلية اتصالها بالجمل الإسمية، كما جاءت تلك الأدوات والعناصر غالبا في مواقع الرفع، وذلك لمناسبة الجو العام لحكاية مشاهد القيامة، التي تتسم بسرعة الإيقاع والحركة، والتجدد، والاستمرار، والتغير، وتجسيد الصور الحية ذات الانفعال المصور.

١٠- حاز ضمير الغائب النسبة الكبرى من بين الضمائر المذكورة في ترتيب مشاهد القيامة بنوعيه المتصل والمنفصل؛ إذ فاق تكراره (٢٨٥٢) مرة، وهذا يدل على قوة تماسك التراكيب القرآنية، خصوصا أن ضمائر الغائب تقوم بدور كبير في صنع جديلة محكمة بين مفردات التركيب أكثر من غيرها من الضمائر؛ لأنها تحيل إلى عناصر داخل النص، على عكس ضمائر المتكلم والخطاب التي تحيل لعناصر خارج النص، وبالتالي لا يعول عليهما في الترابط النصي كما في ضمائر الغيبة، وفي هذا دليل على اتساق النص وترابطه، بحيث ينتج ما يمكن تسميته بكليَّة النَّصِّ.

١١- كان لوسائل الإحالة الأخرى دور بارز في ترابط التراكيب، وتماسك النص، بجانب الضمائر، ومنها الأسماء الموصولة التي بلغ ورودها (٣٥٨) مرة، سواء كانت أسماء موصولة عامة أو خاصة، ومن أكثر ما ورد منها (ما)، و(الّذين)،

فقد تقاربت نسبة الموصول العام مع نسبة الموصول الخاص، و حققت التماسك على مستوى الآية الواحدة والآيتين، بخلاف الضمائر وأسماء الإشارة التي ربطت أجزاء طويلة من النص، وصلت في بعضها إلى أكثر من (١٠) آيات.

١٢- تعددت مرجعيات بعض العناصر الإحالية في آيات مشاهد القيامة، ولعل ذلك يعود إلى أن النص يبقى مفتوحا على قراءات مختلفة متعددة، ومتنوعة المعاني، تختفي فيه الأنا الدلالية واللغوية؛ نتيجة لتعدد المرجعيات، وبحسب نظرة ومرجعية قارئه، والآليات التي يعتمد عليها في فهم الدلالات النصية، إلا أن تلك الآيات في مشاهد القيامة رغم تعدد دلالاتها تبعا لتعدد مرجعياتها، جاءت واضحة لا تتعارض فيما بينها، بحيث يمكن تخريج كل وجه فيها حسب السياق الواردة فيه ليتسع للوجه الآخر دون صعوبة أو تأبيد.

١٣- آثر نص التنزيل في كثير من الربط بالإشارة (الإحالة الموسعة)، التي تنداح لتزمّ محالا إليه عاما، أو قصة سبقت، أو النص القرآني بأكمله، وبرغم أنها أقلّ الأدوات الإحالية الاتساقية توظيفا في النص القرآني الكريم في مشاهد القيامة، مقارنة بالضمائر والأسماء الموصولة؛ فإنها قامت بوظيفة هامة في تحقيق عملية التماسك والترابط النصي، لآيات مشاهد القيامة.

١٤- حازت تحولات الضمائر في آيات مشاهد القيامة مساحة واسعة، لونت تراكيب النص القرآني، فكانت المغزل الذي نسج منه نصوصه، حيث برع النص القرآني في توظيف الالتفات في مشاهد القيامة وذلك لإيقاظ الذهن، ولفت الانتباه، ولهذا أثر بالغ في اتساق النص.

١٥- جاءت مرجعيات بعض أسماء الإشارة دون تحديد يذكر وذلك؛ لإفساح المجال للعقل أن يذهب فيه كل مذهب، وأن يتخيل صورة المحال إليه.

١٦- انمازت الأسماء الموصولة عن غيرها من الإحالات بأن كان الغالب في المحال إليه فيها أن يكون لاحقا لها؛ لتمتد به الجملة فيمتد معها التصور المراد إيصاله للمتلقي.

١٧- لما كانت الإحالة لا تتم إلا بمقصودية المتكلم، فإن استعمال الموصول يفيد أغراضا مختلفة كالتعظيم، والتوكيد، والتعليل، والعموم، والإيجاز...إلخ، لذا تقوم الإحالة بالصلة على ازدواجية الاسم الموصول بالاشتراك مع صلته، التي تحتوي على عائد يحيل على ما يستحضر في ذهن المتلقي، لتتأدّى منهما معا الدلالة التي يريغ إليها قائل النص، ويستحضرها متلقيه.

١٨- أخذت العلاقات الدلالية مكانة هامة في آيات مشاهد القيامة، فقد حملت الألفاظ القليلة، والعبارات الموجزة المختصرة، دلالات مكثفة ومركزة، تؤدّي المعنى، وتصور الغرض، وتجمع تلابيب النص بعضه ببعض، لتخرجه قطعة واحدة، محكمة السبك متلاحمة الأجزاء قوية الحبك.

١٩- كان للتماسك النحوي المتحقق في أشكال أدوات الإحالة دور بارز في تحقيق التماسك الدلالي؛ ذلك لأن المباني وثيقة الصلة بمعانيها المسوقة فيها، ومشاهد القيامة نموذج راق من نماذج آيات النص القرآني-وكلها راق-، رغم تعددها واختلافها، إلا أنها متماسكة الأجزاء، مترابطة العناصر، رائعة السبك، بديعة الحبك، محكمة النسيج.

توصية:

يُوصي البحث شداة الدارسين، ومن وضعوا أقدامهم على هذا الدرب، بالولوج إلى عالم النص القرآني ودراسة الآيات التي تصب في موضوع معين، كالآيات الكونية مثلا، أو آيات العقيدة، دراسة و تحليلا دلاليا للوقوف على ما يميزه عن غيره، وما تشي به التراكيب فيه.

هذا، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

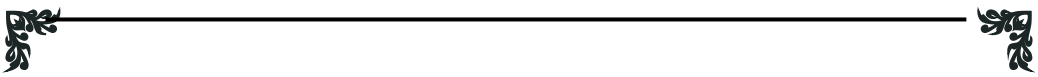

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع العربية:

١. إبراهيم أنيس: (**من أسرار اللغة**)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (ط:٥)، ١٩٧٥م.

٢. ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد "المتوفى: ٦٣٧هـ": (**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، (د.ت).

٣. ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد "المتوفى: ٥٧٧هـ":

(**أسرار العربية**)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (ط:١)، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤. ابن الحاج، تاج أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن حمدون السُّلَمي"المتوفى١٣١٦هـ":(**العقد الجوهري من فتح الحي القيوم في حل شرح الأزهري على مقدمة ابن آجروم أو حاشيةُ ابن الحاج على شرح خالد الأزهري للمقدمة الآجرومية**)، دار الفكر، بيروت،(د.ت).

٥. ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي "المتوفى: ٦٤٦هـ" : (**الأمالي النحوية أمالي القرآن الكريم**): تحقيق: هادي حسن حمودي، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية، بيروت، (ط:١)، ١٤٠٥هـ.

٦. ابن حجر: (**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**)، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، ١٣٤٩هـ.

٧. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي "المتوفى : ١٣٩٣هـ"، (**التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**)،الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٨. ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد بن علي "المتوفى ٦٦٩هـ":

(**شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير"**)، تحقيق: صاحب أبو جناح، منشورات وزارة الأوقاف، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٢م.

(**المقرب**)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، بغداد، ١٩٧١- ١٩٧٢م.

٩. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي "المتوفى: ٥٤٢هـ": (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، (ط:١)، ١٤٢٢ هـ.

١٠. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري "المتوفى: ٧٦٩هـ": (**شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، (ط:٢٠)، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١١. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري "المتوفى: ٢٧٦هـ" : (**تلقين المتعلم من النحو**)، تحقيق: عبد الله الناصر، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٢. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة "المتوفى: ٧١١هـ": (لسان العرب)، دار صادر – بيروت، (ط:٣)، ١٤١٤ هـ.

١٣. ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام "المتوفى: ٧٦١":

(**أوضح المسالك على ألفية ابن مالك**)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، "د.ت".

(**شذور الذهب في معرفة كلام العرب**)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا، (د.ط)، (د.ت)، ونسخة بتحقيق: ح. الفاخوري، دار الجيل- بيروت، ١٩٨٨م.

(**شرح قطر الندى وبل الصدى**)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، (ط:١١)،١٣٨٣هـ.

(**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**)، تحقيق: محمد محيي الدين، مكتبة صبيح، القاهرة، ونسخة بتحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، (ط:٦)، ١٩٨٥م.

١٤. ابن يعيش: (**شرح المفصل**)، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ط)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٥. أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج "المتوفى: ٣١١هـ": (**معاني القرآن وإعرابه**)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٦. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى "المتوفى: ١٥٠هـ": (**تفسير مقاتل بن سليمان**)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، (ط:١)، ١٤٢٣ هـ.

١٧. أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّاء القزويني الرازي، "المتوفى: ٣٩٥هـ":

(**الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**)، مطبعة محمد علي بيضون، (ط:١)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(**مقاييس اللغة**)، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

١٨. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى "المتوفى: ٩٨٢هـ": (**تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

١٩. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي "المتوفى: ٦٨١هـ": (**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**)،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠م.

٢٠. أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي "المتوفى: ٧٥٦هـ" : (**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت).

٢١. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي "المتوفى: ٣٩٢هـ": (**اللمع في العربية**)، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، (ط:٢) ،١٩٨٥م-١٤٠٥هـ.

٢٢. أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج "المتوفى: ٣١٦هـ" : (**الأصول في النحو**)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ج١، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٣م.

٢٣. أبو حيان النحوي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي "المتوفى٧٥٤هـ" :

(**ارتشاف الضرب من لسان العرب**)، تحقيق: مصطفى أحمد النمّاس، (ط:١)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٨م.

(**التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**)، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ودار كنوز إشبيليا، (ط:١)، (د.ت).

(**البحر المحيط في التفسير**)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢٤. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي "المتوفى: ٦٧١هـ": (**الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي**)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، (ط:٢)، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٥. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي "المتوفى : ٧٤٩هـ": (**توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**)، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، (ط:١)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢٦. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب "المتوفى ٥٦٧ هـ" : (**المرتجل في شرح الجمل**)، تحقيق ودراسة: علي حيدر (أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق)، دمشق، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٢٧. أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي "المتوفى: ٤٦٦هـ": (**سر الفصاحة**)، دار الكتب العلمية، (ط:١)، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٨. أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ، شهاب الدين الأندلسي "المتوفى: ٨٦٠هـ": (**الحدود في علم النحو**)، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢٩. أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب "المتوفى: ٢٩١هـ": (**مجالس ثعلب**)، تحقيق : عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.

٣٠. أحمد رضا: (**معجم متن اللغة "موسوعة لغوية حديثة"**)، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٧ م – ١٣٨٠ هـ.

٣١. أحمد عبيد، وعبد الغني الدقر: (**معجم النحو**)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:٣)، ١٩٨٦م-١٤٠٧هـ.

٣٢. أحمد عفيفي :

(**الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة**)، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،٢٠٠٥م، موقع كتب عربية.

(**التعريف والتنكير في النحو العربي**)، دار الثقافة العربية، القاهرة، (ط:١)، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

(**نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**)، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، (ط:١)، ٢٠٠١م.

٣٣. الأزهر الزناد: (**نسيج النص – بحث في ما يكون به الملفوظ نصا**)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط.١)، ١٩٩٣م.

٣٤. الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد "المتوفى: ٩٠٥هـ" : (**شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، (ط:١)، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٥. الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي، نجم الدين "المتوفى: ٦٨٦هـ": (**شرح الرضي على كافية ابن الحاجب**)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، (ط:١)، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٦. أسماء رأفت شهاب: (**نحو النص بين النظرية والتطبيق**)، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، (ط:١)، ٢٠١٦م.

٣٧. إسماعيل أحمد عمايرة: (**ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية "دراسة لغوية تأصيلية"**)، مركز الكتب العلمي، عمان-الأردن، (ط:١)، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٣٨. أشرف عبد البديع عبد الكريم: (**الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم**)، مكتبة الآداب – القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٨م.

٣٩. الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي "المتوفى: ٩٠٠هـ": (**شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**)، تحقيق وشرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (ط:٢)، القاهرة، ١٩٣٩م، ونسخة بطبعة دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، (ط:١)، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٠. أشواق محمد النجار: (**دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية**)، دار دجلة، عمان، (ط:١)، ٢٠٠٥م.

٤١. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : (**مدخل إلى علم لغة النص ، تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفانج دريسلر**)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (ط.٢)، ١٩٩٩م.

٤٢. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي "المتوفى: ١٢٧٠هـ": (**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط:١)، ١٤١٥ هـ.

٤٣. إميل بديع يعقوب: (**موسوعة النحو و الصرف و الإعراب**)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط:١)،١٩٨٨م.

٤٤. أنس بن محمود فجّال:(**الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني**)، منشورات نادي الأحساء الأدبي، (٣٥)، المملكة العربيّة السّعوديّة، (ط.١)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٤٥. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي"المتوفى:٢٥٦هـ": (**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط:١)،١٤٢٢هـ.

٤٦. بدر الدين أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي "المتوفى: ٧٩٤هـ": (**البرهان في علوم القرآن**)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط:٣)، دار الفكر، ١٩٨٠م.

٤٧. البغدادي، عبد القادر بن عمر "المتوفى: ١٠٩٣هـ": (**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط:٤)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

٤٨. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي "المتوفى: ٨٨٥هـ": (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

٤٩. تمام حسان:

(**البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**)، عالم الكتب، القاهرة، (ط:١)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(**اللغة العربية معناها و مبناها**)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط:٢)، ١٩٧٩م.

٥٠. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ "المتوفى: ٢٥٥هـ": (**البيان والتبيين**)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٥١. الجعفي، أحمد بن الحسين الجعفي: (**ديوان المتنبي**)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٢. جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر "المتوفى:٩١١هـ":

(**الإتقان في علوم القرآن**)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(**الأشباه والنظائر في النحو**)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط:١)، ١٩٨٥م، ونسخة بطبعة حيدر أباد، ١٣١٦هـ.

(**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، "د.ت".

(**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، (ط:١)، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

(**طبقات المفسرين العشرين**)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، (ط:١)، ١٣٩٦هـ.

(**المطالع السعيدة**)، تحقيق: طاهر حموده، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، (ط:١)، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(**معترك الأقران في إعجاز القرآن**)، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة، (د. ت).

(**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، "د.ت".

٥٣. حسن طبل:(**أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**)،دار الفكر العربي، القاهرة،١٤١٨هـ –١٩٩٨م.

٥٤. الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله "المتوفى: ٣٧٠هـ":(**الحجة في القراءات السبع**)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط:٤، ١٤٠١ هـ.

٥٥. حمادة حامد: (**أسلوب العطف في مشاهد القيامة**)، كلية الآدب، جامعة المنوفية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، مصر، إبريل:٢٠١٣م.

٥٦. حمادة حامد: (**النحو الدلالي "دراسة منهجية تطبيقية: شعر محمود غنيم نموذجا"**)، مكتبة الآداب، القاهرة،١٤٣٢هـ–٢٠١٠م.

٥٧. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي "المتوفى: ٧٤٨هـ": (**سير أعلام النبلاء**)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٨. ذهبية حمو الحاج: (**لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب**)، دار الأمل، (د.ط)، ١٩٨٨م.

٥٩. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي "المتوفى: ٦٨٦هـ": (**شرح شافية ابن الحاجب**)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٠. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي "المتوفى: سنة ٦٨٦هـ": (**شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب**)، تحقيق: يوسف حسن عمر: جامعة قار يونس – ليبيا، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.

٦١. رمضان صادق: (**شعر عمر بن الفارض، دراسة أسلوبية**)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،(د.ط)، ١٩٩٨م.

٦٢. الزبيدي، محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي "المتوفى: ١٢٠٥هـ": (**تاج العروس من جواهر القاموس**)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت)، (د.ط).

٦٣. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي "المتوفى: ٧٩٤هـ": (**البرهان في علوم القرآن**)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ودار المعرفة، بيروت- لبنان، (ط:١) ،١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

٦٤. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي "المتوفى: ١٣٩٦هـ": (**الأعلام**)، دار العلم للملايين، ١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٦٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله "المتوفى: ٥٣٨هـ":

(**أساس البلاغة**)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١٤١٩،١ هـ - ١٩٩٨ م.

(**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**)،دار الكتاب العربي – بيروت، ط:٣، ١٤٠٧ هـ.

(**المفصل في صنعة الإعراب**)، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، (ط:١)، ١٩٩٣م.

٦٦. السامرائي، فاضل صالح السامرائي:

(**أسئلة بيانية في القرآن الكريم**)، مكتبة الصحابة، الإمارات – الشارقة، ط:١٤٢٩،١هـ-٢٠٠٨م.

(**على طريق التفسير البياني**)،دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ط:١، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ.

(**لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**)، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، (ط:٣)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(**معاني النحو**)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، (ط:١)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦٧. سعيد الأفغاني: (**الموجز في قواعد اللغة العربية**)، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط)،٢٠٠٣م.

٦٨. سعد حسن بحيري:

(**دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**)، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط:١)، ١٤٢٦هـ.

(**ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي**)، مكتبة الأنجلو المصرية،(د.ط)، ١٩٩٥م.

(**علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**)، مكتبة لبنان ناشرون – لونجمان، (ط: ١)، ١٩٧٧م.

(**نظرية التبعية في التحليل النحوي**)، مكتبة الأنجلو المصرية،(د.ط)، ١٩٨٨م.

٦٩. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "المتوفى: ١٨٠ هـ": (**الكتاب**)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مكتبة الخانجي، (ط:٣)، ١٩٨٨م.

٧٠. الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي "المتوفى ٧٩٠ هـ": (**المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، شرح ألفية ابن مالك**)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، (ط:١)، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٧١. شحدة فارع وآخرون : (**مقدمة في اللغويات المعاصرة**)، دار وائل للنشر ، عمان ، (ط:١)، ٢٠٠٠م.

٧٢. الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي "المتوفى٥٢٩هـ": (**البيان في شرح اللمع لابن جني**)، تحقيق: علاء الدين حمويه، دار عمّار، عمّان ، (ط: ١)، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٧٣. الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني "المتوفى: ٣٨٥هـ": (**المحيط في اللغة**)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، (ط:١)، بيروت / لبنان – ١٤١٤هـ –١٩٩٤م.

٧٤. الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي "المتوفى: ١٢٠٦هـ": (**حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، (ط:١)، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.

٧٥. صبحي إبراهيم الفقي: (**علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : دراسة تطبيقية على السور المكية**)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط:١)، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

٧٦. صدر الدين الكنغراوي الاستنابولي "المتوفى ١٣٤٩هـ" : (**الموفي في النحو الكوفي**)، شرحه بتعليقات توضح غوامضه ومقاصده: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٠م.

٧٧. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني "المتوفى: ٢١١هـ": (**تفسير عبد الرزاق**)، دراسة وتحقيق: د.محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط:١)، ١٤١٩هـ.

٧٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري "المتوفى: ٣١٠هـ": (**جامع البيان في تأويل القرآن**)،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط:١)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٩. عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ "المتوفية: ١٤١٩هـ": (**التفسير البياني للقرآن الكريم**)، دار المعارف – القاهرة، ط:٧، (د.ت).

٨٠. عباس حسن "المتوفى: ١٣٩٨هـ" : (**النحو الوافي**)، دار المعارف، مصر، (ط:١)،١٩٩١م.

٨١. عبد الرحمن محمد أيوب: (**دراسات نقدية في النحو العربي**)، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، (د.ت).

٨٢. عبد السلام المسدي:(**الأسلوبية والأسلوب**)،الدار العربية للكتاب، ليبيا،(ط:٢)،١٩٨٢م.

٨٣. عبد القادر عبد الجليل : (**المعجم المعياري لشبكات الفصائل النحوية**)، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، (ط:١)، ٢٠٠٧م.

٨٤. عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي "المتوفى ٩٧٢ هـ": (**شرح كتاب الحدود في النحو**)، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة – القاهرة، (ط:٢)، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٨٥. عبد الهادي بن ظافر الشهري: (**استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، (ط:١)، ٢٠٠٤م.

٨٦. عبد الواحد علام: (**اتجاهات نقد الشعر**)، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٨٧. عرفة عبد المقصود: (**قراءة نحوية نصية في سورة ص**)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، شبكة الألوكة الإلكترونية.

٨٨. عزيزة فوال بابتي: (**المعجم المفصل في النحو العربي**)، دار الكتب العربية، بيروت – لبنان،(د.ت)، ص:٥٨٣/١.

٨٩. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين "المتوفى ٦١٦هـ": (**المتبع في شرح اللمع**)، تحقيق: عبد الحميد حمد محمد محمود الزوي، منشورات جامعة قاريونس ببنغازي، (ط:١)، ١٩٩٤م.

٩٠. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين "المتوفى ٦١٦هـ" :

(**شرح ديوان المتنبي**)، تحقيق: المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة،(د.ط)،١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

(**اللباب في علل البناء والإعراب**)، تحقيق: خليل بنيان الحسون، مكتبة جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.

٩١. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن "المتوفى: ٧٤١هـ": (**لباب التأويل في معاني التنزيل**)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط:١)، ١٤١٥ هـ.

٩٢. العلوي ، يحيى بن حمزة العلوي: (**الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**)، نشر دار الكتب العربية، بيروت، (د:ط)، ١٩٨٠ م .

٩٣. علي أبو المكارم : (**المدخل إلى دراسة النحو العربي**)، (ط:١)، ١٩٨٢م.

٩٤. عمان بوقرة: (**المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب– دراسة معجمية**)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن،(د.ط)، (د.ت).

٩٥. فاضل مصطفى الساقي: (**أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة**)، تقديم: تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.

٩٦. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء "المتوفى: ٢٠٧هـ": (**معاني القرآن**)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (ط:١)، (د.ت).

٩٧. فريد عوض حيدر: (**اتساق النص في سورة الكهف**)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، (ط:١)،٢٠٠٤م.

٩٨. فؤاد حنا ترزي: (**في أصول اللغة والنحو**)، مطبعة دار الكتب، بيروت- لبنان، (د.ت).

٩٩. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي "المتوفى: ٨١٧هـ": (**البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، (ط:١)، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(**القاموس المحيط**)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (ط:٨)،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ م.

١٠٠. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي "المتوفى: ٦٧١هـ": (**الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي**)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٩٦٧م.

١٠١. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق "المتوفى: ٧٣٩هـ" : (**الإيضاح في علوم البلاغة**)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٠٢. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري "المتوفى: ٤٦٥هـ" : (**لطائف الإشارات = تفسير القشيري**)،تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، (ط:٣)،(د.ت).

١٠٣. القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني "المتوفى: ١٣٥٤هـ" : (**تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"**)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠ م.

١٠٤. القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي "المتوفى: ١٣٠٧هـ": (**فتحُ البيان في مقاصد القرآن**)، عني بطبعهِ وقدّم له

وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٠٥. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي "المتوفى: ١٠٩٤هـ": (**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (د.ت).

١٠٦. كلماير: (**دراسات لغوية تطبيقية**)، دار زهراء الشرق، القاهرة ، ١٩٩٩م.

١٠٧. لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري "المتوفى: ٤١هـ" : (**ديوان لبيد بن ربيعة العامري**)، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، (ط.١)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

١٠٨. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي "المتوفى:٢٨٥هـ": (**المقتضب**)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤م.

١٠٩. محمد أحمد علي سحلول: (**النحو التطبيقي**)، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، (ط:١)،١٩٩٢م.

١١٠. محمد الأخضر الصبيحي: (**مدخل إلى علم النص ومجال تطبيقه**)، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، (ط.١)،١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١١١. محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني "المتوفى: ٨٢٧ هـ" : (**تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد**)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، الرياض، (ط:١)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١٢. محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين "المتوفى: ٦٧٢هـ": (**شرح تسهيل الفوائد**)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، و محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (ط:١)، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١٣. محمد حماسة عبد اللطيف: (**الابداع الموازي، التحليل النصي للشعر**)، دار غريب، القاهرة، (د.ت).

١١٤. محمد حماسة عبد اللطيف: (**ظواهر نحوية في الشعر الحر، دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور**)، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠١م.

١١٥. محمد خطابي : (**لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**)، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، (ط:١)،١٩٩١م.

١١٦. محمد عبد العزيز النجار:(**ضياء السالك إلى أوضح المسالك**)،مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١٧. محمد عبد الله جبر: (**الضمائر في اللغة العربية**)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.

١١٨. محمد عيد: (**النحو المصفى**)، مكتبة الشباب، القاهرة- مصر، ١٩٨٠م.

١١٩. محمد محفوظ "المتوفى: ١٤٠٨ هـ": (**تراجم المؤلفين التونسيين**)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، (ط:٢)، ١٩٩٤م.

١٢٠. محمد مفتاح : (**التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية**)، المركز الثقافي العربي ، بيروت- الدار البيضاء ، (ط:١)، ١٩٩٦م.

١٢١. محمد ياسر فوزي عبد الحميد حمزة و أحمد عبد العزيز فهمي عرفة: (**ضمير الشأن وشأن الضمير: مقاربة عرفانية لمفهوم الهوية**)، ورقة مقدمة لقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب في الجامعة الأردنية بعمان – الأردن، أكتوبر (تشرين أول) لعام ٢٠١٢م.

١٢٢. محمود شرف الدين: (**التوابع بين القاعدة و الحكمة**)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (ط:١)، ١٩٨٧م.

١٢٣. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش "المتوفى : ١٤٠٣هـ": (**إعراب القرآن وبيانه**)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، دار اليمامة - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق – بيروت، (ط:٤)، ١٤١٥ هـ.

١٢٤. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي "المتوفى: ٧٤٩هـ": (**الجنى الداني في حروف المعاني**)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،(ط:١)، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١٢٥. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي "المتوفى : ٧٤٩هـ":(**توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط:١٤٢٨،١هـ - ٢٠٠٨م.

١٢٦. مريم فرنسيس: (**في بناء النص ودلالته، محاور الإحالة الكلامية**)، وزارة الثقافة السورية، (ط:١)، ١٩٨٨م.

١٢٧. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري "المتوفى: ٢٦١هـ": (**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

١٢٨. مصطفى أحمد عبد العليم: (**العلاقات النصية في القرآن الكريم دراسة نحوية لجهود المفسرين**)، بحث منشور في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

١٢٩. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة "المتوفى: ١٠٦٧هـ": (**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**)، مكتبة المثنى – بغداد ومصورة لدار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية، (د.ت).

١٣٠. مصطفى النحاس: (**نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب**)، دار السلاسل، الكويت، (ط.١)، ٢٠٠١م.

١٣١. مصطفى حميدة: (**نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**)، مكتبة لبنان، ناشرون، (ط:١)، ١٩٧٧م.

١٣٢. المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني "المتوفى: ١٤٢٩هـ": (**خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**)، مكتبة وهبة، ط:١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢ م.

١٣٣. المنصف عاشور: (**ظاهرة الاسم في التفكير النحوي: بحث في مقولة الاسمية بين التمام و النقصان**)، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، (ط:١)، ١٩٩٩م.

١٣٤. مهدي المخزومي: (**في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث**)، (د.ن)، الرياض، (ط:٣)، ١٩٨٥م.

١٣٥. النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي "المتوفى ٣٣٨هـ" : (**إعراب القرآن**)، دراسة وتحقيق: زهير غازي زاهد، مطبع العاني، بغداد، ١٩٧٨م-١٩٧٩م، ١٩٨٠م.

١٣٦. نرجس باديس: (**المشيرات المقامية في اللغة العربية**)، مركز النشر الجامعي، تونس، (د.ط)،٢٠٠٩م.

١٣٧. نعمان بو قرة: (**المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية**)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، (د.ط)، (د.ت).

١٣٨. نور الدين عبد الرحمن الجامي "المتوفي سنة ٨٩٨ هـ": (**الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب**)، تحقيق: أسامة طه الرفاعي، دار الآفاق العربية، القاهرة، (ط:١)، ٢٠٠٣م.

١٣٩. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي "المتوفى: ١٣٦٢هـ": (**جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**)، أشرف على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت).

١٤٠. الهروي، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي"المتوفى:٤٣٣هـ": (**إسفار الفصيح**)، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،(ط:١)، ١٤٢٠هـ.

١٤١. وهبة بن مصطفى الزحيلي: (**التفسير الوسيط**)،دار الفكر – دمشق ،ط:١ – ١٤٢٢هـ.

١٤٢. يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العُبَادي العُقَيلي، جمال الدين السُّرَمَرِّي "المتوفى٧٧٦هـ": (**اللؤلؤة في علم العربية وشرحها**)، تحقيق: أمين سالم، مطبعة الأمانة، مصر، (ط:١)، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

ثالثا: المصادر والمراجع المترجمة:

١٤٣. ألبرت نيوبرت وغريغوري شريّف: (**الترجمة وعلوم النص**)، ترجمة: محيي الدين حميدي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، (ط.١) ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٤٤. آن روبول–جاك موشلر: (**القاموس الموسوعي للتداولية**)، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناتار، المركز الوطني للنشر، تونس، ٢٠١٠م.

١٤٥. باسل حاتم و إيان ميسون : (**الخطاب والمترجم**) ، ترجمة: عمر فايز عطاري ، جامعة الملك سعود ، (ط:١) ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٤٦. براون ويول: (**تحليل الخطاب**)، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، و ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٤٧. برجشتر آسر: (**التطور النحوي للغة العربية**)، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٤٨. تون فان دايك: (**علم النص مدخل متداخل الاختصاصات**)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، (ط.١)، ٢٠٠١م.

١٤٩. جوزيف فندريس Joseph Vendryes "المتوفى: ١٣٨٠هـ": (**اللغة**)، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.

١٥٠. جيزيل فالانسي: (**النقد النصي**)، ترجمة: رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشنوفي، مقال بمجلة عالم المعرفة، عنوان العدد: (**مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**)، تأليف مجموعة من الكتاب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٧م.

١٥١. روبرت دي بوجراند : (**النص والخطاب والإجراء**)، ترجمة: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة، (ط:١) ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٥٢. زتسيسلاف واورزنياك: (**مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص**)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط.١)، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٥٣. فان دايك : (**النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**) ، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق ، المغرب، الدار البيضاء ـ بيروت ، ٢٠٠٠ م.

١٥٤. كاترين فوك، بيارلي قوفيك: (**مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة**)، ترجمة: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٨٤م.

١٥٥. هنري اليسوعي فليش: (**العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد**)، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثيولوكية، بيروت،١٩٦٦م.

رابعا: المصادر والمراجع الأجنبية:

١٥٦. - Hallidy,M. A. K., And R. Hasan. 1976. Cohesion in English , Longman.

خامسا: المجلات والدوريات:

١٥٧. إبراهيم صالح الحندود: (**درجات التعريف والتنكير في العربية**)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ، (الجزء:١٩)، (العدد:٣١).

١٥٨. أشرف عبد البديع عبد الكريم: (**علوم اللغة البنية الدلالية والإحالية للضمائر**) ، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٦م، (المجلد:٩)، العدد:٣.

١٥٩. حمادة عبد الإله حامد: (**التماسك النصي بالإحالة "دراسة تطبيقية في سورة الواقعة"**)، جامعة الأزهر، مستلة من حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد: (١٩)، ج:(٦)، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٦٠. سعد مصلوح : (**نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية**)، مجلة فصول ، المجلد: (١٠)، العدد الأول والثاني ، يوليو- أغسطس ١٩٩١م .

١٦١. فوزية دندوقة: (**ضمائر العربية: المفهوم والوظيفة**)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر، ٢٠١٠م، العدد:٦.

١٦٢. نادية رمضان النجار: (**علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الخطابة النبوية نموذجا**)، مجلة علوم اللغة، دار غريب، المجلد:(٩)، العدد: (٢)، (د.ن)، ٢٠٠٦م.

١٦٣. نائل محمد اسماعيل: (**الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية**)، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية،٢٠١١م، المجلد:١٣، العدد:١(B).

سادسا: الرسائل الجامعية:

١٦٤. رافد حميد سويدان خلف: (**نحو النص ، نظرية وتطبيق، سورة آل عمران أنموذجا**)، أطروحة دكتوراة، قدمت إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار، ٢٠١١م.

١٦٥. محمد الأمين مصدق: (**التماسك النصي من خلال الحذف والإحالة دراسة تطبيقية في سورة البقرة**)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية اللغة والآداب والفنون، الجزائر٢٠١٥م.

١٦٦. محمود سليمان حسين الهواوشة: (**أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دارسة نصية من خلال سورة يوسف**)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

١٦٧. مصطفاوي جلال: (**تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف، مقاربة في ضوء لسانيات النص**)، رسالة دكتوراة، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، تلمسان، الجزائر، ٢٠١٣م.

١٦٨. ياسين بني ياسين: (**الإحالة في النص القرآني**)، رسالة ماجستير-جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٦م.

سابعا: مواقع على الإنترنت:

١٦٩. محمد محمد يونس علي: (**الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه**)، مدونة تخاطب، وهو مقال منشور على شبكة الانترنت ومتاح على الرابط:
http://takhatub.blogspot.com/2009/06/blog-post_4712.html

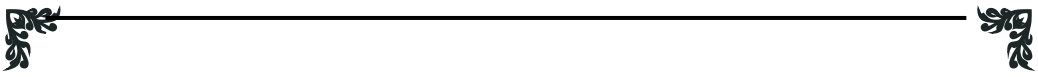

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الملخص..... أ

(الملخص باللغة الإنجليزية).....ب

المقدمة.....د

التمهيد.....١

لسانيات النص: النشأة والتعريف.....٢

التماسك النصي: مفهومه وأدواته.....٥

الإحالة: مفهومها، أهميتها، ووسائلها.....٨

(الفصل الأول).....٢٤

الإحالة الضميرية، ودورها في مشاهد القيامة.....٢٤

(المبحث الأول).....٢٥

الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).....٢٥

مهاد.....٢٦

الضمائر بين اللغة والاصطلاح.....٢٨

سبب البناء في الضمائر.....٣٢

الضمائر بين التعريف والتنكير.....٣٥

تفاوت الضمائر في التعريف.....٣٧

الخلاف في الضمير العائد على نكرة ٣٧

أقسام الضمائر.....٣٨

الضمير المنفصل.....٣٩

ضمائر الرفع المنفصلة.....٤٠

ضمائر المتكلم.....٤٠

ضمائر المخاطب.....٤١

ضمائر الغائب.....٤٢

ضمائر النصب المنفصلة.....٤٢

ضمائر المتكلم.....٤٣

ضمائر المخاطب.....٤٣

ضمائر الرفع المتصلة.....٤٤

ضمائر النصب المتصلة.....٤٤

ضمائر الجر المتصلة.....٤٥

اختيار الضمائر بين الانفصال والاتصال.....٤٧

من أنواع الضمائر.....٤٨

ضمير الفصل.....٤٨

ضمير الشأن.....٥٥

وظيفية الضمائر ٥٩

(المبحث الثاني).....٦٤

الضمائر، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).....٦٤

البنية الإحالية للضمائر.....٦٥

الضمائر الإحالية و العلاقة بالنص.....٦٧

بين بروز الضمير واستتاره.....٧٢

الإظهار في مقام الإضمار.....٧٥

مرجعية الضمير وإزالة اللبس.....٧٨

تعدد الإحالات.....٨٥

تحولات الضمائر والمخالفة في الإحالة (العدول).....٩٠

نماذج تحليلية.....١٠٩

(الفصل الثاني).....١١٥

الإحالة الإشارية، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة.....١١٥

(المبحث الأول).....١١٦

أسماء الإشارة، في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).....١١٦

فاتحة ومهاد.....١١٧

أسماء الإشارة بين اللغة والاصطلاح.....١٢٠

أسماء الإشارة معارف مبهمة.....١٢١

أقسام الإشارة.....١٢٢

مايشار به للفرد.....١٢٣

مايشار به للمثنى.....١٢٥

ما يشار به للجمع.....١٢٦

مراتب المشار إليه من حيث قربه وبعده.....١٢٧

لواحق أسماء الإشارة.....١٢٨

أسماء الإشارة الخاصة بالمكان.....١٣٢

مواقع اسم الإشارة من الإعراب.....١٣٤

سبب البناء في أسماء الإشارة.....١٣٥

التناوب بين أسماء الإشارة.....١٣٦

(المبحث الثاني).....١٣٨

الإحالة الإشارية،في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية) ١٣٨

البنية الإحالية لأسماء الإشارة.....١٣٩

أسماء الإشارة من حيث العلاقة الإحالية بالنص ١٤١

التماسك على مستوى الآية الواحدة.....١٤٢

التماسك على مستوى أكثر من آية.....١٤٤

دلالة التناوب بين أسماء الإشارة.....١٤٧

تعدد الإحالات.....١٥١

الاكتفاء بالإشارة.....١٥٣
الإحالة الموسعة ١٥٥
دلالة الإحالة على الفصل والانتقال.....١٥٩
دلالة الإشارة على التشبيه ١٦٢
نماذج تحليلية ١٦٦
(الفصل الثالث).....١٧١
الإحالة بالصلة، ودورها في مشاهد القيامة.....١٧١
(المبحث الأول).....١٧٢
الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة النظرية).....١٧٢
مهاد.....١٧٣
الاسم الموصول بين اللغة والاصطلاح.....١٧٤
أسماء الموصول معارف مبهمة.....١٧٦
أنواع صلة الموصول.....١٧٨
حذف الصلة.....١٨١
عائد الصلة.....١٨١
حذف العائد.....١٨٢
أقسام الموصول.....١٨٥

ألفاظ الأسماء الموصولة المختصة.....١٨٨

ألفاظ الأسماء الموصولة العامة المشتركة.....١٩٢

إعراب الأسماء الموصولة.....٢٠٢

سبب البناء في الأسماء الموصولة.....٢٠٣

(المبحث الثاني).....٢٠٥

الأسماء الموصولة، ودورها الإحالي في مشاهد القيامة (الدراسة التطبيقية).....٢٠٥

البنية الإحالية بالأسماء الموصولة.....٢٠٦

الأسماء الموصولة من حيث العلاقة الإحالية بالنص.....٢٠٨

أ/ التماسك على مستوى الآية الواحدة.....٢٠٩

ب/ التماسك على مستوى أكثر من آية واحدة.....٢١١

دلالة الصلة على الإبانة والتوضيح.....٢١٣

إفادة الصلة التعليل وتخصيص العموم.....٢١٥

دلالة عائد الصلة.....٢١٦

دلالة الصلة على الاختصار والاقتصاد.....٢٢٣

دلالة الصلة على التوكيد.....٢٢٦

دلالة الصلة على الاستهزاء والتوبيخ.....٢٣١

نماذج تحليلية.....٢٣٤

الخاتمة.....٢٤٤

ثبت المصادر والمراجع.....٢٤٩

فهرس المحتويات.....٢٧١

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of education

Gazan University

Faculty of Arts and Humanities

Department of Arabic Language and Literature

Referral in the scenes of resurrection "Textual Study in the Holy Quran"

This thesis is an update of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature

Specialization: linguistic and grammatical studies

author name: Amal Tahir Ahmed Modrbaa.

University Number: (201513219)

Supervision Dr. Hamada Abdel - Ilah Hamid

(Professor of Arabic Language and Arabic Language)

college year

(M2019 - H1440)